

منهل الؤراد  
وبهجة الإرشاد  
لنمن أراد طريق الرشاد



## النفحات الريانية لمن أراد سلوك طريق السادة الصوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيا قلوب العارفين باتساع رحمته ، وألهمهم من التوسل إليه ما يدفعون به عظيم أخذه وأليم عقوبته ، ووهب لهم من مطايا الحزن والبكاء ما يتوصلون به إلى بلوغ رضوانه وعظيم منته ، أحده حمد من سقاه الله من خمر محبته شراب اليقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة من أقر بها بذل العبودية كان من الموقنين ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله الذي شيد أركان الشريعة للعالمين . وأوضح أفعال الطريقة اللسالكين . ورمز في علوم الحقيقة للعارفين . الذي أنزل عليه « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .

وبعد : فأعلم هدايا الله وإياك إلى الصراط المستقيم ، أن مرید طريق القوم لابد له من التفقه في أحكام الدين ، بقدر ما يصحح به عبادته ؟ لأن تحلية الظاهر بالتمسك باداب الشريعة هو الأساس ، فإذا أحكم المرید أساسه قام بناؤه ولم يحصل له خلل ولا انهدام ، وقد قال سيدي أبو القاسم الجنيد رضا : قوام أمرنا هذا هو التمسك بالكتاب والسنة . فمن لم يتحصن بالشريعة زل قدمه . وقد جاء عن سيدي عز الدين بن عبد السلام قدس الله سره :

من تصوف ولم يتشرع فقد تزندق ، ومن تشرع ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن تشرع وتصوف

فقد تحقق أه كلامه ويجب على المرید الذي يجب أن يسلك طريق ساداتنا الصوفية الأخيار ، أن يعرف نسب شيخه الذي يأخذه دليلاً ومرشداً له ليكون على بصيرة من أمره ، ومن زعم أنه يمكنه سلوك الطريق بدون مرشد فهو لقيط كالولد الذي لا يعرف له أب ، فافهم تغم . جعلنا الله وإياك من أهل البصيرة والهمم واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه ، أن طريق القوم عزيزة لا يمكن سلوكها إلا لمن إختاره الله وهداه . وهذه مقدمة نذكر فيها للمرید : حد علم التصوف ، وموضوعه ، وفائدته . ليكون الشارع فيه على بينة فحده : علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من عيوب النفس وصفاتها المذمومة : كالحقد والحسد ، والغش ، والغل ، وطلب العلو ، وحب الثناء والكبر . والرياء ، والغضب والأنفة والطمع ، والبخل ، وتعظيم الأغنياء ، والاستهانة بالفقراء ، ونحو ذلك . فالتصوف هو التخلي عن الرذائل والتحلي بأنواع الفضائل ، وقال الجنيد : التصوف هو أن يميئك الحق عنك ويحييك

به ، يعني أن يميئك عن نظرك لنفسك ويحييك بذكره ومناجاته ، وهذا أكمل درجات التصوف .

والصحيح أنه إنما يدرك بالذوق لقول العارف الشعرا في طبقاته : التصوف عبارة عن علم

انقذ في قلوب الأولياء حين استنارت بصائرهم بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل بهما حصل له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز عنها الألسن كما قال بعض المحققين .

علم التصوف علم ليس يدركه إلا أخو فطنة بالحق معروف وكيف يدركه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف ومبناه : على التمسك بآداب الشريعة والبعد عن الشبهات ، وحفظ الحواس وعد الأنفاس للتحرز من الغفلات . وموضوعه : أفعال القلب والحواس من حيث التزكية والتصفية . وفائدته : إصلاح الإنسان ظاهرا وباطنا ، فإن الصوفي من تصفى من الكدر ، وامتلأ من العبر ، وانقطع لعبادة ربه عن البشر . والصوفية مقتدون في الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة بأهل الصفة رضي الله عنهم ، وهي سقيفة اتخذها فقراء الصحابة في مسجد رسول الله ليعتكفون فيها ويأوون إليها . وقيل سمى الصوفية بهذا الاسم نسبة للصوف لكونهم إختاروا لبسه زهداً في الدنيا ، وقال بعض العارفين : إن الصوفى مشتق من الصفاء وقد قال بعضهم :

ليس التصوف لبس الصوف ترقرعه ولا بكاؤك إن غنى المغنونا  
ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا اضطراب كأن قد صرت مجنونا  
بل التصوف أن تصفو بلا كدر وتتبع الحق والقرآن والدينا  
وأن ترى خاشعا لله مكتئبا على ذنوبك طول الدهر محزونا  
واعلم أن طريق الصوفية هي طريق الأبرار ، ولم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وشغل الناس بالدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله ، والتوحيد والتفسير وغير ذلك . كتب رجال من أهل هذه الطائفة في طريقتهم . فمنهم من كتب في أحكام الورع ومحاسبة النفس في الأخذ والترك ومنهم من كتب في آداب الطريق ، ومنهم من جمع بين ذلك كالإمام الغزالي ، والعارف الشعرا ، والمحقق سيدي أبو القاسم القشيري . نفعا الله بهم وبحالهم ومقاتلهم . وهذا العلم هو علم الوراثة المشار إليه بخير « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » وهو المراد من قوله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله ... الآية » .

## فصل في بيان حال القلب بالنسبة للعلوم والفرق بين التعلم وحال الصوفية

اعلم يا أخا الرشد هداانا الله وإياك إلى سلوك طريق أهل الحق ، أن للقلب بابين : باب ينفذ إلى عالم الحواس ، وباب ينفذ إلى عالم الغيب . ويعرف صدق ذلك بالتأمل في النوم فإنك ترى فيه من العجائب ويظهر لك الغيب ، وما سيكون بعد في المستقبل بمدة مديدة . وفي اليقظة إنما يفتح ذلك الباب للأنبياء والأولياء وذلك لمن طهر قلبه عما سوى الله تعالى وأقبل بالكلية عليه ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام «سبق المفردون ، قيل ومن هم يارسول الله؟

قال : المجتهدون بذكر الله وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ، ثم قال في وصفهم عن لسان الحضرة القدسية عن الله تبارك وتعالى « أقبل عليهم بوجهي ، أترى من واجهته بوجهاً يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه لهم : أول ما أعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم » فإذا مدخل هذا كله ، هو الباب الداخل من القلب النافذ إلى عالم الغيب ، ونحن نبين لك الفرق بين التعلم والتصوف بمثال في قالب حكاية ، كما في مختصر الأحياء ص ١٦٠ للعلامة الغزالي نفعنا الله بعلومه .

فقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تنافسوا بين يدي بعض الملوك بحسن النقش والتصوير فاستقر رأي الملك على أن تسلم إليهم شرافية من القصر تنقش أهل الصين منها جانبية ، وأهل الروم جانباً ، وأن يرخي بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق منهم على صنع صاحبه ففعل ذلك ، وجمع أهل الروم غرائب الأصباغ ، ودخل أهل الصين يصقلون جانبهم ، فلما فرغ أهل الروم من صناعتهم إدعى أهل الصين أنهم أيضاً قد فرغوا ، فتعجب الملك من أمرهم وقال : كيف فرغتم ولم تأتوا بشيء من الأصباغ كأقرانكم ؟ فقبل ما عليكم من ذلك ، ارفعوا الحجاب وتأملوا ، ففعلوا ورفع الحجاب فإذا عجائب الأصباغ والألوان والنقوش تزهو وتتلاهاً بزيادة بريق وصفاء ، لأنهم كانوا يصقلون مادام غيرهم ينقش .

فالصوفية يصقلون قلوب مريديهم بتصفيتها من الأغيار ، والعلماء ينقشون في صدور تلاميذهم العلوم والأخبار . فما ينكشف للعلماء ينكشف لأهل التصوف بزيادة ووراء ما يحصله العلماء ، ينكشف لهم أمور لا يتصور الوصول إليها بتكلف التعلم ، وإليه الإشارة في الحديث القدسي بقوله «أعطيهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» وبقوله : أيعلم أحد إذا واجهته بوجهي أي شيء أريد أن أعطيه ، وذلك هو الحياة المرادة بقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم» فبعد ذلك لا يموت قلب السالك قال الحسن البصري : التراب لا يأكل محل الإيمان . فيكون إذا لكل أحد من المؤمنين من الأجر على قدر نصبه فالمؤمنون يسعون بأنوارهم إلى لقاء الله

تعالى ، وإلى هذا الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام « أن بعضهم يعطى نورة مثل الجبل ، وبعضهم يعطى أصغر حتى يكون آخرهم رجل يعطى نوره على إبهام قدميه فيضيء مرة ويطفأ أخرى ، فإذا أضاء قدم قدمه فمشى وإذا طفيء أقام ، ومروهم على الصراط على قدر نورهم ، فمنهم من يمر كطرف العين ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكواكب ، ومنهم من يمر كشد الفرس ، والذي أعطى نوره على إبهامه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجري يده ويتعلق بأخرى ويجري رجلا ويتعلق بأخرى وتصيب جوانبه النار ولا يزال كذلك حتى يخلص الحديث » ، وهذا على حسب تفاوت درجات الإيمان . كما في قوله عليه الصلاة والسلام « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم س سوى النبيين لرجح ... الحديث » . كما أنه لو وزن نور الشمس بنور المصابيح والشموع لرجح ، فإيمان الناس كالمصابيح والشموع ، وإيمان الأولياء والعلماء والعاملين كنور القمر ، وإيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كنور الشمس .

### فصل في الدلالة على صحة طريق الصوفية

قال أبو الدرداء رضي الله عنه المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق فو الله إن للحق قولاً يقذفه الله في قلوبهم ويحريه على ألسنتهم . وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ « إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، كما جاء في الجامع الصغير . وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ وقال « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر ، قال النووي رحمه الله : اختلف العلماء في المراد بقوله « محدثون » فقيل معناه : ملهون . وقيل مصيون وقيل تكلمهم الملائكة . وقال الامام البخاري : يجري الصواب على ألسنتهم ، واعلم يا أخي هديت للصواب أن للقلب بابا ينفذ فيه الشيطان في مقابلة بابه النافذ إلى عالم الغيب وللشيطان لمة « يعنى نزعة ووسوسة ، كما أن للملك لمة « يعنى نفثة وحث على الخير واعلم أيقظني الله وإياك من الغفلة ، أن الصفات المذمومة مداخل الشيطان إلى القلب فبقدر قمع جميع تلك الصفات تضيق مجارى الشيطان أو تنسد ، وبقدر إهمالها تتسع تلك الأبواب فيدخل الشيطان بنزعاته ووساوسه إلى القلب منها ، فإذا اجتهدت في سد باب الشيطان ينفذ منه إلى قلبك كان قلبك محلا للحكمة ومهبطا للملائكة ، كما أنك إذا أهملته صار عشا للشياطين .

فكن أيها المريد يقظة متفطنة لدسائس النفس ونزعات الشيطان وإغواء سلطان الهوى فإنها آفات تقطع على السالك سيره ، نعوذ بالله من كيد النفس والهوى والشيطان وتبصر في قول الله تعالى « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » يعنى إذا مسهم الشيطان بنزغاته ووساوسه وأراد أن يزين لهم معصية تذكروا ، يعنى نظروا إلى ذلك الأمر بعين الإيمان ووزنوه بميزان الشرع ، فإن كان مخالفة للشرع تفتنوا وعرفوا أن ذلك مكيدة من الشيطان ، فاستنارت بصائرهم فابتعدوا عنه ، ولما تحصنوا بحصن

الشرعية سطعت على قلوبهم أنوار الحقيقة ، ولذلك لم يكن للشيطان عليهم سلطان كما قال الله تعالى في شأن أولئك المؤمنين المخلصين « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ... الآية » أيقظ الله قلبي وإياكم من سبات الغفلات ، وجعلني وإياكم ممن يعبدون الله سبحانه وتعالى بقلب سليم .

### فصل في رياضة النفس

#### تمهيدا لدخولها في ميدان التصوف

أعلم أن النفس لها رذائل لا بد من تنقيتها وتصفيتها وبذلك تصل إلى سعادة الأبد وجوار الله تعالى ، وهذا يعد جهاد للنفس ، ولذلك قال رسول الله ﷺ « رجعنا من الجهاد الأصفر إلى الجهاد الأكبر » ويقصد بالجهاد الأكبر مجاهدة النفس وقمعها عن هواها ، ومن رياضة النفس تعويدها على فضيلة حسن الخلق ، قال رسول الله ﷺ « حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد » وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام « إني رأيت البارحة عجبا ، رأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق فأدخله على الله تعالى وحسن الخلق يدل على جمال الباطن ، كما أن حسن الصورة للشخص يدل على جمال الظاهر فبقدر ما ينمحي عن الشخص من الصفات الذميمة يثبت بدلها من الصفات الحميدة فذلك هو حسن الخلق . وتمام حسن الخلق لرسول الله ﷺ إذ نال في هذا المعنى درجة الكمال ، بدليل قوله تعالى في معرض الامتداح « وإنك لعلی خلق عظیم » وقال عليه الصلاة والسلام « حسنوا أخلاقكم ، فبه على أن الأخلاق قابلة للتغيير والانفعال تحت التصرف . فعليك بالسعي في مخالفة دواعي الشهوات والغضب والشهوة والطمع وجميع هذه الصفات وألجم نفسك عن هواها بلجام الشرع ، فإذا وفقك الله لذلك فقد حصل الغرض من تهذيب النفس وذلك بالمجاهدة والصبر على ما تكره « أي النفس » ليصير بعد ذلك عادة لها . قال ﷺ « الخير عادة ، فمن لم يكن في أصل الفطرة مثلاً سخيّا فيتعود ذلك بالتكلف ، وكذلك لو لم يخلق متواضعة فيتعود ذلك بالتكلف ، وكذا سائر الصفات يعالجها بضدها إلى أن يحصل الغرض . فالمدائمة على العبادات ومخالفة الشهوات يحسن صورة الباطن ويحصل الأُنس بالله تعالى قال ﷺ « أعبد الله في الرضا » يعنى كن راضيا بقضائه وقدره فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير » .

فعود نفسك على الصبر إلى أن تصير راضيا ، وكما أن طريق العلاج في أمراض البدن أن يقابل الشيء بضده ، فكذلك في مرض القلب وذلك يختلف باختلاف الأشخاص حسب تباين الطباع . والشيخ في قومه كالنبي في أمته ، فكما أن وظيفة النبي ارشاد الخلق إلى الحق بما بينه الله له من الأحكام التي أمره بتبليغها إلى الخلق وإلى هذا يشير قوله تعالى « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ... الآية » . ولا شك أن الأولياء ورثة

الأنبياء في حالهم وفعالهم فهم الذين يقومون بإرشاد الخلق إلى الحق عن طريق الوراثة التي اكتسبوها بالاخلاص في العلم والعمل ، وبذلك استنارت بصائرهم بأنوار الحقيقة ، فهم يدلون الخلق على الله ويدعونهم إلى طاعته وتقواه ، والشيخ ينظر في حال المريد فيعلم ما يغلب عليه من الصفات وما ينبغي أن يعالج به ، فيشغله في ابتداء أمره بالعبادات وتنظيف الثياب وتطهيرها والمواظبة على الصلوات ، وذكر الله تعالى في الخلوات ، فبذلك تظهر عيوبه الكامنة كمون النار في الحجر ، ويجهتد معه ليفرغ قلبه مما سوى الله ، ويمنع عنه العلائق التي تعوقه في السير إلى الله ، فيتيسر على المريد مقصوده بهمة شيخه ومدده ، وكلما جاهد المريد نفسه عن هواها كلما انكشفت له عيوبها . ومن الطرق في تهذيب أخلاق المريد أن يسلط بعض صفاته على بعض فيرغب في السخاء والجود بوسيلة الرياء ليترك البخل وحب الدنيا وجمعها ، ويترك استعمال الغضب والشهوات ليحمد على العفة والسداد ، ثم بعد ذلك يتوجه إلى الرياء فيقمعه بقوة دينه التي حصلت له في مدة رياضة النفس بالاقبال على الله تعالى .

**بيان معرفة عيوب النفس :** قال ﷺ «إذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه» وهذه المعرفة طرق أعلاها أن يجلس بين يدي شيخ عارف بالله تعالى ويشغل بما يأمره فعند ذلك ينكشف له تارة ، وتارة يكشف له شيخه ، وهذه أعلا الطرق وأولاها . وطريق أخرى أن يطلب رفيقا صالحا عالما بهذا الأمر ، فيصحبه ويجعله رقيقا على نفسه ، ليلاحظ أحواله وينبهه على عيوبه ، فهكذا يفعل الأكابر من أئمة الدين .

فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : رحم الله أمراً أهدي إلى عيوبي . وكان يسأل سيدنا سلمان الفارسي عن عيوبه رضي الله عنه لما قدم عليه وقال له : ما الذي بلغك عني مما كرهته؟ فاستعفى ، فألح عليه فقال : سمعت أنك جمعت إدامين على مائدة ، وأن لك حلتين حلة بالليل وحلة بالنهار ، فقال : وهل بلغك غيرهما؟ قال : لا ، قال : أما هذان فقد عرفتهما . وكان يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهو صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين قائلا له يا حذيفة : هل ترى على شيئا من أثار النفاق؟ فهو على جلالته قدره وعلو منصبه هكذا كان يتهم ولك أيها المريد في هؤلاء الأئمة الأعلام أسوة حسنة فإذا نبهك إنسان على عيب من العيوب فلا تغضب ولا تحرد ، فإن العيوب حيات وعقارب تلدغك في الدنيا والآخرة ، فمن نبهك على أن حية في ثيابك تلدغك فأقبل منه المنة ، فإن حردت عليه دل على ضعف إيمانك بالآخرة ، وإذا قبلت ذلك دل على قوة إيمانك .

فإذا تأملت أيها المريد ما ذكرناه لك انفتحت لك عين البصيرة فتنتفع بها ، فإن لم ترزق ذلك فلا أقل من الإيمان والتصديق ، فالأول هو الإيمان ثم الوصول ، قال الله تعالى «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» فالتقوى رأس المال في تحصيل هذه الأعمال ونيل هذه الدرجات قال الله تعالى «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث

لا يحتسب» ويقال إن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام : يا يوسف إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدة ، والصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكة ، فقال يوسف عليه السلام : قال الله تعالى «إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين» وقال الجنيد رحمه الله : أرقت ليلة فقممت إلى وردى فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها ، فأردت أن أنام فلم أقدر ، فقعدت فلم أطق القعود فخرجت ، فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق ، فلما أحس بى قال : يا أبا القاسم إلى الساعة؟ فقلت : ياسيدي من غير موعد ، قال : بل سألت محرك القلوب أن يحرك إلى قلبك ، فقلت : فقد فعل فما حاجتك؟ فقال : متى يصير داء النفس دواعها؟ فقلت : إذا خالفت النفس هواها ، فأقبل على نفسه وقال : أسمعنى قد أجبتك بهذا فأبيت إلا أن تسمعني من الجنيد ، قال الجنيد رحمه الله : فانصرف ذلك الرجل وما عرفته .

**بيان علامات حسن الخلق :** بين الله أوصاف المؤمنين في قوله تعالى «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون» إلى قوله «وأولئك هم الوارثون» وقال تعالى «التائبون العابدون الحامدون» إلى قوله «وبشر المؤمنين» وقال تعالى «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون» وقال تعالى «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» ومن الناس من يكفيه في ذلك أدنى شيء لما اتفق له في ابتداء نشأته من رعاية مشفق ناصح كما نقل عن سهل التستري أنه قال : كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر إلى خلوة خالى محمد بن محمد بن سوار فقال خالى يوم : ألا تذكر الله الذي خلقتك؟ فقلت : كيف أنكره؟ قال : قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك : الله معي . الله ناظراً إلي . الله شاهدي ، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته ، فقال : قل في كل ليلة سبع مرات ، فقلت ثم أعلمته ، فقال : قل في كل ليلة إحدى عشر مرة ، فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته ، فلما كان بعد سنة قال لي خالي : أحفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سرى ثم قال لي خالي يوما : يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده كيف يعصيه؟ فإياك والمعصية ، فاجتهدت حتى حفظت القرآن الكريم وأنا ابن سبع سنين وكنت أتدبر في معانيه ، وطلبت صحبة أئمة السادة الصوفية فكلما سمعت يذكر واحد منهم سحت إليه ولو كان في أقصى البلاد ، والموفق هو الله تعالى القوى الكريم .

واعلم أيها المريد أن من يريد حرث الآخرة ، فعلامته الاقلاع عن حرث الدنيا ، فمن شاهد حرث الآخرة بقلبه مشاهدة يقين فعلامته استحقاق الدنيا ، فمن شاهد الجوهر النفيس وفي يده خرزة لم يبق له رغبة في الخرزة ، ومن لم يفعل فذلك لعدم الإيمان بالله واليوم الآخر ، فالمانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الإرادة والمانع



من الارادة عدم الإيمان ، وسبب عدم الإيمان في الظاهر عدم الهداة والعلماء بالله الدالين على الله الهادين إلى طريقه ، فمن تنبه فله شروط لابد من تقدمها : منها رفع الحجاب والسر ، وهو أربع أشياء : المال والجاه ، والتقليد ، والمعصية .

(١) فالخلوص من فتنه المال بأن تبذله في مرضاة الله .

(٢) والخلاص من الجاه بالبعد عن الوطن أو بإشهار التواضع والحمول .

(٣) والتقليد يرتفع بأن يترك تعصب المذاهب وأن يصدق بمعنى قوله : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، تصديق إيمان ، ويخوض في تحقيقه بالإقبال على أعماله المصدقة المحققة له ورفع الآلهة كلها من الهوى والدنيا وجميع ما تميل إليه النفس ، فعند ذلك يقبل على الله بهمة وعزم صادق ، ويداوم على ذكره ، وبذلك ينكشف له الاعتقاد الحق لقوله تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» .

(٤) وأما المعصية ، فيتركها جانبا ويضع مكانها الطاعات والندم على ما قدم ، والتوبة النصوح ورد المظالم ، فإذا فعل ذلك وفرغ من هذه الأمور الأربعة صار كمن توضأ ورفع الحدث والخبث وستر العورة واستعد للصلاة ، فعند ذلك لابد له من شيخ سلك طريق الآخرة لنفسه حتى يهتدى به ، وعند ذلك يكون بين شيخه كالميت بين يدي الغاسل لا يتحرك لنفسه بل يقلبه الغاسل كيف شاء ، وعندها يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام فلا يعترض على شيخه بحال من الأحوال ، كما سيأتي في آداب المريد مع شيخه .

### مبحث في وراثة المتصوفين عن سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ

روى أصحاب السنن عن النبي ﷺ قال : إن الله تعالى أوحى إلى ثلاثة علوم : علم أمرت بإفشائه وهو علم الأحكام «يعنى ظاهر الشريعة» وعلم خيرني الله فيه «وهو علم الأسرار» وعلم أمرت بكتمانه إلا عن بعض الخواص «وهو علم سر القدر» . وقد جاء في الأحاديث القدسية عن الله تبارك وتعالى أنه قال «كنت في عماء فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق والعلماء» ذكره السيد الجرجاني في مرتبة الأحدية .

واعلم أن الحكمة في إيجاد هذه المخلوقات وإبرازها من حيز العدم إلى حيز الوجود هي قيامهم بحق العبودية من الخدمة والمعرفة . وهي إمثال الأوامر واجتناب النواهي ، يشير إلى

ذلك قوله تعالى «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين» ولا قدرة لعموم الخلق على تلقي الأوامر والنواهي من الحضرة الإلهية مباشرة أو بواسطة ملك ، فاصطفى الله من هذا النوع الانساني خلاصته وهم الأنبياء عليهم السلام ، وأهلهم للتلقي عنه ، وثبتهم وقواهم وأيدهم بروح منه لتحمل ما أولاهم ، وقد سهل الأخذ عنهم لكونهم من النوع الانساني

فهم الدعاة إلى الله حقيقة وهم الخلفاء أيضاً بدليل قوله تعالى «إني جاعل في الأرض خليفة» ثم إن تحصيل الاستعداد للخلافة إنما يكون بتعليم الأسماء كما يشير إلى هذا السر قوله تعالى «وعلم آدم الأسماء كلها ... الآية» يعني أن الله تعالى كشف لآدم ﷺ عن المسميات وأسمائها ، وذلك بواسطة مرشد يأخذ عنه وهو سيدنا جبريل ملك الوحي ﷺ فقد أرشده بأمر الله تعالى عما يحتاج إليه هو وذريته في معاشهم ومعادهم ، ثم لما ظهر في وجه آدم ﷺ نور الوحدة أمر الله

الملائكة بالسجود له تبجي لنور الوحدة وتحقيقاً له الخلافة ، وإلى هذا السر المصون والنور المكنون قال الله تعالى لملائكته «إني أعلم ما لا تعلمون» وليس هذا الاستخلاف لقصور المستخلف كما يفعله المستخلف ، بل لقصور المستخلف عليهم بلا شبهة ، عن قبول فيض المستخلف بغير واسطة ، فإن الخلق لما كانوا عن شهود الحق محجوبين ولقبول فيوضاته غير مستعدين ، إحتاجوا إلى الوسائل من الأنبياء والوارثين حتى يظهر لهم ذلك النور المبين .

ثم إن هذه الخلافة أما حقيقية معنوية كما في كمل الأولياء الوارثين أو صورية مجانية كما في زمرة الأمراء والسلاطين . فكما أن الخليفة المجازي ظل الله ، كأن الخليفة الحقيقي خل الله . ولا يخفي أن الظل في ظلمة وحجاب ، وأن الخل في نور واقتراب . وقد ورد في خلافة الخل أمثال قوله تعالى «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ... الآية» وقوله عز من قائل «من يطع الرسول فقد أطاع الله» واقتضت الحكمة الإلهية تعاقبهم ليدوم التجديد والدعاء إلى الله كلما فترت ألهمهم وقلت المعرفة ودرست الشرائع .

ثم أعلم أن الشرائع جميعاً اتفقت على التوحيد واختلفت في بعض الفروع والأحكام ، وخلاصة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نبينا محمد ﷺ ومن الله علينا أن جعله خاتم النبيين لئلا تطلع أمة على عيوب أمته ، وأمته شهداء على غيرهم قال الله تعالى «لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيداً عليكم ... الآية» ولما كان ﷺ أصل الأصول وطور التجليات ومهبط الأسرار المملكة الإلهية ، والمقصود من هذا النوع والداعي الحقيقي إلى الله عز وجل ، صار نظره يقرب خبث الطبيعة إكسير المعرفة بما وهبه الله من أنوار النبوة ، ولذلك كان يراه العربي الجلف الساذج فينطق بالحكمة لوقته . ويدل له أيضاً حديث الشمايل فيما روى عن الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما في صفة الصحابة رضوان الله عليهم ، أنهم كانوا يدخلون عليه ﷺ رواد «أي طلبة للمنافع في دينهم ودنياهم» ولا يفترقون إلا عن ذواق «أي لا يقومون من عنده إلا وقد استفادوا علماً جزيلاً كثيرة» ويخرجون أدلة يعني على الخير

«أي هداة يهتدى بهم غيرهم» ولذلك يطلق الصحابي على كل من اجتمع به لحظة في عمره حالة كونه مؤمن بما جاء به ولما كانت الصحابة رضوان الله عليهم دعاة إلى الحق ظاهراً

وباطنا بدليل حديث الشائل كما رواه القاضي عياض بلفظه «ليبلغ الشاهد منكم الغائب» والغائب صادق بمن لم يوجد بواسطة ضعف التأثير بالنسبة للأولى يعنى الصحابي ولذلك قال علماء مصطلح الحديث : يشترط في التابعي أن تطول صحبته بالصحابي حتى يسمى تابع ، وهكذا كلما تعددت الوسائط وبعد العهد وطال تراخي العمل ، ضعفت الهمة وقل التأثير وهذا بمقتضى الخلقة . ولكن لما سبق بقاء هذه الشريعة المحمدية المطهرة ، اقتضت الحكمة خلق من يجددها كلما خلقت وينشر ذكرها كلما درست ، ويقومها كلما إعوجت ، وهم العلماء العاملون وإليه الإشارة في الحديث الشريف الصحيح بقوله ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» .

وقد علمت يا أخي أن الحكمة في إيجاد الخلق أن يعبدوا الله سبحانه وتعالى والعبادة المضافة إليه جل وعلا ، لا تكون إلا خالصة قال الله تعالى «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» فإن العبادة عند أهل السنة ما وجبت غير مفضية إلى الثواب ولا منجية من العقاب ، بل وجبت لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والمالكية ، وهذا هو السر في إخلاص العبادة ، لأن العبادة للرجاء يكون صاحبها كالأجير ، والعابد للخوف يكون كالمكره . أما العابد للمحبة فهو المخلص للعبادة حقاً ، لأن المحبة ما وجبت لإرادة الوصلة ولا لنيل اللذة ، بل وجبت لمحض استحقاق المحبوب وأهليته لها ، ويدل له القصر في الآيتين في قوله تعالى «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» إلى قوله «المتين ... الآية» لأن المقصور عليه العبادة المضافة لا مطلق العبادة . فيدل على أن كل ما كان فيه شائبة لم يكن له فلم يكن المأمور به فلم يكن الفاعل مع هذا الغرض مؤدية ما وجب في الحقيقة ، لأن الإخلاص في العبادة بمنزلة الروح في الجسد ، فما لا روح فيه لا حياة فيه فالحضور هو الجزء الأهم . ولذلك ذكر أهل البلاغة وجها لترتيب آيات الفاتحة قالوا : أن العبد إذا ذكر الحقيق بالحمد عن قلب حاضر يجد من نفسه محرقة للإقبال عليه ، وكلما أجرى عليه صفة من تلك الصفات العظام قوي ذلك المحرك إلى أن يؤول الأمر إلى خاتمتها ، المفيد أنه مالك للأمر كله في يوم الجزاء ، فحينئذ يوجب الإقبال عليه ، والخطاب بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في الملهمات ، ومتى كانت العبادة مع الغفلة أو بقصد رياء أو نحوه ، لم تكن لله فتعين الخلاص من هذه الشوائب ، ولما كان الخلاص من الشوائب عسرة محتاجة إلى العلاج والمجاهدة ، فوفق الله بعض عباده من أهل الهمة العالية من الصالحين ، وألهمهم أن أقاموا هذا الأمر ونصبوا أنفسهم لسلوكه والدلالة عليه . فهم حينئذ الدعاة إلى الله حقيقة .

**ففي العصر الأول :** لم يظهر ذلك لأن الشخص كان يتعلم المسألة ليعمل بها ، والعمل بالعلم هو المقصود ، فكان أكثرهم علم وقد ورد «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» فلم يحتاجوا إلى بيان ما احتجنا إليه الآن ، إذ التقلل من الدنيا كان خلقاً لهم ودوام الهمة

وبذل الوسع في الطاعة وإحياء الليل وإيثار الغير ومساعدة الأخوان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهجر الأهل والقربة طلبه لمرضاة الله ، كل ذلك كان كالمخلوق لهم لشدة قيامهم به ، وهذا أقوى دليل على الإخلاص المقصود بالذات بالمعنى المتقدم .

**وأما في العصور المتأخرة :** لما زاد التنافس في الدنيا وكثرت المزاخمة عليها وتوجهت معظم الهمم لها ، وصار المقصود بالذات وهو الاقبال على الحق سبحانه نسيا منسيا ، حتى صارت الطاعات بسبب المقاصد السيئة كالسلاسل للنار ، ولا يثمر الثمرة المقصودة إلا حياة القلب مع خلاصه من الأمراض الباطنة كالحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وتخليص القلب من هذه الشوائب والأمراض يكون بواعظ من الله في قلب العبد ، كسماع آية من كتاب الله تعالى يتدبر معانيها ، أو سماع حديث من كلام المصطفى عليه الصلاة والسلام أو توجيه أحد الصالحين من العارفين المرشدين الدالين على الله تعالى . ويكون ذلك الواعظ سببا في حياة القلب بعد موته يبعثه ويحرضه على كل خير وينهاه عن كل شر ، ولا ينشأ في العادة إلا من دوام العمل بالاجتهاد فاحتاج أهل الطريق من المتصوفة إلى إظهار ذلك . وقد ظن بعض الناس أن الشريعة هي المأمور بها فقط « لا الطريقة » واحتج لجهله أن هذه الهيئة لم ترد في ظاهر الشرع وما ظن هذا المعترض أنه بتوانيه وأمثاله عن العمل بالشريعة هو الذي أحوج هؤلاء الأخيار إلى شدة البحث عما يكون دواء لداء هذا المعاند لتحقيقهم بكمال الإيمان ، وأنهم يحبون غيرهم ما يحبون لأنفسهم بالتخلق بالأخلاق المحمدية .

وقد ذكر العارفون نفعنا الله بأسرارهم مثالا للمرشد : أنه كالمرآة المقابلة للشمس ، فإنها تحرق الأشياء التي لا تحرقها الشمس لتوسطها بين الفاعل والقابل ، لتناسب جوهرها للمنفعل والفاعل ، فبلطافتها تأخذ القوة من النور اللطيف ، وبكثافتها توصل تلك القوة إلى الجسم الكثيف ، وأما ذات الشمس فلكمال لطافتها وعلوها لم تكن الأشياء المقابلة لها تقبل تلك القوة منها . وكذلك العقول المشتعلة والقلوب المصقولة الصافية تأخذ القوة من سبحات وجه الله الواحد القهار قبس من نوره ، وجذوة من نار محبته ، فتحرق بها ما في قلوب السالكين الأبرار من حشائش الهوى وأعشاب الشهوة والسوي والأغيار فعليك أيها العاقل بالمرشد العارف الكامل قال الله تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» ولو كان كتاب الله تعالى

بنفسه مرشدا ، لما بعث الله إلينا نبيا شاهدة ووارثة مشاهدة ، وإماما مجتهدا وأستاذة مجاهدة ، لأن في الكتاب «أي القرآن الكريم» ما كان خفية وما كان مشكلا ، وما كان ظاهرا وما كان باطنا فمن غفل عما كان مجملا أو مشكلا أو باطنا أو خفية واغتر بالتزين بما في الظواهر ، فقد خسر يوم يكشف عن ساق ويوم تبلى السرائر ، فلا ينجو من هول ذلك اليوم العظيم إلا من أتى الله بقلب سليم . ولأجل ذلك جعلوا علم الأخلاق علم

مستقلا وسموه علم القلب وحده) بأنه علم يعرف به أنواع الفضائل ، وموضوعه) الملكات النفسية من الأمور العادية وفائده) أن يكون الإنسان كاملا ، وكماله أن يكون ذا خلق حسن والخلق) هيئة راسخة للنفس تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية فإن صدرت عنها الأفعال المحمودة شرعا وعقلا سميت خلقا حسنة ، وإن كان العكس كان شينا .

ولما كان التخلق بالأخلاق الكريمة لمن لم يجبل عليها عسرا إحتاج السادة الصوفية إلى بيان ذلك . وقد أنكر طائفة من الناس الذين وقفوا عند ظاهر النصوص ولم يحيطوا بأحكام الشريعة وأسرارها كل الإحاطة على السادة الصوفية . أما لاعتقادهم صعوبة التخلق بأخلاق أهل الطريق أو لاعتقادهم أن التصوف فن مستقلا . إن شاء تعلق به الإنسان وإن شاء لم يتعلق ، بل بالغ بعض المتعنتين في الإنكار على المتعلق بأذيالهم ، ويخضن لعدم معرفته أن التصوف قاطع وشاغل للإنسان ، ومادري المنكر الجهول أن التصوف مطلوب من كل مريد أن يترقى إلى منازل الاقتراب ليكون من الأحباب . وما يذكر إلا أولوا الألباب .

وقد وفق الله طائفة من أئمة أهل التصوف نفعا الله بأسرارهم ، إلى تدوين ما حصل في الإكرام لمن صدق في التعلق وأخلص وأسلم وجهه لله ، وصدق مع أهل الطريق في سيره إلى الله . وقد دونوا ذلك لالتفات النفوس إلى تتبع أخبار غيرهم . فيروا ما أعطاه الله لهم من العطايا الجزيلة ، وتطهيرهم من كل رذيلة ، فتطمع نفسه بما جبلت عليه من حب العلو في التعلق بأذيال القوم والتخلق بأخلاقهم ، ليوفي بذلك بعض ما وجب عليه . وناهيك أن هؤلاء السادة الأعلام دعاة إلى الحق ، فهنيئا لمن جعله الله خيرا ورحمة في جميع حركاته وسكناته سفرا وحضرا حية وميتة ، فهذا وأمثاله يدخلون في قوله تعالى «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ... الآية» فذكر أحوال أهل الطريق وسيرهم وأخلاقهم وإكرام الله لهم وتوفيقهم ومصنفاتهم وما قيل فيهم وفي خلفائهم يتضمن فوائد كثيرة منها :

(١) أنه بيان أوصافهم وأخلاقهم يعلم من رأى ذلك . نقص نفسه فيحصل له التواضع الذي هو باب خيري الدنيا والآخرة ، فيكون داعية له إلى الهمة ولو رأى نفسه أنها كاملة لم يحصل له ذلك وكان عين النقص . قال بعض العارفين : من خطر له أنه استغني عن التعلم لحظة فليبك على نفسه .

(٢) ومنها أن ذلك من باب التحدث بالنعمة المأمور به منهم ومن أتباعهم حيث كان سلفهم بهذا الوصف الموجب لازديادها لدليل قول الله تعالى «لئن شكرتم لأزيدنكم ... الآية» جاء في النور الوضاء عن بعض العارفين : أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع وهو التذلل والتخضع إلا إذا دام نور تجلى الشهود في قلبه ، وذلك بنظره

لنفسه بذل العبودية ولسيده بغز الربوبية . وبذلك يكون صادقة في قوله «إياك نعبد وإياك نستعين» فيناديه مولاه سبحانه في سره : صدقت يا عبدي ، ولك ما سألت من هدايتي ومعونتي .

(٣) ومنها أنه يحصل لمن شاهد ذلك عين اليقين ، وهو ما أعطته المشاهدة والكشف بمظاهر أسماء الله ، فيزداد يقينا .

(٤) ومنها أنه بمعرفة أحوال القوم ومقاماتهم ورسوخهم يطمئن المريد إلى ما ينقل عنهم ، ولذلك دون علماء مصطلح الحديث الكتب في الجرح والتعديل ، ليجزم الشخص بما يتلقاه عن العدل الضابط الذي يثق به في نقل وصحة الحديث متنا واسنادة . وقد قال الإمام الشعراني نفعا الله بأسراره : من قرأ كتب السادة الصوفية ، ولم يتأثر بها فيها ولم يتخلق بها كان عليه القوم فهو ميت ، يعني أن القلب القاسي الذي أظلم بظلمات المعاصي والأغيار فلم ينتفع بالنصائح ولم يعمل فيه وعظ ، صار صاحبه كالميت الذي انقطع عن الدنيا بجامع عدم المنفعة في كل ، وقد جاء في الخبر « إذا أحب الله عبدا جعل له في قلبه نافحة خير ، والله يهدي من إليه أناب ، وإليه المرجع والمآب .

### فصل في أصول الطريق

روى أصحاب السنن مرفوعة عن النبي ﷺ قال «الشرعية أقوال ، والطريقة أفعال ، والحقيقة أحوال ، والتقوى رأس مالى ، والصدق دأبى ، والصبر طبيبي ، والزهد شعارى ، والامثال دثارى ، ولى ساعة لا يسعني إلا ربي» جاء في الفتوحات عن سيدي محيي الدين العربي قدس الله سره : أن أصول الطريق خمسة أشياء «تقوى الله في السر والعلانية ، واتباع السنة في الأقوال والأفعال ، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار ، والرضا عن الله في القليل والكثير ، والرجوع إلى الله في السراء والضراء» فتحقيق التقوى بالرجوع والاستغفار ، وتحقيق اتباع السنة بالتحفظ وحسن الخلق ، وتحقيق الإعراض عن الخلق بالصبر والتوكل ، وتحقيق الرضا عن الله بالقناعة والتفويض ، وتحقيق الرجوع إلى الله بالحمد والشكر في السراء ، والالتجاء إليه في الضراء . وأصول ذلك خمسة «علو الهمة ، وحفظ الحرمة ، وحسن الخدمة ، ونفوذ العزمة ، وتعظيم النعمة» فمن علت همته ارتفعت مرتبته ، ومن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمة ، ومن حسنت خدمته وجبت كرامته ، ومن أنفذ عزمته دامت هدايته ، ومن عظمت النعمة في عينه شكرها ، ومن شكرها استوجبت المزيد منها . قال الله تعالى «لئن شكرتم لأزيدنكم» .

وأصول المعاملات خمسة : طلب العلم للقيام بالأمر ، وصحبة المشايخ والإخوان في الله للمعونة على التقوى والتصبر ، وترك الرخص والتأويلات لتحفظ ، وضبط الأوقات بالأوراد ، واتهام النفس في كل شيء للخروج من الهوى والسلامة من الغلط . فطلب العلم أفته صحبة الأحداث سنة أو عقلا أو دينا ، مما لا يرجع إلى أصل ولا قاعدة ،

وأفة الصحية الاغترار والفضول . وأفة ترك الرخص والتأويلات الشفقة على النفس ، وأفة ضبط الأوقات اتساع النظر في العمل بالفضائل . وأفة اتهام النفس الأنس بحسب أحوالها واستقامتها . وقد قال الله تعالى «وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها» وقال الكريم ابن الكريم سيدنا يوسف بن سيدنا يعقوب عليهما السلام «وما أبريء نفسي إن النفس لأمرة بالسوء إلا ما رحم ربي» وقال بعض العارفين : أعلم أن النفس إذا فتحت لك بابا من الطاعة فما فتحته لك إلا لتوقعك في سبعين بابا من المعصية ، فإذا أردت أيها السالك أن تظفر بها وتغلبها فزن ما تأمرك به بميزان الشرع فإن وافق الشرع فافعله وإلا فاتركه .  
**وأصول ما تداوى به علل النفس خمسة أشياء :**

(١) تخفيف المعدة من الطعام والشراب لقوله ﷺ «إذا خلا جوف الإنسان من الطعام والشراب ملأ الله جوفه نورا» وقال ﷺ «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، ألا فضيقوا مجارية بالجوع والعطش» .  
(٢) الالتجاء إلى الله مما يعرض عند وقوعه ، والفرار من مواقف ما يخشى وقوع الأمر المتوقع فيه .

(٣) دوام الاستغفار مع الصلاة على النبي ﷺ في خلوة أو جماعة .  
(٤) صحبة من يدللك على الله .

(٥) مجاهدة النفس ، وجاء عن سيدي أبي الحسن الشاذلي نفعنا الله بحاله ومقاله ، أو صاني فقال «لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبا من المعصية ، ولا تصاحب إلا من تستعين به على طاعة الله تعالى ، ولا تصطفى لنفسك إلا من تزداد به يقينا وقليل ما هم» وقال أيضا : من ذلك على الدنيا فقد غشك ، ومن ذلك على العمل فقد أتعبك ، ومن ذلك على الله فقد نصحك . وقال أيضا ﷺ : إجعل التقوى وطنا ثم لا يضرك مدح النفس ما لم ترض العيب أو تصر على الذنب أو تسقط من خشية الله بالغيب ، قلت هذه الثلاثة هي أصول البلايا والعلل والآفات . وقد رأيت فقراء هذا الوقت قد ابتلوا بخمسة أشياء : إثارة الجهل على العلم ، والاغترار بكل ناعق ، والتهاون في الأمور والتعزز بالطريق دون العمل ، واستعجال الفتح دون شروطه . ولذلك ابتلوا بخمسة أشياء : إثارة البدعة على السنة ، واتباع أهل الغرور دون أهل الحق ، والعمل بالهوى ، والاهتمام بالسفاسف دون الحقائق وظهور الدعاوى دون الصدق ، فظهر فيهم بسبب ذلك خمسة أشياء : الوسوسة في العبادات ، والاسترسال مع العادات ، والسمع والاجتماع في عموم الأوقات ، واستمالة بحسب الإمكان ، وصحبة أبناء الدنيا حتى النساء والصبيان ، فالوسوسة بدعة أصلها الجهل بالسنة ، أو خيل في العقل والعياذ بالله تعالى ، والتوجه لإقبال الخلق إعراض عن الحق ، وصحبة الأحداث سبب للظلمة والانقطاع .

وقال الشيخ أبو مدين رحمته الله : إبحث على من يوفقك على طريقك وإن كان ابن سبعين سنة ، قال الجنيد رحمته الله : كل من ادعى مع الله حالاً ثم ظهرت عليه خمسة أشياء : فهو كذاب أو مسلوب . نسأل الله أن يحفظنا وإخواننا ومحبيننا من الكذب ومن السلب بعد العطا :

(١) إرسال الجوارح في معاصي الله . (٢) والتصنع في طاعة الله .

(٣) والطمع في حطام خلق الله . (٤) والوقية في أهل الله .

(٥) وعدم احترام المسلمين على الوجه الذي أمره به الله ، وقل أن يختم بالإسلام لمن هذا وصفه ، نسأل الله العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة .

**تنبيه :** يجب على المرید قبل اشتغاله بالذكر وبريضة نفسه أن يحصل من العقائد «التوحيد» ما يصحح به عقيدته على مذهب أهل السنة والجماعة ، وما يجتزئ به عن شبه الزائفين الملحدین ، فإن القلب إذا كان مكدره بظلمة البدعة والزيف فإنه لا يستنير بأنوار الطاعة وهذه عقيدة أكابر أهل السنة ، فيجب على كل مسلم الأخذ بها ، وهي أن يعتقد اعتقاد جازمة أن الله تعالى إله واحد منزّه عن الشريك والمعين والصاحبة والولد ، موجود بذاته من غير افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» وهو سبحانه مستغن عن كل ما سواه . ومفتقر إليه كل ما عداه . قائم بنفسه ليس بجوهر متحيز فيحتاج إلى مكان ، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء ، مقدس عن الجهات والأقطار ، مربى للمؤمنين بالقلوب في الدنيا وفي الآخرة بالأبصار . وأما رؤيته حساً ومعنى في دار الدنيا ، فهي خصوصية وزيادة تشریف لنبينا محمد صلی الله علیه وسلم المختار .

واعلم أيها المؤمن أن الله سبحانه وتعالى استوى على العرش كما قال وعلى المعنى الذي أراد ، كما أن العرش وما حواه به استوى ، له الآخرة والأولى ، ولا يؤوده حفظ المخلوقات ، وهو موجود بعلمه في جميع الجهات ، مقدس عن القبل والبعد ، فإن ذلك من صفات الزمان الذي أبدعه ، فهو سبحانه لا يحده زمان ولا يقله مكان ، بل كان ولا مكان ولا زمان ، وهو الآن على ما عليه كان «وهو معكم أينما كنتم تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ... الآية» خلق اللوح والقلم وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه فلا تتحرك ذرة إلا إليه وعنه «لا يعزب ... يعني لا يغيب ... عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين» أوجد الكل من غير حاجة إليه ، ولا موجب أوجب ذلك عليه ، إلا أن علمه قد سبق فلذلك خلق من خلق ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، لم تتعلق إرادته إلا بما أراد كما أنه لم يرد إلا ما علم ، أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، يعلم السر وأخفى ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، علم الأشياء قبل وجودها ، ثم أوجدها على حد ما علمها ، مرید لجميع الكائنات في الأرض والسموات ، فما في الوجود طاعة ولا



عصيان ، ولا ريح ولا خسران ، ولا حياة ولا موت ولا حصول ولا فوت ، ولا متحرك ولا ساكن ، ولا ظاهر وباطن إلا وهو مراد للحق جل وعلا ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء . أخرج العالم فريقين ، وأوجد لهم منزلتين ، فقال هؤلاء اللجنة ولا أبالي ، وهؤلاء للنار ولا أبالي ، لم يتصرف في ملك غيره فلا ينسب إليه الظلم والحيف ، ولا يتوجه إليه من الغير سؤال بلم أو كيف ، فهو سبحانه كما قال في كتابه العزيز «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» فإن رأيت من لم يخضع لهذا الاعتقاد : من الضالين المضلين ، فاصرف النظر عنهم وقل «فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين» واعلم أن ربك سبحانه وتعالى سميع يسمع ديبب النملة على الصخرة الصماء ويبصر السواد في الظلماء . متكلم بلا حرف ولا صوت ، عن صمت تقدم ، ولا عن سكوت متوهم وكلامه قديم أزلى منزّه عن الحروف والأصوات ، وعن جميع آلات النطق واللهات ، كما أن سمعه تعالى من غير صماخ ولا أذان ، وبصره من غير حدقة ولا أجفان ، وعلمه من غير نظر ولا برهان ، وحياته من غير بخار حدث عن امتزاج الأركان . وبالجملّة فهو سبحانه وتعالى متصف بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص إذ هو الكبير المتعال ، فلا يشبه شيئا من الحوادث ، بل كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك . وكذلك يجب اعتقاد أن الله تعالى أنبياء ورسلا مبشرين ومنذرين ، وأن سيدنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين ، بعث إلى كافة الخلق أجمعين . وقد خاطبه الله تشريفا له بقوله «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعية إلى الله بإذنه وسراجا منيرا» فبلغ جميع ما أنزله الله إليه ، وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده صلوات الله وسلامه عليه ويجب اعتقاد أن كل ما جاء به النبي ﷺ حق ، ومن جملة ما جاء به أن الموت حق ، وأن سؤال القبر حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن العرض على الله حق ، وأن تطاير الصحف حق ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء والصالحين حق ، وأن كل ما جاءت به الأنبياء عن الله حق فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهي بحمد الله عقيدتنا إلى قيام الساعة . أسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الباقية مع أحبائه الكرام الذين قال في حقهم «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» .

### مبحث في كيفية العهد والتلقين

#### ووصية الشيخ للمريد بعد العهد

**العهد معناه لغة :** التزام شيء ليوافى به ، تقول تعاهد بنو فلان على كذا وكذا .  
**ومعناه شرعا :** التزام قرينة دينية كالالتزام الأنصار رضوان الله عليهم ، أنهم يحمّون النبي ﷺ مما يحمّون منه نساهم وأولادهم ، والأصل فيه قوله تعالى «إن الذين يبائعونك إنا

يأبىعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه . ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما» وقد ثبت من فعله ﷺ وبيان شروطه : كمال الشيخ وانقياد المريـد ، ووجود التسليك . والأصل في التلقين ما رواه الطبراني والبزار وغيرهما أن النبي ﷺ لقن أصحابه الكرام كلمة «لا إله إلا الله» جماعة وفرداى ، بعد أن سبق تكرارها منهم منذ أسلموا . وروى عن شداد بن أوس ؓ قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : هل فيكم غريب ؟ «يعنى من أهل الكتاب» قلنا : لا يارسول الله ، فأمر رسول الله ﷺ بغلق الباب ، وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا وقلنا «لا إله إلا الله» ثم قال رسول الله : ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم .

وأما دليل تلقينه لأصحابه فرادى فعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت : يارسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله عز وجل وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله ، فقال رسول الله ﷺ : يا علي عليك بمداومة ذكر الله عز وجل سرا وجهرة . فقال على ؓ : كل الناس ذاكرون يارسول الله وإنما أريد أن تخصني بشيء ، فقال رسول الله ﷺ : يا على أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ، ولو أن أهل السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت لا إله إلا الله . ثم قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول لا إله إلا الله . ثم قال على : كيف أذكر يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : غمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات ، ثم قل أنت : لا إله إلا الله ثلاث مرات وأنا أسمع ، ثم رفع رأسه بين ومد صوته وهو مغمض عينيه وقال : لا إله إلا الله ، وعلى يسمع ثم إن عليا ؓ رفع رأسه ومد صوته كما سمع من رسول الله ﷺ وهو مغمض عينيه وقال : لا إله إلا الله ، والنبي لا يسمع فهذا أصل سند السادة الصوفية رضي الله عنهم في التلقين . والسر في أمر النبي ﷺ بغلق الباب إشارة إلى أن طريق القوم مبنية على السر وصفاء الوقت ، وأنه لا ينبغي أن يذكر ذلك منه بحضرة من ليس منهم ولا يعتقد فيهم .

واعلم أن فوائد التلقين ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله ﷺ وقد جاء عن بعض العارفين نفعنا الله بهم أن اجتماع القلوب وارتباطها يحل ما عقدته الأفلاك ، وأقل ما يحصل للمريد الصادق إذا دخل سلسلة القوم بالتلقين يكون إذا حرك حلقة نفسه بتوجه صادق وحضور قلب ، تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل ، فمن لم يدخل في طريقهم بالتلقين فهو غير معدود منهم ، وإذا تحرك لا يحينه أحد ، فاتحان الشيخ إذا يكون واجبا ، وقد قال بعض العارفين رضوان الله عليهم : من لا شيخ له فشيخه

الشیطان ، ومن ادعى أن يصل إلى معرفة الله حق المعرفة بدون شيخ مرشد له فقد كذب وخاب سعيه ، وقد خاب من افترى . قال الإمام الشعراني نفعنا الله بحاله ومقاله : كان

العز بن عبد السلام قدس الله سره قبل أن يجتمع بسيدي أبي الحسن الشاذلي نفعنا الله بأسراره يقول : هل ثم «يعني هناك» طريقة توصل إلى الله تعالى غير ما بأيدينا من الفقه؟ فلما اجتمع بالشاذلي عليه السلام أقر طريق القوم وقال : من أدل دليل على صحة طريق القوم وأن أهلها قعدوا على القواعد وغيرهم قعد على الرسوم ، ما يقع على أيدي أولئك القوم الكرام من الكرامات والخوارق ولم يقع على يد فقيه كرامة ولو بلغ من العلم مهما بلغ مالم يتبع طريقهم عليه السلام .

ويحسن بالمرشد أن يأمر مريده الذي يريد أن يندرج في سلك طريق القوم ، بأن يتوضأ ويصلي بنية التوبة ويقرأ فيها بما تيسر له ويهدي ثواب ذلك لأهل السلسلة جميعا وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويستمد منهم العون والفتح والقبول من الله عز وجل ، ويوصيه بما يليق به إن كان متجردا للعبادة ، أو كان متسببة ، ويجعل له من ذكر الأم يعني لا إله إلا الله ورداً معيناً لا يخل به ، ويأمره بالاستغفار مائة لقوله تعالى «وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه» ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم «إنه ليغان على قلبي وأني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» وقال «من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار» ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثير» وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «سيد الاستغفار أن تقول : اللهم انت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» رواه الإمام أحمد في سنده والبخاري في صحيحه والنسائي في سننه عن شداد بن أوس رضي الله عنه ويصلي بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة مرة بهذه الصيغة وهي «اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله» .

وقد جاء في فضل الصلاة والتسليم على صاحب الخلق العظيم ما يطول ذكره ولا يمكن حصره ، ولها فوائد كثيرة وعوائد شهيرة منها : أن أكثرنا عليه صلاة أكثرنا أزواجاً في الجنة ، ومنها : أنها تستغفر لقائلها في قبره وتقر بها عينه ، فقد روى الديلمي يرفعه إلى عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ما من عبد يصلي على صلاة إلا عرج بها ملك حتى يجيء بها وجه الرحمن فيقول الله عز وجل : اذهبوا بها إلى قبر عبدى تستغفر لقائلها وتقر بها عينه» وقال صلى الله عليه وآله وسلم «من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً ، ومن صلى على عشراً صلى الله عليه بها مائة ، ومن صلى على مائة صلى الله عليه ألفاً ، ومن صلى على حرم الله جسده على النار وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وجاعت صلواته على النبي صلى الله عليه وآله وسلم نورا» .

واعلم أن التلقين للذكر أولاً كالبذرة تغرس لتنبث فروعها بعد ثبوت أصلها في قلب الذاكر فيمتد بالورد منها بقدر همته ، والذكر نفسه مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح . وينبغي للشيخ أن يبين للمريد نسبه لئلا يجهل المريد آباءه إذا كان المريد لا يعرف سند

الطريق ، لأن من لا يعرف نسبه فهو لقيط في الطريق وربما انتسب لغير أبيه ، وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى «أدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ... الآية» والمراد بمعرفة سلسلة القوم الاقتداء بهم في مكارم الأخلاق وصدق المعاملة ، وقد قال سيدي عمر بن الفارض رحمه الله : نسب في شرع الهوى أقرب بيننا من نسب أبوي ، وذلك لأن الروح الصق بك ، فأبو الروح يليك أبو الجسم بعده ، فكان بذلك أحق بأن تنسب إليه ، وقد ورد أن المرء ابن دينه .

**وكيفية العهد :** أن يضع الشيخ يده في يد المريد بعد طهارة كل منهما ويجعل راحته على راحته ويقبض إبهامه كما نقل عن سيدي محمد الحفني نفعنا الله بأمداده ، ويستعيد بالله من الشيطان الرجيم ، ويستغفر الله تعالى ويأمر المريد بذلك ويأمره بالتوبة ثم يقرأ قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا... الآية» وقوله «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما» وقوله تعالى «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ... الآية» ويدعو له ثم يقول : اللهم أعنه واحفظه وتقبل منه ، وأفتح له باب كل خير كما فتحت على أنبيائك وأوليائك ويقول «اللهم أقبلنا وتقبل منا ، وانفعنا وأنفع بنا ، وأهدنا وأهد بنا ، وأرشدنا وأرشد بنا ، وأصلحنا وأصلح بنا ، اللهم أرنا الحق حقا وألهمنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، اللهم أقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك ، ولا تقطعنا عنك ، ولا تشغلنا بغيرك» ثم يقول : الله على ما نقول وكيل . وعند التلقين يكون المريد والشيخ كلاهما غاضا بصره ، ويقول له : أسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات ، وقل أنت بعدى ذلك ثلاثا ، ثم يستأذن الشيخ ويطلب المدد من أهل السلسلة ويكون التلقين في أذن المريد اليمنى إلا اسمه تعالى «قهارا» فيلقنه له في الأذن اليسرى كما ورد عن مشايخنا الكرام عليهم رضوان الملك العلام ، ثم يوصيه الشيخ بعد ذلك قبل أن يقوم من بين يديه وهي نتيجة العهد فيقول : اسمع مني وصيتي إليك وأعمل بها كما ألزمت نفسك عهد الله وميثاقه ، أن تتقي الله في سائر أحوالك وتخلص في جميع أعمالك ، ولا تلتفت النظر الخلق إليك في مدح وذم ، بل راقب ربك سبحانه وتعالى . وأعلم أنه مطلع على شرك وعلاانيتك ، وعليك باتباع الكتاب والسنة واقتد بأشياخك فالخير كل الخير في إتباعهم ولا تعمل لملاحظة الكرامات ، ولا تعمل خوفا من عقاب الله ولا طمعا في ثوابه ، بل أعبد ربك لأنه أهل لذلك بقصد رضاه ومحبة إليك ورفع الحجب عنك والقيام بواجب العبودية . واعلم أن الثواب حاصل لك فلا تشغل نفسك به ، لأن تحصيل الحاصل عبث ، وعليك بالزهد في الدنيا إلا ما ستر العورة أو أوى الجثة وسد الجوعة ، فإن زدت عن ذلك فاحذر أن تفتن وعليك بالورع يعني أن تعف عن كل ما فيه شبهة ، وعليك بكف الأذى إن أوذيت ، وعليك بالصبر فإنه رأس العبادة . قال الله تعالى «فاعبدوه واصطبر لعبادته ...

الآية» وارض عن الله يرض عنك ، وجالس من يدلك على الله بقوله وعمله ، واحفظ لسانك ولا تدخل فيما لا يعينك وعليك بالثقة بالله في كل حال والتوكل على الله والشكر له ، واذكر هازم اللذات «الموت» فإنه أساس الزهد ، واحذر الجدل وإن كنت محقة ، واحذر البغي وحب المدح والشهرة بالخير وعليك بالتزام الأدب مع كل مخلوق ، واعلم أن لكل مسلم بركة وسر عظيم ، ولا تيأس من رحمة الله وفرجه وإن ضاقت الأمور ، قال الله تعالى عز من قائل «فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا» ولن يغلب عسر يسرين ، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، واجتهد في كسب الحلال .

قال أبو بكر الشبلي رحمته الله : لقمة الحلال تزرع في القلب نورا ، واترك كل ما يلهيك عن عبادة مولاك ، ولا تعمل إلا بقدر كسب القوت لك ومن تعول .

واعلم أن سلفك من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ونفعنا بحلهم ومقالمهم ، كانوا كلهم أرباب حرف وصناعات ، ومع ذلك كانوا مجتهدين كل الاجتهاد في عبادة الله تعالى قد امتدحهم الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فقال جل شأنه «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب» وتفكر أيها المريد الصادق في مصنوعات الله وعود نفسك السهر ، واجعل الذكر أنيسك والحزن جليساك والزهد شعارك والورع دثارك ، ومثل الجنة عن يمينك والنار عن يسارك والصراط تحت قدميك والميزان بين يديك والرب سبحانه مطلع عليك يقول «اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسييا» واستعمل ما هو نافع لك في دينك ودنيان ، والزم الطاعة وتب إلى الله تعالى ، وابك على خطيئتك . واعلم أن مفتاح التوبة النصوح ترك المعصية . وما أحسن قول بعض العارفين نفعنا الله بأسرارهم .

فرض على الناس أن يتوبوا	لكن ترك الذنوب أوجب
والدهر تصريفه عجيب	وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر في النائبات صعب	لكن فوات الثواب أصعب
وكل ما ترتجي قريب	والموت من كل ذا أقرب

فجاهد نفسك أيها المريد الصادق في العمل بهذه الوصية ، والله يتولى هداك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

### مبحث في الذكر وأدابه والحث على استعماله

إعلم أن الذكر هو ترداد اسم المذكور بالقلب واللسان ، ولا شيء أقرب الطريق الوصول إلى الله عز وجل منه ، فهو علم على وجود ولاية العبد المشتغل به ، فمن وفق للذكر أعطى منشور الولاية ، ومن سلب عنه الذكر فهو معزول عن الولاية قال بعضهم :

والذكر أعظم باب أنت داخله      لله فاجعل له الأنفاس حراسا

وقال الأستاذ القشيري نفعا الله بأسراره : الذكر عنوان الولاية ، ومعيار الوصلة ، وعلامة صحة البداية ، ودلالة ضياء النهاية . وعن بعض العارفين قدس الله سره : إذا أراد الله أن يولى عبده فتح له باب ذكره ، فإذا تلذذ بذكره فتح له باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس بالله ، ثم أجلسه على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار القرب ، وكشف له عن الجلال والعظمة ، فإذا وقع نظره وبصره على الجلال والعظمة خرج من حسه ودواعي نفسه فكان تحت حكم ربه ، لا تحت حكم نفسه ، وقد ورد الحث على ملازمة الذكر ، قال تعالى عز من قائل « فاذكروني أذكركم » وقال « واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » وقال « فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » وقال جل شأنه « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ... الآية » وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل في الحديث القدسي « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه ، وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ « من عجز منكم عن الليل أن يكابده ، وجبن عن العدو أن يقاتله ، وبخل بالمال أن ينفقه فليكثر ذكر الله » وقال ﷺ « ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال ﷺ « ذكر الله » .

وروى أصحاب السنن عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في مسجد المدينة فقال « إن لله سرايا من الملائكة تجول وتقف في مجلس الذكر فإذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا » قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال ﷺ « مجالس الذكر ، اغدوا وروحوا في ذكر الله ، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإن الله ينزل العبد حيث أنزله من نفسه » وعن عبد الله بن بشير : أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام كثرت على فأمرني بشيء أثبت به ، فقال رسول الله ﷺ « لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى » وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ « من أكثر ذكر الله برىء من النفاق » وقال ﷺ « أكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون » رواه البيهقي في شعب الإيمان .

واعلم أيها المريد الصادق : أشرق الله في قلبي وإياك شمس المعرفة والحقائق ، أن الذكر على ثلاثة أوجه :

- (١) فذكر الحروف بلا حضور ذكر اللسان .
- (٢) وذكر الحضور في القلب هو ذكر القلب ومعنى الحضور أن يصدق قلبه لسانه ويعتقد

صحة ما تلفظ به لسانه . فعندما يتلفظ الذكر بلا إله إلا الله فليعتقد بقلبه أنه لا معبود في الوجود بحق إلا الله .

٣) وذكر الغيبة عن الحضور في المذكور هو ذكر السر . فأول ما يكون الذكر أولا باللسان ، ثم يستولى على القلب ثم يستغرق بالمذكور ، ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه إلى الذكر مع وجود الحضور ، ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه إلى الذكر مع وجود الغيبة عن سوى وهذه مرتبة العارفين المحققين من الأولياء ، قال تعالى «واذكر ربك إذا نسيت» . إذا نسيت غيره وفنيت عن الأكوان وبقيت بالكون جل شأنه ، فترك ذكر الغير هو الأساس لكل خير ، فإن نسيت ماسواه به كنت ذاكرة لله حقا . قال العارف بالله السمنودي رحمه الله : إذا ذكرت الله بلسانك ذكر مع لسانك الجمادات كلها ، فإذا ذكرت بقلبك ذكر مع القلب الكون وما فيه من عوالم الله ، وإذا ذكرته بروحك ذكر معك حملة العرش ومن طاف به من الملائكة الكروبيين والأرواح المقربين ، وإذا ذكرت بسرك ذكر معك من فوقهم من العوالم إلى أن يتصل الذكر بالذات العلية المقدسية المنزهة . ومن ذاق عرف ، ومن جاهد شاهد .

قال بعض العارفين نفعنا الله بأسرارهم :

ولما رفعنا الستور بمجلس	وضاعت لنا من عالم الغيب أسرار
وطافت علينا من هناك مدامة	يطوف بها من حضرة الله خمار
تخامر أرباب العقول بحسنها	فتبدى لنا عند المسرة أسرار
فلما شربناها بأفواه كشفنا	أضاعت لنا منها شمس وأنوار
رفعنا حجاب العبد بالقرب عنوة	وجاءت إلينا بالبشائر أخبار
وغبنا بها عنا ونلنا مرادنا	ولم يبق منسا بعد ذلك آثار
وخاطبنا في سكرنا عند صحونا	كريم قديم فائض الجود جبار
تجلى لنا حتى رأيناه جهرة	بعين فؤاد لا تواريه أستار

**فيجب على المريد** أن يكون الذكر نصب عينه ، ولا يصرف نفسه عنه طرفة عين ، ويستوعب جميع أوقاته في الذكر . وإذا رأى مجلس الذكر بادر إليه لئلا يكون من المعرضين والمستكبرين أعاذنا الله من الإعراض والاستكبار ، قال الله تعالى «ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» نسأل الله تعالى أن يوقظنا من الغفلة ، وأن يقطع عنا كل ما يشغلنا عن ذكره .

**واعلم أيها المريد الصادق** أن الذكر جائز على كل حال سرا كان أو جهرا وسواء كان من قيام أو من قعود أو على الجنب ، ويجوز سواء بالألفاظ وبأنواع الكلام لفظية كان أو لغوية والكلام اللغوي كلما أفهم سواء بالعقد أو النصب أو الإشارة فاذا ذكر الله في كل وقت وعلى

أي حال بأي كيفية ، مادمت مقتدية بالسادة الصوفية الثقات الأخيار ، ولا تنظر إلى أقوال المعترضين والمنكرين فإنهم ليسوا من الله في شيء ، وما ذلك إلا لقصورهم وعدم إمامهم بفروع الشريعة فضلا عن أصولها وأسرارها وينطبق عليهم قوله تعالى «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه» ومن اعتراضاتهم قولهم أن رفع الصوت بالذكر حرام ويستدلون بقوله تعالى «واذكر ربك في نفسك» وقد أجيب بأنها مكية كآية الاسراء «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ... الآية» نزلت لئلا يسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله فأمر به سرا للذريعة كما نهي عن سب الأصنام لذلك . وحيث زالت العلة جاز ما كان ممتنعا لأجلها وهو الجهر بالذكر فاندفع ما توهمه أولئك المعترضون وخسر هناك المبطلون . وبعض شيوخ الإمام مالك وابن جرير وغيرهم حملوا الآية على الذكر حال قراءة القرآن تعظيمة له ، وقالوا يدل عليه اتصالها بقوله تعالى «وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون» .

وعن أئمة السادة الصوفية أن الأمر في الآية الشريفة خاص به ﷺ ، وأما غيره ممن هو محل للوساوس والخواطر الرديئة فمأمور بالجهر لأنه أشد في دفعها ، وأما استدلال هؤلاء المعترضين بقوله تعالى «وادعوا ربكم تضرعا وخفية أنه لا يحب المعتدين» فالآية الشريفة مختصة بالدعاء إذ لو لم تكن مختصة بالدعاء لزم اشتغالها على الإسرار في الصلاة والخطبة والأذان والاقامة والتلبية في الحج ، وهي مواضع يتعين فيها الجهر فيفرون من ورطة ويقعون في أخرى ، نعوذ بالله من زيغ المنكرين وشبه المتعنتين . وقد فسر العلماء الجهر في غير موضع والخفية بالسر : فمنها قول الحافظ ابن حجر في فتح الباري والقاضي عند قوله تعالى «تدعونه تضرعا وخفية» يعني معلنين ومسررين ، أو إعلانا وإسرارا ، ومال إليه العلامة أبو السعود في تفسيره والفاضل ابن الكمال والنسفي في المدارك ، وكذا روى عن قتادة . والاعتداد بالجهر بالدعاء مردود بان الراجح من تفسيره التجاوز عن المأمورية أو الاختراع فيما لا أصل له من الشرع . وأما استدلال أولئك المعترضين بحديث «خير الذكر ما خفي» فليس بثابت عند الحفاظ ، وعلى فرض صحته لا يدل على أن الجهر بالذكر غير جائز ، بل يدل على أفضليته حيث خيف الرياء أو تأذي المصلي أو النائم . وذكر أهل العلم على أن الجهر أفضل إذا خلا مما ذكر ، لأنه أكثر عملا ولتعدى فائدته إلى السامعين ويوقظ قلب الذاكر ، ويجمع همته إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم والشيطان ، ويزيد النشاط . وأما استدلال المعترضين بقوله ﷺ «إربعوا على أنفسكم أنكم لم تدعوا أصم ولا غائبا ... الحديث» فمعناه ارفقوا ولا تجهدوا أنفسكم فإن الرفق يكون عند الإفراط هكذا فسر شرح الحديث . ومنهم من لم يمنع منه حيث وجد لذة الشهود وغلب عليه الوجد من الذكر أو مؤول بتأويلات حسنة ، منها كونه وقت إغارة العدو فيكون إخفاء الصوت فيه خدعة وهي مطلوبة في الحرب ، هكذا أوله الحافظ ابن حجر وابن الكمال والعيني .



ولنا أن نرد على أولئك المعترضين فنقول لهم : أنتم تمنعون أهل الذكر عن رفع الصوت بهذا الحديث فلم لا تمنعون أنفسكم عن قراءة فارح الفرج ، وتدعون الله على المنارة بصوت مرتفع ؟ وأما قولهم إن الذكر برفع الصوت بدعة فنقول : إن البدعة مالم يكن في عهد رسول الله ﷺ ولم يكن في عهد الصحابة رضی الله عنهم أجمعين ، ولم يوافق حديثاً ولم تجتمع عليه الأمة ولم يره المؤمنون حسناً ، فرفع الصوت بالذكر كان في عهده ﷺ ثابت بالأحاديث الصحيحة ، منها ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته ، ومنها ما أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل في الحديث القدسي : يقول الله تعالى «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرتني في ملا خير منه» والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر . وأما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رأى قوما يهللون في المسجد فأخرجهم ، فهذا أثر عن ابن مسعود يحتاج إلى بيان سنده . قال العلامة جلال الدين السيوطي حافظ عصره في مصره ، وفي رسالته المسماة «نتيجة الفكر في الجهر بالذكر» فإن قلت قد نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رأى قوما يهللون في المسجد فأمر بإخراجهم ، قلت فهذا الأثر يحتاج إلى سند وإلى بيان من أخرجه من الحفظ «المحدثين» وكيف أخرجهم من المسجد ومنعهم من ذكر الله وهو صحابي جليل يعلم أن مانع ذكر الله في المسجد من أظلم العباد كما قال تعالى مخبر عنه بقوله «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ... الآية» وعلى تقدير ثبوته فهو معارض بالأحاديث الكثيرة ، ومع ذلك فقد نص الإمام أحمد في كتاب الزهد بسنده الصحيح قال : حدثنا المسعودي عن عامر عن سفيان بن وائل قال : هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله ابن مسعود كان نهي عن الذكر ، ما جالست عبد الله مجلساً قط إلا ذكر الله تعالى فيه أه . من كلام السيوطي بلفظه .

فعلى المدعي تصحيح ما نقل صحته . وإن ثبت عنه ما روى فلعله أخرى لالعة الجهر لأنه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فكيف يحمل فعله على مخالفتهم وهو معهم يرفع صوته عند انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالذكر والتكبير ، ومعلوم لديه أن الصحابة كانوا يرفعون أصواتهم في منى بالتكبير حتى يسمع أهل الأسواق تكبيرهم فيكبرون بتكبيرهم . وفي بستان النوار والأذكار للنووي قدس الله سره في باب الأذكار أن النبي كان يجهر مع الصحابة رضوان الله عليهم بصوته بالأذكار والتسبيح والتلهيل .

**لطيفة :** في الجهر بالذكر لا سيما وإن كانت نية القوم جلب الخلق إلى ذكر الله وتنبية الغافل فتكتب لهم بذلك حسنات ، فيصيرون بذلك من خير الناس كما نطق به أفضل الخلق ﷺ «خير الناس أنفعهم للناس» وأخرج البيهقي عن جابر ومنها أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل : لو أن هذا خفف من صوته كان أولى فقال رسول الله ﷺ «دعه فإنه

أواه» وذلك الرجل يقال له ذو البجادين «أي الكساعين» واسمه عبد الله ذو البجادين ، وكان دليل النبي و ذكره في القاموس (أنظر ١١، ٠١ من كتاب حجة الذاكرين ورد المنكرين للعلامة ابن عبد القادر الأربلي رحمته الله) وقد روى أن أناسا كانوا يذكرون الله تعالى عند غروب الشمس يرفعون أصواتهم بالذكر ، وإذا خفتت أرسل إليهم عمر بن الخطاب رضي أن نوهوا بالذكر «أي ارفعوا أصواتكم» وأما قول المعترضين : الذكر بغير لفظ الجلالة وبغير الجلالة وبغير كلمة لا إله إلا الله غير جائز . فهذا الكلام لا يصدر عن عالم ، أما سمعوا قوله تعالى «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ... الآية» وأما إنكار المعترضين على الذكر قائما وبالحلق فنقول لهم : كيف يذكر الذكر من قيام مع قول الله تعالى «الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ... الآية» فإن قالوا هذا مختص بالصلاة ، نعم قال بعض المفسرين هذا القول لكن عند أكثر المفسرين أن حكم الآية الشريفة عام شامل للذكر والدعاء والصلاة . ويؤيده قوله تعالى «فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم» كذا ذكره العلامة السيوطي . وأما اعتراضهم على الذكر بالحلق فنقول لهم : هذا الذكر مشروع بأفعال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإجماع الأمة كما صدر هذا الذكر عن سيدنا زكريا وسيدنا إبراهيم الخليل والخضر عليهم السلام أولاً ، وشرع أيضا من نبينا عليه السلام ثانياً في غار حراء جهره حتى وصل صوته عند اشتغاله إلى ثمانية عشر فرسخا كما صرح به الإمام شرف الدين في فتاويه ، وأن مشايخ الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين هم أطباء القلوب ، فعرفوا أن من الحلق إلى القلب الصنوبرى مجرى متصل إليه ، فباشتغال الذكر بالحلق تحصل فيه حرارة وتصل إليه فتذوب الشحم والظلمة الحاصلة من كثرة الذنوب وكثافة الأغذية ، فيصفو القلب من ظلماتها ، فيشتعل حينئذ نور الذكر في القلب ، وكذا في الزبدة وبستان المحبين .

وقد ذكر في فتاوى الحديقة : أن سيدنا الخضر عليه السلام حضر ذات يوم في خلوة خواجه ، يعنى العارف أحمد بسوى قدس الله سره بقصد تعليمه ، فبينما هو جالس معه إذ دخل جماعة من أصحابه وكانوا يحبون اللحم والطعام الدسم ، فقال الخضر عليه السلام للشيخ عليه السلام : أصحابك هؤلاء أخذ سواد الأستار بأطواف قلوبهم ، وصارت قلوبهم محجوبة عن آثار الرحمة وأنوار المعرفة ، ولا يزول ذلك إلا بذكر الأرة ، وأخذوا ذكر الأرة من أرة سيدنا زكريا عليه السلام وهي حركة من الحلق والقلب ، تتحرك بسببها جميع الأعضاء والمفاصل فيكون الذكر على هذه الكيفية أليق خصوصاً للمبتدئين لأنه يحرق حجب القلوب ويصفيها من أكدار البشرية . وأما قول أولئك المعترضين أن زماننا هذا كثرت فيه الذنوب وعدم المبالاة بطهارة القلب ويدخلون حلق الذكر بغير وضوء مع كثرة ذنوبهم وحضور الشبان المرد بينهم ، فنقول لهم : لا نترك أفعال الخير بسبب كثرة الذنوب ، فربما يحصل له «أي للذاكر» أجر جزيل ، وبسبب الذكر يبدل الله سيئاتهم حسنات . وقد أخرج الإمام أحمد في كتاب

الزهد عن ثابت البناني قدس الله سره قال : إن أهل الذكر ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام مثل الجبال وانهم ليقومون من ذكر الله ما عليهم منها شيء ، وأما قولهم أن النظر إلى الأمر حرام فنقول : إنه حرام إذا كان النظر إليه بشهوة ولغرض فاسد ، وترك المفسدة يكون مقدمة على الإتيان بالمصلحة إذا كانتا متساويتين في الحل والحرمة ، كذا أو كان الضرر أعظم فحينئذ يقدم ترك المفسدة على الإتيان إلى المصلحة ، وكذا ذكره صاحب المواقف ، ودفع الضرر الأعظم عند التعارض واجب . وقال في طوابع الأنوار للتلمساني : ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير ، ولا شك أن الاجتماع في الذكر له مزايا كثيرة ومصالح عديدة فاعتبروا يا أولي الأبصار .

وأما إنكار المعترضين على الدوران والرقص في حلق الذكر ، وقولهم أنه حرام ولعب وعبث ويستدلون بحديث ينسبونه للشيخ الشفيق : أن السماع حرام ومن حلل السماع فهو كافر ... الخ فنرد عليهم بقولنا : إن الدوران والرقص في حلق الذكر ليس بعبث ولا لعب ولا حرام ، لأن العبث أن يفعل ما ليس فيه لذة ، وفي اللعب يفعل ما فيه لذة ، وما يفعله فقراء السادة الصوفية ليس من هذا القبيل بل فعلهم فيه غرض شرعي صحيح ، وهو استحضر القلب بخلوصه للذكر ، ولا شك أن هذا من أفضل الأعمال . ومن القواعد المشهورة في كتب الأئمة وأصولهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، أن الأمور بمقاصدها والشيء الواحد تارة يتصف بالحل وتارة يتصف بالحرمة باعتبار ما قصد له لما رواه الشيخان البخاري ومسلم في قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات» ومدار غالب أحكام الاسلام عليه كما نص عليه الأفاضل من العلماء ، خصوصاً إذا كان في أيدي الصوفية سند لفعلهم ، وأما دورانهم وأخذ أيدي بعضهم بعضاً فجائز ، لما رواه النقاش في الأثر : لما أهبط الله سبحانه وتعالى آدم السلام إلى الأرض بكى ثلاثمائة عام ، فأوحى الله تعالى إليه : ما يبكيك؟ قال : يارب لست أبكي شوقاً إلى الجنة ولا خوف من النار ، ولكن أبكي على فراق الملائكة الطوافين حول العرش وهم سبعون ألف صف جرد مرد يرقصون ويتواجدون ، كل منهم قد أخذ بيد صاحبه يقولون بأعلى صوتهم : من مثلنا وأنت ربنا؟ من مثلنا وأنت حبيبنا؟ ذلك دأبهم إلى يوم القيامة ، فأوحى الله إليه : أن إرفع رأسك يا آدم فانظر ، فرفع رأسه إلى السماء فنظر إلى الملائكة وهم يطيطرون حول العرش فسكن روعه . قالت السادة الصوفية نفعا الله والمحيين بحالهم ومقالهم : فقلد إخواننا في السبب وأصحابنا من أهل السماء في المذهب . وأما رقص السادة الصوفية في مجالس أذكارهم فلا يخلو أن يكون عن وجد أو عن غير وجد ، فإن كان عن وجد فلا شبهة في جوازه . وما ألطف إنشاد بعض العارفين نفعا الله بأسرارهم في هذا المعنى :

فقل للذي ينهي عن الوجد أهله      إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا  
فإننا إذا همنا وطابت نفوسنا      وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقاء      ترقصت الأشباح يا جاهل المعنى  
فياحادي العشاق قم واحد قائماً      وزمزم لنا باسم الحبيب وروحنا

والرقص لا يكون حراماً إلا إذا كان في مجالس فسق وإذا لم يكن في مجالس فسق بل كان في مجلس لعب وهو جاز . وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تنظر إلى الحبشة في المسجد وهم يرفنون «يعنى يرقصون» والنبي ﷺ يسترها بردائه الخ .. وأما قول المعترضين أن السماع حرام الخ .. فنرد عليهم قائلين : أن السماع على ثلاثة أقسام : محرم ، ومباح ، ومندوب . فمن غلبت عليه شهواته وتكدرت بواطنه وفسدت مقاصده فلا يحرك السماع إلا ما غلب عليه من ذميم الصفات ، فيكون السماع في حقه حرام . ومن تحرك بالسماع وفي قلبه محبة زوجته أو تذكر به غائباً أو ميتاً فيثير أشجانه فيستريح بما يسمعه ، فالسماع في حقه مباح . ومن غلب عليه حب الله تعالى والشوق إلى الله ، واستدعاء الأحوال الشريفة والمقامات العلية ، فالسماع له وفي حقه مندوب ، بل قال الإمام الغزالي قدس الله سره أنه واجب ، وسماع الصوفية من هذا القبيل فهو محمود . وأما الحديث الذي يستدل به المعترضون على تحريم السماع فهو كذب وباطل ، وموضوع على النبي ، ولا يدري أحد من العلماء المحققين أهل الرواية والدراية ما هو بحر العلق ولا من هو الشيخ الشفيق ، فهذا الحديث كذب لا أصل له ، وقد جاء في الحديث الصحيح في رواية البخاري عن النبي ﷺ قال «من كذب علي متعمداً فليتبوا مقعده من النار» وأما إعتراض المنكرين على الذاكرين من السادة الصوفية ، وقولهم بتكفيرهم وتفسيق من يحضر مجلسهم ، فكلام هؤلاء المعترضين المبطلين مردود عليهم لمخالفتهم أهل المذاهب ، فإن قال ذلك المعترض عن تصميم واعتقاد مفترى على أولئك الأخيار ، فلا يخفي إثمهم بل كفره ، لأن من كفر مسلماً من اعتقاد بلا تأويل فقد كفر ، وإن قال ذلك بما اشتمل عليه فعلهم من الرقص والسماع فهذا لا يقتضي التأثيم فضلاً عن التكفير . فيقال لهذا المعترض المنكر : أنك يا هذا تخاف عليك من الخروج عن دائرة الإسلام ، إذ يلزم من قولك تكفير أئمة الأنام ، وهو باطل وافتراء «ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً» .

**وفي الخلاصة وغيرها :** إذا كان في المسألة وجوه أوجب التكفير ووجه واحد يمنع التكفير فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير ، فكيف تقولون أيها المعترضون بتكفير السادة الصوفية وهم قوم أخيار ، يجتمعون على طاعة وعبادة من ماثر النبي ﷺ وماثر الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع من جماعة من كبار الأئمة ، منهم شيخ الإسلام سلطان العلماء العز بن عبد السلام كما ذكر ذلك العلامة ابن حجر في فتاويه ، وما أنتم أيها المعترضون المنكرون بأثبت من هؤلاء العلماء الراسخين ، ولا أنتم بمؤتمنين مثلهم في حمل الأمانة عن الله ورسوله . فأنتم مفتونون مغترون «ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً» وقد صح أن سيدنا

عمر بن الخطاب رضي الله عنه تواجد بين يدي النبي ﷺ وسقط مغشيا عليه وقد غاب عن إدراكه . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يأخذ الجبار تبارك وتعالى سمواته وأرضيه بيديه جميعا فيجعل بقبضهما وببسطهما ثم يقول عز وجل : أنا الجبار وأنا الملك أين الجبارون وأين المشركون ؟ » ويميل رسول الله ﷺ عن يمينه وعن شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفله شيء منه حتى أني أقول : أساقط هو برسول الله ﷺ . وليس الوجد والتواجد من خصوصيات النبي ﷺ بل لكل مؤمن إذا ذكر الله وجل قلبه فهو ثابت بنص قوله تعالى « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون » ولا من خصوصيات الخواص . فربما يحصل للعوام حتى تذوب قلوبهم « فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين » وعن أنس رضي الله عنه أنه قال « كنا جلوسا عند النبي ﷺ إذ نزل جبريل عليه فقال : يا رسول الله إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ، ففرح النبي ﷺ من هذا الكلام ، وقال : أفیکم من ينشدنا ؟ فقال بدوي : نعم يا رسول الله ، فقال : هات ، فأنشد البدوي :

قد لسعت حية الهوى كبدي      فلا طبيب لها ولا راقى  
إلا الحبيب الذي شغفت به      فعنده رقيتى وترياقى

فتواجد النبي وأصحابه الكرام حتى سقط رداؤه المبارك عن منكبيه ، فلما فرغوا من التواجد أوي كل واحد إلى مكانه فقال معاوية بن أبي سفيان : ما أحسن لعبكم يا رسول الله فقال النبي ﷺ : مه يا معاوية ، ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب » وأورد هذا الحديث الإمام الغزالي وغيره من المحققين . وقد روى الحافظ أبو نعيم في الحلية بسنده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أنه وصف الصحابة يوما فقال : كانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في اليوم الشديد الريح ، وجرت دموعهم على ثيابهم (أنظر ص ٢٣ من حجة الذاكرين للأربلى) .

**وأما قول المعتضيين :** أن سعيد بن المسيب مشي ودار وسقط في حال الذكر في عهد رسول الله ﷺ فقال : أذبحوه أو لا أبرح حتى يلقي عليه عمود ... الخ . فهذا كذب موضوع ، فإن سعيد بن المسيب قدس الله سره لم يدرك النبي ﷺ بل ولد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لستين مضتا من خلافته . وذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات : أنه تابعي وليس بصحابي ، فانظر ما أجهل هؤلاء المنكرين وما أكذبهم على رسول الله ﷺ . وكيف يجدد إيمانه من إتيانه بذكر الله تعالى مع أن ذكر الله تعالى هو سبب لحصول الإيمان ، وكيف ينهي النبي ﷺ عما جاء داعية إليه ، وقال ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » وكيف يجوز لمسلم أن يشبه أخاه المسلم الذي يذكر الله تعالى بعبدة العجل أتباع السامري وكيف يشبه الذاكرين بالكافرين ، وقد قال الله تعالى « أفنجعل

المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون» فهذا الذي تزعمون أنه روي عن الطحاوي والطرطوشي أمور باطلة غير صحيحة ، وهي كذب وافتراء على العلماء وأئمة الدين ، وكيف يتصور ممن يؤمن بالله واليوم الآخر أن

يحكم بأن الخشوع القلبي بذكر الله تعالى منكر حرام ، والله سبحانه وتعالى يقول «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» ويقول عز من قائل «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» والله در العلامة على جلبي رحمه الله حيث ورد في رسالته طعن الطحاوي وقول صاحب جمع الفتاوى وقول صاحب البزازية والطرطوشي ورد على كل منهم فمن أراد البحث فليرجع إلى تلك الرسالة ومعلوم أن سوء الظن بالمسلم حرام قطعاً ، والتأويل واجب في أقواله وأفعاله كما قال به العلماء المحققون ، وقال به العلامة البزدوي القهستاني ، وفي رد المحتار على الدر المختار : ثم أعلم أيها المريد الصادق أنه لا يحصل لك الفتح إلا بالتخلق بأداب الذكر ، وأجمع مشايخ ساداتنا الصوفية نفعا الله بأمدادهم على أن الذاكر يحصل له الثواب ودخول الجنة ولا يصل إلى حضرة ربه جل وعلا إلا أن صحبة أدب في تلت العبادة ، ومراد القوم ذوي الهمم العالية القرب من حضرة الله تعالى الخاصة المصطلح عليها عندهم ومجالسته فيها من غير حجاب وإلى ذلك الإشارة في الحديث القدسي قال الله تعالى «أنا جليس من ذكرني» يعني ذكرني على وجه الأدب والحضور ، وإلى ذلك يشير النبي ﷺ بقوله «أدبني ربي فأحسن تأديبي» والمراد بالمجالسة انكشاف الحجب للعبد أنه بين يدي ربه عز وجل وهو يراه ومطلع عليه ، فمتى أدام العبد هذا الشهود فهو جليس الله ، فإذا غاب عن ذكر الشهود خرج من حضرة الله فانهم تغنم . أشعل الله في قلبي وقلبك سراج المعرفة ، فليس المراد بحضرة الله مكانا مخصوصا في السموات أو في الأرض كما قد يتوهم ضعفاء الإدراك ، فإن الله سبحانه وتعالى لا يحويه مكان ولا يمر عليه زمان ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وما ألطف ما أنشد بعض العارفين في هذا المقام العالی :

ولما تجلى من أحب تكرما	وأشهدني ذاك الجمال المعظما
تعرف لي حتي تيقنت أننا	أراه بعين جهرة لا توهمنا
وفي كل حال أجتليه ولم يزل	على طور قلبي حيث كنت مكلما
وما هو في وصلی بمتصل ولا	بمنفصل عني وحاشاه منهما
وما قدر مثلي أن يحيط بمثله	وأين الثرى من رفعة البدر منهما
أشاهده في صفو سرى فأجتلى	جمالا تعالى الله عن أن يقسما
كما أن بدر التم ينظر وجهه	بنور مضيء وهو في أفق السما

وأعلم أن للذكر آدابا كثيرة ، أنهاها بعض العارفين إلى ألف أدب ، لكن قالوا يجمع هذه الآداب كلها عشرون أدبا ، فمن لم يتخلق بها فيبعد عليه الفتح . فخمسة سابقة على الذكر

وأثنا عشر حال الذكر ، وثلاثة بعده .

**فأما الخمسة السابقة على الذكر :** فأولها التوبة وحقيقتها الرجوع ، يقال تاب إذا رجع ، وشرعا : الرجوع إلى الله عن ما هو مذموم في الشرع إلى ما هو محمود فيه ، وشرطها الندم على ما عمل من المخالفات والاقلاع عن الذنوب في الحين ، والعزم على عدم العود إلى الذنب وقال بعضهم : صدق التوبة مخافة الجليل ، والعمل بما في التنزيل والاستعداد للرحيل . ومن أركان التوبة : رد المظالم إلى أهلها بكل ما يمكنه إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، ومن شروطها أيضا : ترك معاشرة قراء السوء وهم أصحابه الذين كان يشاركهم في اقتراف المعاصي ويوافقهم عليها وما أطف قول بعض الفضلاء في هذا المعنى شعرة :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه      فكل قرين بالمقارن يقتدى  
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم      ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى  
فمن عاشر الفساق صار أسيرهم      ومن المحقق أنه لا يهتدى  
وعن أبي الليث السمرقندي قدس الله سره من جلس مع ثمانية أبتلى بثمانية :

- (١) فمن جالس الأغنياء زاده الله حب الدنيا والتكالب على جمعها .
- (٢) ومن جالس الفقراء زاده الله الشكر والرضا بما قسم له .
- (٣) ومن جالس النساء زاده الله الاستخفاف به والمزاح .
- (٤) ومن جالس الصبيان زاده الله الحب والشهوة .
- (٥) ومن جالس الحكام زاده الله الكبر وقسوة القلب .
- (٦) ومن جالس الفساق ابتلى بتسويق التوبة والجرأة على المعاصي .
- (٧) ومن جالس العلماء زاده الله العلم والعمل به .
- (٨) ومن جالس الأولياء والصالحين زاده الله الرغبة في الطاعة والزهد في الدنيا ورزقه حلاوة الإيمان .

وعلاوة التوبة كما ذكره العلامة الشرنوبى في شرحه على تائية السلوك وأورده الإمام الغزالي في الأحياء وأورده العارف السمنودي في كتابه «تحفة السالكين» أن تحيى ما كان عندك ميتا وتميت ما كان عندك حيا ، وتحضر من كان عندك غائبا وتغيب من كان عندك حاضرا ، تحيى القلب بالتوحيد ، وتميت النفس عن هواها ، وتغيب أهل الدنيا الذين يضلونك عن سبيل الله أي تعتزلهم ، وتحضر أهل الموت وتراقبه في كل لحظة ، وأن تلقى الدنيا وراء ظهرك ، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة . **(الثاني)** الطهارة الكاملة من غسل أو وضوء . **(الثالث)** السكون والسكوت ليحصل له الصدق في الذكر بأن يشتغل قلبه بالله ويقول : الله بالفكر دون اللفظ حتى لا يبقى له خاطر مع غير الله لخبر «إن الله غيور لا يحب أن يذكر ويذكر معه غيره ، ثم يتبع اللسان القلب» . **(الرابع)** أن يستمد عند شروعه في الذكر

بهمة شيخه بأن يشخصه بين عينيه ليكون رفيقه في السير إلى الله تعالى . **(الخامس)** أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده حقيقة من رسول الله ، لأنه الواسطة بينه وبينه وأما الآداب الاثنا عشر التي حال الذكر :

**(فالأول)** جلوسه في مكان طاهر .

**(الثاني)** وضع راحتيه على ركبتيه كجلوسه للصلاة .

**(الثالث)** تطيب مجلس الذكر بالرائحة الطيبة وكذلك ثيابه .

**(الرابع)** لبس الملابس الطيبة التي من مال حلال .

**(الخامس)** اختيار المكان المظلم إن كان وحده لقطع الشواغل . وأما إن كانوا جماعة فينبغي أن يجلسوا في محل مضاء بالنور خوفا من عدو متربص أو حية أو عقرب أو نحو ذلك .

**(السادس)** تغميض العينين لأن الحواس الظاهرة إذا انسدت فإنها تنفتح حواس القلب .

**(السابع)** أن يتخيل شيخه بين عينيه وهذا أكد الآداب عند القوم .

**(الثامن)** الصدق في الذكر حتى يستوي عنده السر والجهر .

**(التاسع)** الاخلاص وهو تصفية العمل من كل شائبة .

**(العاشر)** أن يختار من صنع الذكر «لا إله إلا الله» فإن لها عند العارفين تأثيرا لا يوجد في غيرها من الأذكار .

**(الحادي عشر)** استحضار معنى الذكر بقلبه .

**(الثاني عشر)** الخشوع والتزام الأدب بأن يخشع بقلبه وجوارحه .

**وأما الثلاثة التي بعد الذكر :**

**فأولهما)** أن يسكن إذا سكت ويخشع ويحضر مع قلبه مترقبة الوارد الذكر فلعله يرد عليه وارد يعمر به باطنه أكثر ما تعممه المجاهدة والرياضة في ثلاثين سنة فترقب هذا الوارد

من نفحات الله تعالى المشار إليها في قوله ﷺ «إن لله في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها»

وهذا الوارد إما أن يكون وارد زهد فيرغب عن الدنيا ولو اجتمعت بين يديه ، أو تحمل

أذى كما لا يتحرك الجمل من نفخ ناموسة ، وأن يخلص في عبادته لله تعالى لا ينتظر بها

ثوابه بل يرجو رضا الله عنه . وقال بعضهم في قوله تعالى «إنما الصدقات للفقراء

والمساكين» سر عظيم لأرباب القلوب ، ففي هذه السكينة وترقب الوارد يكون وقت تجلي

المنعم جلا وعلا على قلب عبده المسكين الخاشع المتأدب .

قال الإمام الغزالي : ولهذه المسكنة ثلاثة شروط :

(١) أن يستحضر العبد أن الله مطلع عليه وهو في قبضته وبين يديه .

(٢) وأن يجمع حواسه بحيث لا يتحرك منه شعرة واحدة كحال الهرة عند اصطيد الفأرة .

(٣) وأن ينفي الخواطر كلها ، ويجري معني الله الله على قلبه .

**(الثاني)** أن يكتم نفسه من ثلاثة أنفاس إلى سبعة بحسب عزمه حتى يدور الوارد في جميع



عوالمه فتستنير بصيرته .

**الثالث)** منع شرب الماء عقب الذكر ويصبر على الأقل نصف ساعة فإن الذكر يورث حرقة وهيجانا إلى المذكور الذي هو المطلوب الأعظم من الذكر ، وشرب الماء يطفئ تلك الحرارة .

**تنبيه :** ينبغي للمريد أن يقضي مصالحه الشاغلة التي تمنعه عن الحضور في الذكر حتى يكون قلبه فارغا مما سوى الله تعالى ، كما يلزم الذاكر تطيب فمه بالسواك والعطريات ، ويندب له لبس الطيب والأبيض وإذا دخل مجلس الذكر وكان في مسجد ركع ركعتي تحية المسجد فإن لم يكن الذكر قائما قبل يد أستاذه وسلم على أخوانه ثم يجلس متأدبة صامتة أو مشغولا بالذكر سراً وهو أكمل ، وإن رأى الذكر قائما قال في سره مستأذنا : دستور يا أهل الطريق ، دستور يا أهل القدم ، ودخل مجلس الذكر ثم يذكر ، وإذا أرادوا افتتاح مجلس الذكر أولا استأذنوا بقلوبهم أصحاب الطريق والقدم بعد الإذن من الله ورسوله ثم يذكرون بسكينة ووقار وخشوع بصوت متوسط من غير تمطيط وعلى الذاكرين أن يكونوا متوافقين في أصواتهم وقراءتهم وذكرهم علواً أو خفضاً ، لأن مراعاة ذلك فيه تنشيط للنفس ولذة للروح وراحة للسر وقهرة للشيطان لأن أنوار الذكر تحرقه فيفر مدبراً مبتعدة . أعاذنا الله من كيد النفس والشيطان والهوى .

**ومن آداب الذاكرين :** ألا يلتفت أحدهم ولا يشتغل بأكل أو شرب في مجلس الذكر لأن ذلك مخل بالآداب كما تقدم ، كما يلزم الذاكر ألا يعث بلحيته ولا يلعب بيده ولا بشيء من ثيابه لأنه مجلس الله عز وجل فإن أخل بالآداب طرد لأنه لا يكون أهلاً لدخول تلك الحضرة العلية ، وإن كانوا يذكرون «بالأم» يعني لا إله إلا الله ، فيبتدىء بالنفي من جهة اليمين ثم ينزل بالاثبات ولفظ الجلالة على القلب لتقع أنوارها على القلب لأن القلب في الجهة اليسرى ، فتطرد الخواطر الشيطانية وتحرق الشهوات ، وقد قالوا : من لم تحرق له بداية لم تشرق له نهاية . وينبغي أن يكون مع الذاكر مندبل يدفع به ما يغلبه من بصاق ونحوه ، كما أنه ينبغي للذاكر أن يعرض نفسه على بيت الخلاء حتى لا يكون هناك ما يشغله من بول أو غائط أو ريع ، ويلزم المقدم عليهم «يعني المستفتح» أن يستأذن بقلبه من أهل القدم كما مر ، وأن لا يطيل بهم مجلس الذكر حتى لا يعتريهم الملل ما لم يحصل للذاكرين استغراق ولذة فلا يقطعه عليهم ، فإذا علم من الذاكرين الملل استأذن بقلبه من أهل الطريق ومن الله ورسوله ويقول في سره «اللهم أن ذكرك لا يمل منه وإنما عبيدك هؤلاء منهم الضعيف وذو الحاجة وأريد أن أختم بهم» ثم يختم ، ويندب لأحد الذاكرين المقرئين تلاوة ما تيسر من كلام الله تعالى بترتيل وخشوع ، ولا ينبغي للشيخ أو من ينوب عنه أن يقرأ أحداً على الصراخ في الذكر بل يزجرهم ويحثهم أن يكونوا متففين ، وأن يكون الذكر على وتيرة واحدة وطريقة مستقيمة ولا يخالفون المقدم عليهم ولا ينتقلون

من دارج لأخر حتى يرسم الشيخ أو من ينوب عنه ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا الأدب في حضرة الله تعالى ورسوله وأوليائه رضي الله عنهم .

### **باب في أصول الطريق وآدابها**

#### **وبيان أحوال النفس وعلاجها**

اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم لسلوك طريق المقربين الأخيار ، وعصمنا من الزيغ وشبهات الملاحدة والمنكرين الفجار ، أن طريق السادة العارفين من أهل الحق والطريق المبين رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، طريق غيب غير محسوس وسلوك بالقلوب لأنه من الغيوب فيجب على المريدين الصادقين التصديق بالاشارة ، والإذعان لسطعات أنواره مع الجد والاجتهاد ، وصدق التوجه الكلي والاستعداد ، لأن سلوكه يصعب على أرباب النفوس ، لأنه علم ذوق ، كما قال بعض العارفين رضوان الله عليهم أجمعين : أنه حال أكثر منه مقال ، فافهم تغنم والله يهدينا إلى سواء السبيل ، ومثال السالك في طريق السادة الصوفية كمثال السائر في طريق الحج لا بد له من ترك مألوفاته ، ثم يترك الأهل والأوطان رغبة في رضا الملك الديان. وكذلك هنا لا بد له أن لا يفتتن بأهل أو أوطان قال تعالى «إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم» وليس معنى ترك الأهل أن يتركهم عالة فإن ذلك لا يصح لأنه مطالب شرعا بالسعي قال تعالى «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور» وفي الحديث «من بات كالا في طلب الرزق بات مغفورة له» ويكون سعيه معتدلا حتى لا يشغل عن الفرائض وما طلب منه من الأوراد بل يسعى سعيًا وسطا ويتوكل على مولاه جل وعلا ، قال الله تعالى عز من قائل «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» يعني يكفيه بفضل الله كلما أهمه من أمر الدنيا والآخرة مع حسن النية ، ولا بد للمريد من زاد وهي التقوى لقوله عز وجل «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى» ولا بد له من سلاح يهرب به أعداءه (النفس والهوى والشيطان) وهو هنا الذكر ولا بد له من مركب يسهل له به قطع مفازات الطريق والمقصود به هنا المهمة فيها يرتقي المريد إلى أعلى المقامات ، ولا بد له من دليل يرشده وهو هنا الأستاذ المربي ، فإن من سلك طريقا بغير دليل تاه وضل وربما هلك ، ولا بد له من رفقة يستأنس بهم في طريقه وهم أخوان الصدق إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانوه وإن كان كلا حملوه ، وإن كان جاهلا علموه ، ولا بد له من سبعة أشياء لأن من أراد أن يوقد مصباح فلا بد له منها وهي الزناد والحجر والحراق والكبريت والمسرجة والفيلة والدهن ، فمن طلب أن يوقد مصباح الحكمة في قلبه

فلا بد له من زناد وهو مجاهدة نفسه عن هواها ، قال تعالى عز من قائل «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» ولا بد له من حراق وهو إحراق النفس بحبسها عن مألوفاتها وفطمها عن العاص ، ولا بد له من كبريت وهو الإنابة يعني التوبة النصوح والرجوع إلى الله تعالى ، قال تعالى «وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له» ولا بد

له من مسرحة وهو الصبر قال تعالى «وأصبروا إن الله مع الصابرين» ولا بد له من فتيلة وهي الشكر قال تعالى «واشكروا نعمة الله عليكم» ولا بد له من دهن وهو الرضا بالقضاء قال تعالى «وأصبر لحكم ربك» فإذا تخلق المرید بهذه الأوصاف ، فحينئذ يمكنه أن يشعل مصباح الحكمة في قلبه ، وأول كرامة يكرم الله تعالى بها المرید أن ينور بصيرته فيفهم دسائس النفس فإذا نبهه الله تعالى نجا من تلك الدسائس وإلا وقع فيها . نسأل الله تعالى السلامة من دسائس النفس ونزعات الهوى ووساوس الشيطان . ومما يجب على المرید القيام بالشروط الثمانية قياما كلياً ، وإليها أشار شيخ مشايخنا السيد مصطفى البكري الصديقي رحمته الله بقوله :

شروط طريقنا المرضي عدت	ثمانية فلازم من حواها
ولازم وردها وانهض بعزم	الترقي في مراقي من عناها
وتصبح واحدة في النفس فردا	جليلاً من سنا باهى سناها
فقل صمت وجوع ثم سهر	لبيل الوصل كى يجني جناها
دوام طهارة ودوام ذكر	ونفى خواطر فارقى ذراها
وربط فؤادي في حزم وصدق	بقلب الشيخ فاحذر ما تنام

وبيان هذه الشروط التي نظمها شيخ مشايخنا السيد البكري الصديقي رحمته الله :

**الشرط الأول) الصمت :** فعلى المرید المبتديء أن يصمت بلسانه عن لغو الحديث ، وبقلبه عن جميع الخواطر في شيء من الأشياء فإن من صمت بلسانه وقلبه انكشفت له الأسرار وأفيضت عليه المعارف والأنوار .

**الشرط الثاني ) الجوع :** وهو نوعان : اضطراري ، واختياري ، وجوع أهل الطريق اختياري . وكان بعض السادة الصوفية يقول : لو يباع الجوع في السوق لاشتريته .

**الشرط الثالث ) السهر :** وهو على قسمين : سهر العين التعمير الوقت بالعبادة ، لأن بنوم العين يبطل عمل القلب ، بخلاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام ، فإنهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم لكمال طهارتهم وعلو همتهم وقوة أنوارهم وروى عن بعض السلف رضوان الله عليهم أجمعين أنه كان يصلي الفجر بوضوء العشاء ودام على هذه الحالة أربعين سنة ، وروى ذلك عن الإمام أبي حنيفة وإبراهيم الخواص وسفيان الثوري نفعنا الله بأمدادهم .

واعلم أيها المرید الصادق أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس ، وقال عليه السلام «فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية» وجاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنهما من ظاهرها أعدّها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام» وعن الشيخ أبي الحسن رحمته الله قال : كان بجوارى شاب من الصالحين يصوم النهار ويقوم الليل ، فقال لي يا أستاذ : نمت ليلة عن وردى فرأيت كأن محرابي قد انشق وخرج

منه جوار كأنهن الأقمار حسنا ، فقلت لمن أنتن؟ فقلن : نحن ثواب لياليك التي أحيتها بالعبادة والاجتهاد ثم رأيت فيهن جارية قبيحة فقلت لمن هذه؟ فقل هذا ثواب ليلتك التي نمت فيها فأنشدت تلك الجارية تقول شعراً :

أطلب من الله أن يرددني إلى حالي  
لا ترقد الليل ما في النوم فائدة  
نحن الغواني فمن رام الوصال بنا  
وقد حفت بلطف إن وعظت بنا  
فأجابتها جارية من الحسان تقول :

أبشر بخير فقد نلت المني أبدا  
نحن الليالي اللواتي كنت تسهرها  
أبشر فقد نلت ما ترجوه من ملك  
غدا تراه تجلى غير محتجب  
في جنة الخلد في روضات جنات  
جنح ليل بلوعات وزفرات  
مواد بإفضال وفرحات  
تدنا وإليه وتحظى بالتحيات

وقد ورد أن المتهجذ يشفع في أهل بيته ، وكان بعض الصالحين رضوان الله عليهم يضع يده على الفراش اللين ويقول لنفسه : والله إنك لين ولكن فراش الجنة ألين ، وينصب قدميه بين

يدي مولاه إلى الصباح . وأنشد شعرا في هذا المعنى :

أسلك أخي مسالك العباد  
هجرُوا المضاجع في الظلام لربهم  
كتموا الضنا حفظا لهم وتحملوا  
ألوانهم تنبيك عن أحوالهم  
لا يغفلون إذا الدجى وافاهموا  
نظروا إلى الدنيا تخادع أهلها  
فتنزهوا عنها وجدوا في اللقا  
مشوا على نهج النبي محمد  
أهل الوفا والفضل والإرشاد  
واستبدلوا سهرا بغير رقاد  
فاحت عليهم حرقه الأكباد  
ودموعهم تجرى كسيل الوادي  
من كثرة الأذكار والأوراد  
بزخارف الأموال والأولاد  
وتزودوا من صالح الأزواد  
خير الأنام الهاشمي الهادي

**الشرط الرابع) العزلة :** ومعناها الانفراد والانقطاع عن الخلق إثارا لصحبة المولى سبحانه وتعالى ، ويكون بالأجسام للمبتدئين وبالقلوب للعارفين ، ولا بد للمريد منها في ابتداء أمره عن أبناء جنسه وإلا فهيئات أن يفلح . وفي هذا المعنى يقول بعض الفضلاء :

لقاء الناس ليس يفيد شيئا  
سوى الهذيان من قيل وقال  
فأقلل من لقاء الناس إلا  
لأخذ العلم أو إصلاح حال

وعن أبي أمامة الباهي رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : ما النجاة : قال «أحفظ عليك لسانك

وليسعك بيتك ، وأبلك على خطيتك» يكفيك في فضل العزلة أن النبي ﷺ في بادئ أمره قبل نزول الوحي ، كان يتحنث «يتعبد» في غار حراء الليالي ذوات العدد حتى جاءه الحق «الوحي» كما في البخاري عن عائشة رضي الله عنها .

**الشرط الخامس) دوام الطهارة باطنا وظاهرا :** لأن طهارة الظاهر تؤثر في طهارة الباطن وقد جاء في الحديث القدسي «أوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى الكليم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام ، ياموسى إن أصابتك مصيبة وأنت على غير وضوء فلا تلو من إلا نفسك» وقال ﷺ «دم على الطهارة يوسع عليك الرزق» .

**الشرط السادس) مداومة الذكر :** وذلك بالاسم الذي لقنه له الشيخ ، فإن المريض إذا استعمل الدواء المناسب لمرضه ومزاجه أثر معه ذلك وانتفع بالدواء ، والشيخ طبيب للنفوس فلا يلحق المريض إلا ما يناسب حاله . فينبغي للمريد أن يواظب على الذكر بما لقنه له شيخه لأنه الأنفع للقلب ويورث معرفة المذكور جل وعلا .

**الشرط السابع) نفي الخواطر عن القلب :** لئلا يشغل بها عن استحضار معاني الذكر والحضور والخشوع فيه ، وبنفيها يتخلص القلب من شوائب الأكدار وتظهر فيه لمحات الأنوار ، قال بعض العارفين نفعا الله بأسرارهم : يرد على العبد في اليوم واليلة اثنا وسبعون ألف خاطر ، وهي منحصرة في خمسة خواطر أمهات «لأنها تارة بإلقاء الحق وتسمى خطابا ، وتارة بإلقاء الملك وتسمى إلهامة ، وتارة بإلقاء القلب وتسمى هاتفا ، وتارة بإلقاء الشيطان وتسمى وسواسا ، وتارة بإلقاء النفس وتسمى هاجسا» وإذا كان الخاطر من قبل الله تعالى كان تنبيها للعبد وإيقاظا له ، قال ﷺ «إذا أحب الله عبدا جعل له في قلبه نافحة» وفي رواية «إذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه» وإن الخاطر من قبل الملك يكون تحريض على العبادة لأنه لا يأمر إلا بالخير ، وإن كان من قبل القلب وافق الملك ، وإن كان من قبل الشيطان يكون تزيينا لمعصية ، وتارة يأمره الشيطان بعبادة ويدعوه إليها ويحرضه على ذكر آخر فيشتبه بالخواطر الآتي من قبل النفس والخواطر الآتي من قبل الملك ، وإنما يفرق بينهما بأن الخاطر الملكي يعقبه السكون ويورث علما وفهما ، والخواطر الشيطاني يعقبه الوحشة والثقل ، والنفس تلح في الطلب ومثلها كالطفل إذا أخذت منه شيئا فلا يزال يبكي حتى ترده إليه ، فكذلك النفس إذا دعتك لشهوة فلا تزال تلح عليك في طلبه حتى توقعك في الشهوة ، فإن خالفتها فقد ملكتها وإن طاوعتها صرت عبدها . قال بعضهم شعرا في هذا المعنى :

صبرت عن اللذات حتى تولت	وألزمت نفس هجرا فاستمرت
وكانت مدى الأيام نفسي عزيزة	فلما رأيت عزمي على الذل ذلت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى	فإن أطعمت تاقت وإلا تسلت

وقد شبه بعض العارفين نفعا الله بأسرارهم النفس بالدابة الحرون لا تنقاد ولا ترضخ إلا

بلجام قوى ، وإنما تنقاد النفس وتذل بثلاثة أشياء :

(الأول) منعها من شهواتها : فإن الدابة الحرون إنما تلين إذا نقص علفها .

(الثاني) تحميلها مشاق الطاعات : لأن الدابة الحرون إذا قل علفها وزيد في حملها ذلت وانقادت .

(الثالث) يستعين عليها بالله سبحانه وتعالى : لا بحزمه ولا بعزمه ، إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى ، ألا ترى قول ، الصديق الأكبر ، سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا محمد افضل الصلاة والسلام «إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي» ولما كان أمر النفس ومجاهدتها وعلاجها صعب وعسير لا يكون بمرة واحدة بل بالتكرار والمعالجة والمجاهدة ، فيحتاج المريد إلى مرشد عارف بالله تعالى ، خبير بعقل النفس عليم بمعالجتها ليداوي جراحها بمراهم إرشاده ، ويستخل المريد من دسائسها بعالي همته وإمداده .

(الشرط الثامن) ربط المريد بالأستاذ : وهو أهم شرط عند العارفين ، وقد ذكر العارفون نفعنا الله بأسرارهم شروطا كثيرة للشيخ الذي يصلح للسلوك والارشاد والمشيخة ، ولنذكر خلاصة ما ذكروه في هذا الباب ليكون المريد على بصيرة من أمره .

أعلم أن من كان متصدرا للإرشاد يشترط أن يكون له عقل يدل به إلى الهداية ، وعلم يرشد به المهتدين لأمر دينهم وإن لم يكن متبحر ، فليكن له اطلاع بقدر ما يزيل به الشبه والمشكلات التي تعرض للمريد ، ليتمكن أن ينقذ مريده في البداية من أحوال التوحيد وغيره ، ليغني مريده عن سؤال غيره ، وأن يكون عارفة بكل ما يرقى المريد ، خبيرة بما يقطعه عن الترقى من سائر الأعمال الظاهرية والباطنية ، فإذا مرض مريده ، بمرض من أمراض النفوس داواه ، وإذا أحنث أفتاه ، وأن يكون حاله صادقة في التوكل على الله ، وأن يكون عنده صفاء يصفيه من الأكدار ، وأن يكون له أدب يجلسه مع الجبار ، وقناعة تورثه الغنى ، وخوف يحجزه عن المعاصي ، ورجاء يسارع به إلى الخيرات ، وحسن الخلق يدفع به الحماسة ، وشفقة تورثه الرفق ، وأن يكون له حال صادق مع الله تعالى ، يورثه الزهد في الدنيا والتقليل منها ، وعدم المبالاة بها وأهلها ، وأن يكون متخلقا بالسخاء والجود والكرم ، متحليا بمكارم الأخلاق ، من العفو والصفح عن الزلات ، وطلاقة الوجه وحسن اللقاء ، وأن يكون مجتنباً للخلاعة والمجون والضحك ، ملازما للحلم والصبر والورع والخشوع والتواضع والتزهد عن دنيء الاكتساب ، مع ملازمة الوظائف التي جاءت بها السنة ، كقص الشارب وتقليم الأظافر وتسريح اللحية وشفط الأبط وحلق العانة ، ومس الطيب ، وإزالة الروائح الكريهة ، واجتناب الملابس المصنوعة من الحرير التي نهى عنها الشرع ، ولا يعجب بنفسه ولا يتعاطم ، ولا يتكبر على أحد ، ولا يحتقر أحد من المسلمين ، وأن يعتقد الخير في المسلمين ، ويرى لكل مسلم بركة . ومن أدابه مع مريديه أن ينزلهم منازلهم الكبير كبيرة والصغير صغيرة ، كما ورد في الخبر «أنزلوا

الناس منازلهم» فإن لكل إنسان مقاما كما يشير إليه قوله تعالى «وما منا إلا له مقام معلوم» وأن يعمل على تأليف مريديه بما يراه مقربة له في صحبته ، وإذا أعطى مريدا شيئا أسر ذلك له وأوصاه بكتمانه ، كما إذا بشره بفتح أو بكشف أو واقعة أو بمقام أحد من الأخوان ، وعليه الإخلاص في النصيح وبذل الهمة في الإرشاد والتعليم فلا يخلو يوما عن تعليم من معه ، وعليه بالعفة عما في أيديهم ، ولا يكلفهم في حقه مالا يطيقون ، ولا يرتب عليهم من الأعمال ما يسأمون ، ولا يكثر معهم الانبساط ، ولا ينقبض عنهم كل الانقباض ، ولا يضيق عليهم كل التضيق ولا يقرهم على ما يزري من الأحوال ولا يكثر مجالستهم ، وإذا طلبه أحدهم أن يذهب إلى بيته فلا يجيبه لئلا تسقط حرمة عندهم فلا ينتفعون به ، ويجيب من دعاه بالتعزز والعفة ، ويزور غبا ليزداد حبا ، ويكون في خطابهم على غاية التلطف ، وليحذر من السب والشتم لئلا تنفر نفوسهم منه ، وإذا دخل عليه المريد يبش في وجهه ومن قبل يده قبل رأسه ، وإذا صنع معه معروفا كافأه لقوله ﷺ «من صنع معكم معروفة فكافئوه ، فإن لم تقدرُوا أن تكافئوه فادعوه» وإذا أراد مريده الانصراف دعا له من غير سؤاله ، وإذا دخل هو على مريده فيكون على أكمل الهيئات من نظافة الثوب وطيب الرائحة ، وإذا جلس عندهم فبالسكينة والوقار ، ويتفقد من غاب منهم بالسؤال عليه ، فإن كان مريضا عاده ويبحث عن سبب انقطاعه فإذا كان في حاجة أعانه أو له عذر صادق دعا له ، وإذا حضر معهم في وظيفة عمل بنشاط معهم وقوة وهمة لتقوى همهم على ذلك ، ويقرر لهم العلم الوارد بالأخبار والآثار ولا يخرجهم عن دائرة العلم والأذكار والصلاة على النبي المختار مادام مجالسأ لهم . فإذا تقرر ذلك فاعلم أنه يجب على مريد الطريق أن يقصد عند إنابته وتوبته واستيقاظه من نوم غفلته شيئا من أهل زمانه ببلدته أو إقليمه معتقدا فيه الخير مؤتمنا على دينه واصلا إلى الله ، خيرا بالحال والمقال ، مترقيا في مقامات كمال الرجال الأخيار ، شرعيا حقيقيا ، وذلك بعد تمام سيره إلى الله مع مصاحبة إذن شيخ له مرشد واصل إلى تلك المقامات العلية ، أذن له كذلك من واصل مسلسلا إلى النبي ﷺ إلى الله عز وجل بالضبط والحفظ ومعرفة الكل بالمقامات والترقى والإذن بالسلوك لا عن جهل ولا عن حظ نفس ولا حب شهرة بل بموت النفوس ، دخلوا حضرة القدوس ، ومشاهدتهم للكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة ، وبالتعبير أن آخرهم محقق مثل أولهم . فإن سألت كبيرهم عن أمر أجابك صغيرهم ، فكبيرهم مثل صغيرهم لتحقيق الجميع بالمشاهدة قال الله تعالى «فبهدهم اقتده» يعنى أجعل أولئك السادة الأصفياء الذين ينطبق عليهم هذه الصفات قدوة لك لأنهم قد كملوا في مقام الوراثة المحمدية ، وقال تعالى عز من قائل «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون والعارفون بالله هم الوسائل ، فالشيخ الواصل وسيلة مريده إلى الله وبابه الذي يدخل منه على الله فهم أبواب الحق . قال أبو علي الدقاق قدس الله سره : الشجرة

التي تنبت بنفسها من غير صاحب لا تعيش ولا تثمر ، وإن عاشت وأثمرت كان ثمرها من غير صاحب لذه وسنة الله جارية على أنواع من النسب والسبب ، وكما أن التناسل والتوالد الحقيقي لا يحصل إلا بواسطة الوالد والوالدة ، فكذلك التوالد والنسل المعنوي حصوله بغير مرشد متعذر لحكمة ما جرت عادة الله به . وقال بعض العارفين نفعا الله بأسرارهم : من لا شيخ له مرشد فمرشده الشيطان . وقال إمام الطائفة سيدي أبو القاسم الجنيد البغدادي نفعا الله بأمداده : لولا المربي ما عرفت ربي . وانظر إلى حكمة إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام فإنهم لم يرسلوا إلا ليرشدوا الخلق إلى توحيد الله الواحد القهار ، وليبينوا للناس ما نزل إليهم من الأحكام وما يصلح به أمر معاشهم ومعادهم قال الله تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، وقال تعالى «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» وانظر إلى أخذ النبي والوحي والأحكام عن سيدنا جبريل عليه السلام ملك الوحي واسترشاده به ، فحينئذ ثبت أن المرید لابد له من أستاذ مرشد وهذا مما يدل على أن ساداتنا الصوفية رضوان الله عليهم ، هم ورثة النبي ﷺ شريعة وحقيقة ، فإن كل واحد من أهل الطريق مهما بلغ من العلم والذكاء وقوة الذاكرة لابد له من أن يرجع إلى أستاذ عارف واصل مرشد يأخذ عنه ليرشده في السير إلى الله تعالى وقد ورد أن الصلاة على النبي ﷺ في وصول العبد إلى الله تعالى ولكن لا يصل العبد بها إلى مقام الكمال إلا على يد شيخ عارف بالله تعالى ، كما أورد ذلك العلامة السهروردي في عوارف المعارف ، وسيدي محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية وأبو طالب المكي وغيرهم .

#### تنبيه : المشيخة أقسام :

**فالقسم الأول :** هو شيخ العناية العارف بالله تعالى الذي مكنه الله في مقام الولاية ، وأفاض عليه من الكمالات ما أهله لأن يكون مسلکا للخلق مرشداً لهم بحاله ومقاله فيما ينفعهم متمكنا من علوم الشريعة معقولها ومنقولها راسخة في علوم الحقيقة فهوؤلاء هم الأشياخ الراسخون الذين يمدون مريديهم مما أفاضه الله عليهم من العلوم الشريفة والمقامات المنيفة .

**وأما القسم الثاني :** من المشايخ فهم المتشبهون الذين سلكوا الطريق على أيدي المشايخ العارفين الذين سبق ذكرهم في القسم الأول ، وهؤلاء يجب عليهم أن ينبهوا على مريديهم وأتباعهم أنهم ليس لهم مدد ولا تصريف ، وإنما مددهم من مشايخهم العارفين أصحاب القدم الورثة الكاملين ، وليس كل من يأخذ أجازة يعد شيخاً ، فإن المشيخة معناها أن صاحبها قد ترقى إلى مقام الكمال وبلغ مبلغ الرجال وذاق لذة الوصال ، وأجرى الله على يديه الكرامات وخوارق العادات .

**فاحذر أيها السالك أن تغتر بأخذ أجازة من المشايخ ، وتظن أنك شيخ عارف فيقودك غرورك بنفسك إلى الهلاك ، لأنك إدعيت لنفسك مقاما لست من أهله ، فاتق الله**



في نفسك ولا تدع ما ليس لك ، فتكون قد ظلمت نفسك والله لا يحب الظالمين . ونصيحتي الى الخلفاء والمسلكين أن لا يغتروا بأنهم قد ختموا الطريق وسلكوا مقاماتها ، وعرفوا وعرها وسهلها فإن ذلك من مقامات العارفين الراسخين المتمكنين الذين رضوا عن الله فرضي عنهم ، وأفاض عليهم من التجليات والإمدادات الإلهية والمعارف الربانية ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

**فيا معشر الخلفاء والمساكين** اتقوا الله واحذروا من الغرور والعجب ورؤية النفس ونهبوا أتباعكم الى الحق وعرفوهم أنكم لستم بأولياء ، وإنما المدد يأتي لكم من مشايخكم العارفين . واحذروا أن يعتدى بعضكم على بعض فيما وهبكم الله فإن الله لا يحب المعتدين . ولا يغتر أحدكم بكثرة المريدين والأتباع ولا ينخدع بمدحهم له ، وإذا رأى منهم أنهم يمدحونه بما ليس فيه فر منهم طالبا السلامة لدينه لكيلا يقع في شرك الكبر والغرور والعجب والرياء ، ورحم الله إمرء عرف قدر نفسه ولم يتعد طوره .

**واحذروا أيها الخلفاء والمرشدون** أن يعتدى بعضكم على بعض فيأخذ أتباع أحد الخلفاء ويجعلهم من أتباعه ظلما وعدوانا ليكثر بهم مريديه ، فإن ذلك حجاب قاطع له ولمن أتبعه عن السير إلى الله تعالى ، وكما يدين الفتى يدان ، فعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، وكيف يليق بك وأنت خليفة مرشد أن تنسب ولدا إليك ولم يكن من نتاجك ، أليس هذا ظلم بين ؟ والله سبحانه وتعالى يقول «أدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله» ولا شك أن مثل هذا التعدي يورث الفتنة والقطيعة والحقد والحسد ، أعاذنا الله وإياكم مما يغضبه «تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون» واعلموا إخواني هداانا الله وإياكم إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، أنه لا يصلح للإرشاد إلا من كان ملما بالشريعة المطهرة كما جاء عن سيدي على الخواص عليه السلام حيث يقول : لا يكون الرجل معدودة عندنا من أهل الطريق حتى يكون عالما بالشريعة المطهرة مجملها ومفصلها ناسخها ومنسوخها خاصها وعامها ، ومن جهل من ذلك شيئا «سقط عن درجة الرجال» فقال له الإمام الشعراني : ياسيدي إن غالب مسلكي «بتشديد اللام» هذا الزمان على هذا ساقطون عن درجة الرجال؟ فقال : نعم إن هؤلاء المتشبهين بالمسلكين العارفين يرشدون الناس إلى بعض أمور دينهم ، وأما المسلك حقيقة العارف بالله تعالى هو من لو أفرد في جميع الوجود لكفي الناس كلهم من العلم في سائر ما يطلبونه . وما ألطف ما قاله بعض العارفين في هذا المعنى :

وللشيخ آيات إذا لم تكن له	فما هو إلا في ليالي الهوى يسرى
إذا لم يكن علم لديسه بظاهر	ولا باطن فاضرب به لجة البحر
وإن كان إلا أنه غير جامع	الوصفيهما جمعا على أكمل الأمر
فأقرب أحوال العليل إلى الردى	إذا لم يكن منها الطيب على خبر

وايته أن لا يميل إلى هوى  
وإن كان ذا جمع لأكل طعامه  
ولا تسألن عنه سوى ذي بصيرة  
ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده  
ومن يعترض والعلم عنه بمعزل  
ولا تعرفن في حضرة الشيخ غيره  
فذو العقل لا يرضى سواه وإن نأى  
ولا تنطقن يوما لديه فإن دعا  
ولا تقعدن قدامه متربعا

فدنياه في طي وأخراه في نشر  
مريدا فلا تصحبه يوما من الدهر  
من الأهواء ليس بمغتر  
يظل من الإنكار في لهب الجمر  
يرى النقص فى عين الكمال ولا يدرى  
ولا تملأن عينا من النظر الشزر  
عن الحق نأى الليل عن واضح الفجر  
إليه فلا تعدل عن الكلم النزر  
ولا باديا رجلا فبادر إلى الستر

فلا بد للمريد من شيخ كامل يقتدي بآثاره ويهتدى بهديه وأنواره، فإنه واسطة الخير  
والوسيلة إلى المنع من الضير، وناهيك في اكتساب هذه الفضيلة قول الله تعالى «يا أيها  
الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة . وقال بعض العارفين :

وغنم مريد في انقياد لكامل  
هو الكنز والأكسير والكيميا لمن  
ونقل العلامة الشربيني في شرحه على  
نصيحة إلى المريدين منها :

فكن عالما بالشرع وأعمل به فمن  
ولا ينبغي للجاهلين تصدر  
ألم يعلموا أن الطريق كناية  
وذبح النفوس الضاريات بمدية  
وزهد عن الدنيا وعن شهواتها  
وجوع وصمت واعتزال وفكرة  
وذكر بنار الشوق يحرق خاطرا  
يكون بجدا واجتهاد وهمة  
وعلم وحلم واقتداء بعارف  
فمن لم يصاحب شيخ صدق ملقن

أراد طريقا دون علم فقد جنى  
ولا نشر أعلام الشريعة بينا  
عن العمل الجاري على وفق شرعنا  
من الخلف حتى لا تميل إلى الخنا  
وعمن يراها أكبر الهم مقتني  
بها حضرة الرحمن تدخل أمنا  
ويحرق في بحر المدامع أعينا  
مشمرة لا بالتكاسل والونا  
دسائس للشيطان والنفس والدنا  
يكون له الشيطان شيئا ملقنا

فأخلص هداك الله تخلص ، فهذه طريقتنا الغراء دانية الجني ، فإذا ظفرت أيها السالك  
بشيخ عارف بالله تعالى مستكمل تلك الشروط التي تقدم لك ذكرها فشد عليه كلتا  
يديك وسلم له قيادك ، وأخلص في صحبته وكن رهين إشارته لتفوز بسعادة الأبد .

**باب آداب المريدمع شيخه**

إعلم أنه لم يبلغ أحد إلى حالة شريفة ودرجة منيفة ، إلا بصحبة الأشيخ والاجتماع بهم والأخذ عنهم ، نفساً بنفس ، وملاحظتهم ، وملازمة مددهم وبركاتهم . قال سيد الطائفة الجنيد عليه السلام : من حرم احترام المشايخ ابتلاه الله بالمقت بين العباد ، نسأل الله العافية . وقال بعض الأشيخ : إنما حرم المريدون الوصول ، بتركهم الأصول وعدم الاقتداء بالمشايخ والسلوك بالهوى ، فطالت عليهم الطريق .

قال شيخ مشايخنا العلامة الدردير عليه السلام ونفعنا بإمداده : الآداب التي تطلب من المريد الصادق في حق شيخه : أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهراً وباطناً ، وعدم الاعتراض عليه في أي شيء فعله ولو كان ظاهره الحرام ، ويؤول ما أبهم عليه ويحمله على محمل حسن . قال سيدى مصطفى البكري في أرجوزته في آداب الطريق :

وإن في قصة موسى والخضر      لعبرة لكل معتبر  
ولا تقل (لم) إن نهاك أو أمر      من قالها قد ذاق في السر الأمر  
وكن مسالمه فيما يرى      تضحى مريدا صادقا بلا مرا

ويجب على المريد أن يقدم شيخه على غيره ولا يزور ولياً من أهل العصر ولا صالحاً إلا بإذنه ، ولا يحضر مجلس غيره إلا بإذنه ولا يسمع من سواه حتى يتم سقيه من ماء سر شيخه لأن المريد في بداية أمره مع شيخه كحال الطفل ، مع أمه لا يهنأ له رضاع إلا من ثديها ، فإذا رضع من غيرها ضعف جسمه وتغيرت أحواله وما ألطف قول بعض العارفين :

إذا ما بدت ليلي فكلى أعين      وإن هي ناجتني فكلى مسامع  
فيا أَل ليلي ضيفكم ونزيلكم      بحبكم يا أكرم العرب ضارع  
أسير هواكم هذه الشوق والضنا      كما نبتت في الراحتين الأصابع  
لقد نبتت في القلب محبة غيركم      كما حرمت من أجل موسى المراضع  
فيارب بالخل الحبيب محمد      نبيك وهو السيد المتواضع  
أنلنا مع الأحباب رؤيتك التي      إليها قلوب الأولياء تسارع

ومن آداب المريد مع شيخه : أن لا يقعد وشيخه واقف ، ولا ينام بحضرته إلا بإذنه ككونه معه في مكان ، ومنها أن لا يكثّر الكلام بحضرته ولو باسطه ، ولا يجلس على سجاده ولا يسبح بمسبحته ، ولا يجلس في المكان المعد له ، ولا يلح في أمر ، ولا يسافر ولا يتزوج ، ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمة إلا بإذنه ، ولا يمسك يده للسلام ويده مشغولة بشيء ، كقلم أو أكل أو شرب ، بل يسلم بلسانه ويبتظر بعد ذلك ما يأمره به ، ولا يمشي أمامه ولا يساويه في مشي إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صوناً له من مصادفة ضرر ، وأن لا يذكره بخير عند أعدائه خوفاً من أن يكون وسيلة لقدحهم فيه ، وأن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره . وأن يلاحظه بقلبه في جميع أموره سراً

وحضراً لتعمه بركته .

**ومنها :** أن لا يعاشر من كان الشيخ يكرهه . أو من طرده الشيخ عنه . وبالجمله يحب من أحبه الشيخ ، ويكره من يكرهه الشيخ ، وأن يعتقد أن كل بركة حصلت له في الدنيا والآخرة فببركة شيخه . ومنها أن يصبر على جفوته وإعراضه عنه ولا يقول لم فعل بفلان كذا ولم يفعل بى كذا وإلا لم يكن مسلماً قياده له ، إذ من أعظم الشروط تسليم قياده له ظاهراً وباطناً أخاطب بذلك أهل الله الصادقين من المريدين المخلصين ، ومنها أن يحمل كلامه على ظاهره فيتمثله إلا لقرينة صارفة عن إرادة الظاهر ، فإذا قال له إقرأ كذا أو صل كذا أو صم كذا وجب عليه المبادرة ، وكذا إذا قال له وهو صائم في النفل أفطر ، وجب عليه الفطر ، كما يجب على المريد ملازمة الورد الذي رتبته وعينه له شيخه ، فإن مدد الشيخ في ورده ، فمن تخلف عنه حرم المدد وهيهات أن يفلح في الطريق .

**ومن الآداب :** أن لا يتجسس على أحوال الشيخ من عبادة وعادة ، وأن لا يدخل عليه في خلوة إلا بإذنه ولا يزوره إلا على طهارة تامة لأن حضرة الشيخ حضرة الله ، وأن يحسن الظن به في كل حال ، وأن يقدم محبته على محبة غيره ماعدا الله ورسوله فإنها هي المقصودة بالذات ومحبة الشيخ وسيلة لها ، وأن لا يكلفه شيئاً ، حتى لو قدم من سفر لكان هو الذي يسعى ليسلم عليه ، ولا ينتظر أن الشيخ يأتيه للسلام عليه .

**ومن آدابه :** أن لا يتساهل المريد بهجر شيخه له ، فقد قال بعض العارفين كل مريد هجره أستاذه فلم يتأثر من ذلك ولم يشق عليه ولم يبادر الى تطيب خاطره مقتته الله ومكرهه وطرده عن بابه ، وإذا كان شيخه بابه وكان في وجهه مغلقة فمن أي باب يدخل على الله وليس له باب غير شيخه؟ وقال بعضهم : كل مريد خاف أحداً من الخلق مع وجود حب أستاذه فهو كذاب في استناده إلى الشيخ «لأن المريد مع شيخه كاولد في حجر أمه ، أتراها تاركة ولدها؟ لا والله» وقال بعض العارفين : إذا صحت نسبتك من شيخك وهي حبك فيه والعمل بمقتضى أمره كان تأثيره بالإمداد فيك أكثر من تأثير الأذكار التي تباشرها : ومن جميع الأعمال التي تعلمها ، ومن ذاق عرف .

**ومن الآداب :** أن لا يفشي سر شيخه ولو نشر بالمناشير ، وأن يخلص في خدمته ولا يتضجر من أي خدمة ألزمه بها ، ويقصد بخدمته وجه الله تعالى ، ورضاه برضا شيخه وأن يكون مخلصه لشيخه ظاهراً وباطناً ، وما تراه من النقص فهو من صفاتك فإن رأيت شيخك زنديقاً في عينك فأنت زنديق ، وإن رأيت صديقه فأنت صديق في علم الله ، ويجب على المريد أن يعرض على شيخه ما يتكرر وروده عليه من الخواطر ، كما يجب عليه أن يقص عليه ما يراه من واقعة منامية أو رؤيا بنوم أو يقظة ولا يخفى عليه شيئاً من أحواله ، لأنه طبيبه ورفيقه في السير إلى الله تعالى ، واعلم أن انتفاع المريد بشيخه على قدر احترامه له وحسن عقيدته فيه فكلما زاد حبه له ورسخت عقيدته فيه ، كلما ازداد

فتحا وخيرا وبقينا.

وما أطف قول بعض العارفين :

أقدم أستاذى على حب والدى وإن نالني من والدي العز والشرف

فهذا مربى الروح والروح جوهر وذاك مربى الجسم والجسم من صدف

ويجب على المريد أن لا يجادل شيخه ولا يعارضة ، ولا يتعالى عليه بعلم أو يتظاهر عليه بصواب رأي أو نحو ذلك ، فإن في ذلك هلاكه وعطبه ، لأن هذه الأمور من رؤية النفس والإعجاب والكبر ، وهي أمور تجر صاحبها إلى الردى ، عافانا الله وإخواننا ومحبينا مما يغضبه ، كما يجب على الشيخ إذا رأى مريدا مماريا كثير الجدال ، متظاهرة بالعلم والرياسة يجب أن يصرفه عنه بلطف ، قائلا له : يا أخي حيث أنك بحمد الله صرت من أهل العلم والرأي فاسلك وتلق عمن هو أعلم مني ، لأن سكوت الشيخ عن أمثال ذلك الزنديق خطأ عظيم لأنه يفسد عليه أتباعه ، فإذا أراد الله بذلك المريد المغرور بنفسه خيرا بعد ذلك وعظه بما يراه صالح له فيتوب ويرجع إلى مصاحبة شيخه ، معذرة عما وقع منه ، وإلا فهو والعياذ بالله ممكور به ، يخشى عليه من سوء الخاتمة ، نعوذ بالله من سخطه . وقد أورده العلامة السمنودي في كتاب السالكين عن بعض العارفين أنه قال : ما من مريد يتبع شيخا ويعاهده على طريقة ثم يعرض عنها إلا ويعذبه الله عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين لقوله تعالى «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا» نسأل الله تعالى أن يرزقنا الأدب مع الله ورسوله ، ومع مشايخنا الأكرمين ، حتي نكون في معيتهم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

**وأما أداب المريد مع إخوانه :** فيجب عليه أن يكون محبة لهم كبيرهم وصغيرهم ، وأن لا يخصص نفسه بشيء دونهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها ، وأن يعودهم إذا مرضوا ، ويتفقدهم إذا غابوا ، ويتدئهم بالسلام وطلاقة الوجه ، وأن يراهم خيرا منه ، ويطلب الرضا منهم ، ولا يزاخمهم على أمر دنيوى بل يبذل لهم ما فتح به عليه ، وأن يوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم ، ويعضدهم ويشجعهم على عبادة وذكر الله تعالى ، ويتعاون معهم على حب الله ويرغبهم فيما يرضي الله لقوله تعالى «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب» وأن يتحمل أذاهم كفا عن مسامح عيوبهم لهم فيما وقع منهم ، يعادي من يعاديهم ، ويحب من أحبهم ويرشدهم إلى الصواب إن كان كبيرا ، ويتعلم منهم إن كان صغيرا ، ولا يوسع على نفسه وهم في ضيق ويخدمهم ولو بتقديم النعال لهم ، وأن يكون باشا في وجوهم ، حسن اللقاء لين الجانب ، وأن يؤلفهم إلى محبة شيخه .

وقد قال بعض العارفين : خير عيش المرء مع إخوان صدق ، إن نسي ذكره ، إن ذكر أعانوه ، وإن غفل نبهوه ، وإن أناخ عليه الدهر أخذوا بيده فأنقذوه ، فأولئك هم إخوان

الصفاء على سرر متقابلين ، وقد جاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله ﷺ قال «المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء ، في رأس العمود سبعون ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة يضيئ حسنهم لأهل الجنة كما تضيئ الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة : انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله عز وجل فإذا أشرفوا عليهم أضواء حسنهم لأهل الجنة كما تضيئ الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله عز وجل» وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ ﷺ : أني أحبك فقال له : أبشر ثم أبشر . فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفرح الناس ولا يفرعون ، ويخاف الناس ولا يخافون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فقليل من هؤلاء يارسول الله ؟ قال : المتحابون في الله عز وجل» وجاء في الأحاديث القدسية للمقدسي عن عبادة بن الصامت رضا عن رسول الله ﷺ قال «يقول الله عز وجل : حققت محبتي للمتحابين في والمتزاورين في والمتبازلين في والمتصادقين في» وقد قال أبو بكر التلمساني قدس الله سره : أصبحوا مع الله ، فإن لم تطيقوا فأصبحوا مع من يصحب مع الله ، لتوصلكم بركة صحبتهم إلى صحبة الله ، وجاء عن علي بن سهل نفعا الله بأمداده يقول : الأنس بالله تعالى أن تستوحش من الخلق إلا من أهل ولاية الله ، فإن الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله .

وأما آداب المريد التي تتعلق به في حق نفسه : بأن يكون مشغولا بالله زاهداً فيما سواه ، يحب كل ما أحبه الله ، ويبعد عن كل ما نهى عنه مولاه . فإن إدعى أنه محب لمولاه وهو مخالف لمولاه فقد كذب على الله «ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا» وقد قال بعض العارفين :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه      هذا لعمرى فى القياس بديع  
لو كان حبك صادقا لأطعته      إن المحب لمن يحب مطيع  
ويجب على المريد الصادق أن يغيض طرفه عن المحارم وأن يكون كريمة سخية ، ليس للدنيا عنده قيمة ، تاركة لفضول الحلال كالتوسعة في المأكول والمشرب والملبس والمنكح والمركب ، مقتصرة على قدر الكفاية ، إذا سافر لا يشتغل بسوى الضرورات ، مديم الطهارة فإنها نور ولا ينام على جنابة ولا يفضي بيده إلى عورته ولو بخلوة في ظلام ولا يطمع فيما في أيدي الناس ، لقوله ﷺ «إزهد في الدنيا يحبك الله ، وإزهد فيما عند الناس يحبك الناس» وقال بعض العارفين : الزهد على ثلاثة أقسام «الأول : زهد العوام وهو الزهد في الحرام ، والثاني : الزهد في فضول المباح وهو زهد الخواص والعلماء العاملين ، والثالث : الزهد فيما سوى الله وهو زهد العارفين» ولا يفرح بإقبال الناس

عليه لأن النفس تميل بطبعها إلى حب الحياة والشهرة فإن أطاعها وقع في حب العجب والكبر والخيلاء وهلك مع الهالكين ، بل إن المريد الصادق يفرح الاغراض الناس عنه أكثر من إقبالهم عليه ، ويحاسب نفسه على الدوام ويزجرها ويحثها على السير كلما وقفت ويكون ليبياً حانقاً واضعاً ميزان الشريعة نصب عينيه حتى إذا دسست عليه النفس دسيسة عرضها على الشريعة ، فإن كانت موافقة للكتاب والسنة واثار الصحابة والتابعين والسلف الصالح من الكمل في الوراثة المحمدية فليمض في ذلك العمل ويكون هذا من نافحة الخير المشار إليها بقوله ﷺ «إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه» وإذا كان العمل الذي تأمر به نفسه مخالفة للشرع فلا يمضيه ، وليتفطن لدسائس النفس والشيطان والهوى ، ليدخل في قوله تعالى «وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» وما أحسن قول بعض العارفين

يارب إنى قد بليت بأربع قاموا الحربى بل وطول شقائى  
إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائى

وقد قال الله تعالى «ولمن خاف مقام ربه جنتان» أورد الإمام البخاري في تفسير هذه الآية الشريفة عن عبد الله بن قيس عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال «جنتان من فضة حليهما وأنيتهما وجنتان من ذهب ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا حجاب الكبرياء يرفعه عن وجهه في جنة عدن» ويجب على المريد أن يداوم على ذكر الله تعالى سرا وجهرة ، ولا بد له من مجلس لنفسه يذكر فيه بالإسم الذي لقنه له شيخه بهمة ونشاط . ويجتهد في أن يكون مطعمه من حلال ، قال الله تعالى «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم» والطيبات المقصود بها الحلال وكيف نفسه عن الحرام والشبهات استبراء لدينه وعرضه ، وأن يأخذ بالأحوط في العبادة ولا يميل إلى الرخص ، ولا يأخذ بها إلا عند الضرورة .

وليكن لك أيها المريد الصادق في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث تورمت قدماء من القيام بين يدي مولاه ، فقالت له عائشة رضي الله عنها : ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال لها «أفلا أكون عبداً شكوراً» وأن يجعل عبادته لله ، فقد قال بعض العارفين : إن قوماً عبدوه خوفاً من عذابه فتلك عبادة العبيد ، وقوماً عبدوه رغبة فيما عنده من الثواب فتلك عبادة التجار ، وقوماً عبدوه ابتغاء وجهه الكريم فتلك عبادة الأحرار .

ويتأكد في حق المريد أن يكون متواضعاً لله نظيفاً في ظاهره وباطنه صابراً وشاكراً عابداً ناسكاً ، ولا يشتغل إلا بأوراد الطريق وما أذن له به الشيخ خائفاً من الله راجية عفوه عنه لا يرى لعبادته وذكره وجوده بل يرى أنه يستحق العقاب لولا فضل الله تعالى عليه . وقد أشار إلى ذلك سيدى مصطفى البكري ، في ورده حيث قال «إلهي إني

أخاف أن تعذبني بأفضل أعمالي فكيف لا أخاف من عقابك بأسوأ أحوالي» وهذا خوف جلال في حق العارفين ، وذلك لما يحصل في تلك العبادة من رياء وسمعة ، فإذا ارتقى للإخلاص والحضور خاف رؤية ذلك أيضا إذ هي من القواطع ، فإن ارتقى إلى الفناء عن رؤية الإخلاص لم يشاهد حينئذ إلا أن الفعل من الله فلم يكن له إيجاد وإنما له مجرد اختيار وكسب ، بمعنى مقارنة قدرته المخلوقة لهذا الفعل المخلوق الله ، فلا ينسب فعل للعبد إلا من هذه الجهة فقط ، ومخاطبة العبد بافعلوا ولا تفعلوا إنما هو عند سدل الحجاب ورؤيتهم أنهم الفاعلون ، فالمعتزلي حجابه كثيف ، والسني المتصوف تأمل فعرف الحق بالدليل ، والولي شاهد لما ارتقى إلى عين اليقين . وأما الجبري : فقد أعرض عن تلك النسبة المتقدم ذكرها بالكلية فوقع في جهل عظيم يلزمه لزوما بينا تكذيب الرسل فافهم هذه المسألة ، فكم وقع فيها من جهابذة وفحول ، وإلى ذلك يشير شيخنا العلامة الدردير في صلواته عند قوله : وأنقذني من أحوال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها إلخ .

**ومن آداب المريـد في حق نفسه :** أن يكون تواباً عن الخطرات والهفوات حتى يرتقي إلى مقام المتطهرين ، ثم إنه لا يستحق الطرد إلا بدم شيخه وطريقته أو بقله احترامه للشيخ أو لعدم حضوره مجلسه من غير ضرورة وتكرر ذلك منه والشيخ ينهـاء ولم يتته . أو بتركه الفرائض كالجمعة أو لجمع الصلاة مع الأخرى بدون عذر أو بتأمره على الشيخ أو بمجادلته ، ثم إذا طرده في الحقوق إنما يطرد ظاهرة ولا يطرده بالقلب ، لأنه لو طرده بقلبه المات على غير الإسلام والعياذ بالله تعالى وأهل الله أهل رفق وشفقة ولا يحبون إتلاف إنسان من المسلمين إلا إذا خرج من دين الإسلام ، نعوذ بالله من سخطه ونسأله السلامة من الفتن ماظهر منها وما بطن ، كما نسأله أن يثبتنا وإخواننا ومحبينـا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، حتى نلقاه آمين وهو عنا راض ، ببركة مشايخنا الكرام ، وبجاه المصطفى عليه الصلاة والسلام .

**وأما آداب المريـد بالنسبة إلى عامة الناس :** فالتواضع ، وبذل الطعام ، وإفشاء السلام والصدق معهم في جميع الأحوال ، وأكثر ما تقدم من الآداب المتعلقة بالإخوان يجري هنا والله أعلم ، ولكن لابد للمريـد من مطالعة كتب القوم الموضوعة في الآداب ، ليتعلم أخلاق القوم منها لعل الله يوفقه لأن يسير بسيرهم ، كمؤلفات سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمته الله : كالعهود والمنن والكبريت الأحمر ، وكمؤلفات سيدي مصطفى البكري رحمته الله وكتب الإمام الغزالي كالأحياء ومختصره وكالحكم لابن عطاء الله والتنوير له ، ورسالة القشيري . وأعلم أن طريق القوم سداها هذه الآداب ولحمتها الذكر فلا يتم نسجها إلا بها نسأل الله التوفيق للعمل بأداب الطريق .



## فصل في بيان النفس وأحوالها وتطوراتها وكيفية علاجها وأقسامها

أعلم أيها السالك لطريق السادة الصوفية عمنا الله وإياك والمحبين بالفتوحات الصمدانية والعلوم الربانية . أن الذي قال الله تعالى عنه «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ... الآية» المقصود به قلب المرشد الكامل وقوله «أو ألقى السمع وهو شهيد» قلب المرشد المسترشد الطالب للكمال لأن هذا ميسور لكل إنسان ، لأنه إن توجه إلى عالم الشهادة بحيث ينسى عالم القدس والتنزيه حجب عنه ما فيه من الخواص وصار حيواناً ، وإن توجه إلى عالم الغيب بحيث ينسى عالم الشهادة والتشبيه حجب عنه أيضاً ما عرض له من الخواص السفلية وصار ملكة وأن توجه إلى أحد العالمين ولم يذهل عن الآخر كان إنساناً كاس ، وهذا مقام عال لا يتيسر لأحد إلا لمن سلك طريق المقربين . بعد مجاهدة النفس الجهاد الأكبر ، ومتى كان القلب متوجهاً إلى الجسد بالتنعيمات والذات الدنيوية والشهوات النفسانية كان محجوباً بسبعين حجاباً ، ويسمى القلب في هذه المرتبة بالنفس الأمارة بالسوء ، لأنه حينئذ يتصف بالغضب المذموم وبالحقد والحسد والكبر والتعاضم والعجب والغرور وسوء الخلق ، وغير ذلك من الأوصاف الذميمة التي تبعده عن حضرة ربه ، ولا تستغرب هذا الأمر لأن إتباع الشهوات يجعل العزيز ذليلاً ، وذلك لأن القلب أمير البدن ، والبدن مطيع لأوامره ونواهيه ، فإذا غلبت الشهوات عليه صار الأمير مأمورة ، وانعكست القضية ، فصار الملك أسيرة أو مسخرة في يد كلب ناثر عدو قاهر ، ولهذا كان الشخص إذا أطاع داعية الشره والشهوات يرى نفسه في النوم ساجدة بين يدي خنزير أو حمار ، وإذا أطاع داعي الغضب يرى نفسه ساجداً بين يدي كلب .

واعلم أن القلب إذا نسى نفسه في هذه المرتبة الملعونة وطال وقوفه فيها كان ذلك سبباً في إبطال خاصيته وهي القدرة على التوجه إلى عالم الغيب ، وإبطال خاصيته هو المعبر عنه بسواد القلب بالطبع وبالرين ، لأن القلب كالمرأة ، فمتى كانت صافية عن الصدأ والكدر يشاهد الإنسان فيها الأشياء ، وإذا غلب عليها الصدأ ولم يكن لها ما يصقلها من الموعظة وملازمة الذكر تمكن منها الصدأ وغاص في جوهرها وتعذر على الأستاذ إزالتها ما لم تصادفها عناية من الله تعالى . وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه بقوله «إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد ، قيل وما جلاؤها يارسول الله؟ قال ذكر الموت وتلاوة القرآن» . فمن أراد أن يسلك طريق السعادة والترقي إلى أعلى الدرجات فليدخل أولاً من باب الأبواب وهي التوبة قال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ... الآية» ومعنى قوله نصوحاً : يعنى خالصة من الفسق من نصحت العسل

إذا خلصته من الشمع ، فكذلك التوبة النصوح تخلص القلب من الأغيار وتصفيه من الأكدار حتى يصير مستعدة لما ينقش فيه من العلوم والأسرار ، قابلا لسطوع الأنوار ، وقال ﷺ «التائب حبيب الله ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له» .

واعلم أن النفس نفس واحدة وتسمى باعتبار صفاتها المتعددة بالأسماء المختلفة ، فتسمى «بالأمانة ، واللوامة ، والملهمة ، والمطمئنة ، والراضية ، والمرضية ، والكاملة» وقد عرفت مما سبق أن النفس هي النفس الناطقة وهي القلب الذي قال الله فيه «لمن كان له قلب ... الآية» وليس المراد من القلب قطعة اللحم الصنوبرية الشكل ، وإنما هي اللطيفة الربانية ، لكن لما تدنست بالميل إلى الطبيعة والركون إلى الشهوات ، وصادفت النفس الشهوانية أعني الروح الحيواني ، انخرطت في سلك الحيوانات وتبدلت أوصافها الحميدة بأوصافهم الذميمة ، وصارت لا تميز عنهم إلا بالصورة وصار الشيطان من جندها ، ومن أوصافها «الجهل ، والبخل ، والحرص ، والكبر ، والغضب ، والشهوة ، والحسد ، والغفلة ، وسوء الخلق ، والخوض فيما لا يغني من الكلام وغيره ، والاستهزاء ، والبغض ، والإيذاء باليد واللسان» فهي نفس خبيثة ، المشار إليها بقوله ﷺ «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» قال ﷺ «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قيل : وما الجهاد الأكبر يارسول الله؟ قال جهاد النفس» وذلك لأنها واقعة في ظلمة الطبيعة نفارة من الطاعات ، ميالة إلى المعاصي والشهوات ، فلا فرق لها بين الحق والباطل .

وقد إختار أهل الطريق علاجاً لها في هذا المقام وهو مقام الأغيار أن يذكر الشخص بهمة «بلا إله إلا الله» فكلما أكثر المريد الذكر بهذا الإسم الشريف إنجلى الصدا عن قلبه شيئاً فشيئاً ، وكلما أكثر من الذكر كلما بعد عنه وصف من الأوصاف الذميمة ، وصار كارهة للملذات والمعاصي والشهوات تدريجية ، ومتى صحت توبته إنجلت عن قلبه ظلمات الأغيار . فالنفس بحسب مراتبها ودرجاتها تنقسم إلى سبعة أقسام :

**الأولى) النفس الأمانة :** وسيرها إلى الله تعالى ، وعالمها الشهادة ، ومحلها الصدر ، وحالها الميل ، وواردها الشريعة ، وصفاتها «البخل ، والحرص ، والأمل ، والكبر ، والشهوة ، والحسد ، والغفلة ، والغضب» والخلاص منها بالاسم الأول وهو «لا إله إلا الله» وعدده خمسمائة مرة في كل ليلة على الأقل .

**الثانية) النفس اللوامة :** فسيرها لله وعالمها البرزخ ، ومحلها القلب ، وحالها المحبة ، وواردها الطريقة ، وصفاتها «اللوم ، والفكر ، والعجب ، والاعتراض على الخلق ، والرياء الخفي ، وحب الشهرة والريضة» ويناسبها الإسم الثاني وهو لفظ الجلالة «الله» يذكر فيه كثيراً وأقله «الفان ٠٠٠٢» .

**الثالثة) النفس الملهمة :** فسيرها على الله تعالى ، بمعنى أن السالك لا يقع نظره في

هذا المقام إلا على الله تعالى لظهور الحقيقة الإيمانية على باطنه وفناء ما الله في شهوده ، وعالمها عالم الأرواح ومحلها الروح ، وحالها العشق ، وواردها المعرفة ، وصفاتها «السخاء ، والقناعة ، والعلم ، والتواضع ، والصبر ، والتحمل ، وتحمل الأذى ، والعفو عن الناس وحملهم على الصلاح ، وقبول عذرهم ، وشهود أن الله أخذ بناصية كل دابة ، فلم يبق اعتراض على مخلوق أصلاً» ومن صفاتها «الشوق ، والهيجان ، والبكاء ، والقلق والإعراض عن الخلق ، والأشغال بالحق والتلوين ، وتعاقب القبض والبسط ، وعدم الخوف والرجاء ، والهيام عند سماع الأصوات الحسنة ، وحب الذكر ، وبشاشة الوجه ، والفرح ، والتكلم بالحكم والمعارف والمشاهدة» فهذه الصفات وأمثالها صفة النفس الملهمة ، وإنما سميت ملهمة : لأن الله تعالى ألهمها فجورها وتقواها .

والمريد في هذا المقام محتاج أشد الاحتياج إلى المسلك لأنه ضعيف الحال لا يفرق بين الجلال والجمال ، ولا بين ما يلقيه الملك أو يلقيه الشيطان ، لأنه لم يخلص بعد من كدورات البشرية ويناسبها من الأسماء إسمه تعالى «هو» يذكر فيه بهمة ونشاط وإخلاص حتى يدور في جميع عوالمه وأقل الذكر فيه للسالك «ثلاثة آلاف» .

**الرابعة) النفس المطمئنة :** ومقامها مبدأ الكمال متى وضع السالك قدمه فيه صار معدودة من أهل الطريق واستحق لبس خرقتهم لانتقاله من التلوين إلى التمكين ، وصاحبها سكران «أي بخمر المحبة» هبت عليه نسمات الوصال ، يخاطب الناس وهو عنهم في بون لشدة تعلقه بالحق تعالى ، ويناسبه من الأسماء الإسم الرابع وهو «حق» يوالى ذكره بهمة واجتهاد حتى يتحقق سره ويسري في جميع عوالمه ، وأقل الذكر فيه للمريد «أربعة آلاف مرة» وهذا المقام لا يمكن الوصول إليه عادة لغير السالكين ولو أتى بعبادة الثقلين ، لأن غير السالك مقيد بقيود الشهوات والشرك الخفي ، لا ينفك عنها إلا بأنفاس المشايخ العارفين المتمكنين مع المجاهدة والتزام الأدب على أيديهم وغير هذا لا يصح .

**الخامسة) النفس الراضية :** ومقامها مقام الوصال والفناء والجمع ، صاحبها مستغرق في السكر لا باقية بنفسه بل بربه ، يخاف من شاغل يشغله عن حاله لما هو فيه من التلذذ والصفاء والأنس ، كثير الرضا بالقضاء والتسليم والشكر وغير ذلك من الصفات المحمودة ، ويناسبه من الأسماء الإسم الخامس وهو إسمه تعالى «حي» يذكر فيه بهمة ونشاط لتحيا به نفسه . وأقل الذكر فيه «خمسة آلاف مرة» .

**السادسة) النفس المرضية :** مقامها مقام تجليات الأفعال صاحبها لا يرى صدور الأفعال إلا من الله تعالى فلا يمكنه حينئذ أن يعترض على أحد أبداً ، حسن الخلق يتلذذ بالحيرة التي أشار إليها سيدي عمر بن الفارض بقوله :

زدني بفرط الحب فيك تحيراً وارحم حشا بلظى هواك تسعراً

وحالها الحيرة المقبولة لا الحيرة المذمومة التي تعرض للسالك في بداية أمره ، ويناسبها من الأسماء اسم السادس وهو اسمه تعالى «قيوم» يذكر فيه السالك بهمة ونشاط حتى تسطع في قلبه أنواره وتنجلي له أسرار وأقل الذكر فيه «ستة آلاف مرة» .  
**السابعة ) النفس الكاملة :** ومقامها مقام تجليات الأسماء والصفات وعالمها كثرة في وحدة ، ووحدة في كثرة .

**تنبيه :** قال في الفيوضات الإحسانية : قد انطوى في ابن آدم العالم الأكبر ، فما في الأرض من جبال فهو بمنزلة عظامه وما فيها من بحار عذبة فهو بمنزلة ما أودع في فمه وعينه ، وما فيها من نبات فهو بمنزلة الشعر ، وما فيها من سبخ فهو بمنزلة ما لا ينبت الشعر من بدنه ، وما فيها من سهل ووعر فهو بمنزلة ما فيه من الخلق الحسن يستضيء بنورها فإذا غابت عنه أظلم وما في الكون من قمر فهو بمنزلة العقل .  
فالهِلال بمنزلة عقل الطفل ثم يزيد إلى أن يكمل والكواكب الخمسة السيارة بمنزلة الحواس الخمس وهي الذوق والشم واللمس والسمع والبصر ، والجنة والنار بمنزلة ما فيه من الغضب والرضا ، والليل والنهار بمنزلة ما فيه من الحزن والسرور .  
والفصول الأربعة التي في السنة وهما الصيف والشتاء والخريف والربيع بمنزلة الطبائع الأربع ، والنوم بمنزلة الموت ، واليقظة بمنزلة البعث ، وما يراه النائم من الرؤيا الحسنة أو السيئة بمنزلة النعيم أو العذاب ، وما ألطف ما قيل في هذا المعنى :

دواؤك فيك وما تبصر      ودواؤك منك وما تشعر  
وتزعم أنك جرم أصغر      وفيك انطوى العالم الأكبر

وصاحب النفس الكاملة في مقام البقاء وواردها جميع واردات ما مر من تطورات النفس قبل بلوغها هذا المقام وأوصافها جميع ما ذكر من الأوصاف المحمودة الحسنة للنفوس المتقدم ذكرها ، لأن صاحب هذه النفس صار كاملاً بل هو من كمل الأولياء كيف لا وهو ولي حينما كان في مقام النفس المطمئنة وولياً خاصاً عندما كان في مقام النفس الراضية ، ومن خواص الخواص وهو في المرضية ، فدرجة صاحب هذه النفس الكاملة في القطبانية والاسم الذي يشغل به الكامل قهار وهو أظهر المقامات ، لأنه قد كملت فيه سلطة الباطن وتمت به المكابدة والمجاهدة وليس لصاحب هذا المقام مطلب سوى رضوان مولاه ، أنفاسه كلها حسنات وقدرة وحكمة وعبادة ، إن رآه الناس ذكروا الله تعالى ، إلى هذا يشير رحمته الله «خيركم من إذا رآه الناس ذكروا الله» (أنظر رسائل سيدنا الحاج أحمد الجنيد المغربي شيخ مشايخنا رضي الله تعالى عنه ونفعنا بأمدادهم دنيا وأخرى) .

### **مبحث في حكم التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين**

إعلم أن التوسل إلى الشيء معناه التقرب إليه بوسيلة ، وتوسل إليه بكذا أي تقرب إليه وتوسل فلان إلى الله بوسيلة إذا عمل عملاً يتقرب به إليه ومنه قوله تعالى «يا أيها الذين

آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ... الآية» أي ما تتوسلون به إليه مما يقربكم إلى نيل ثوابه من فعل طاعة أو ترك معصية ، وفي الحديث الوارد في حكاية الآذان «اللهم آت محمد الوسيلة» وهي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به إليه ، والمراد في الحديث القرب من الله تعالى ، وقيل الشفاعة يوم القيامة وقيل منزلة من منازل الجنة فيها مقعد خاص بالنبي ﷺ ما في أعلى عليين في جنة عدن حظيرة القدس .

واعلم أيها المريد الصادق والله يتولى هداك ، أن الوسيلة قسمان : قديمة ، وحادثة .  
**فالقديمة** هي ذاته تعالى وصفاته وأسمائه وكلامه ، فالتوسل بها لا يتوقف فيه إلا ملحد أو جاحد عنيد متمرد ، والحادثة العظمى منها هو سيدنا محمد رسول الله لي وجميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة الكرام والأولياء والأصفياء والصالحون نفعنا الله بهم وبأمدادهم دنيا وآخرة ، والتوسل بهم ثابت وواقع من ابتداء الوجود إلى انخراجه ، في انجلاء الخطوب وتفريج الكرب والنداء لهم والاستغاثة بهم كذلك ، ولا ينكره إلا من عميت بصيرته عن إدراك الحقائق ، وكيف ينكر ما وقع لكثير من الصحابة والتابعين والعلماء الراسخين والأولياء العارفين ، ومعاذ الله أن ينكر التوسل مؤمن معترف ومن بحار إيمانه مغترف ، ولا شك أن الأصل في الأمر الوجوب والتوسل لازم مؤكد محبوب ، وما لا يتوصل إلا به إلى المطلوب فهو من المطلوب ، وفي نهج السعادة قال ﷺ «توسلوا بي وبأهل بيتي إلى الله فإنه لا يرد متوسل بي وبأهل بيتي إلى الله» وقد استغاث عمر بن الخطاب بالعباس عم رسول الله ﷺ واستغاث معاوية بيزيد بن الأسود واستسقى به . وقد تكلم بعض العارفين رضوان عليهم في تفسير قوله تعالى «وأتوا البيوت من أبوابها» أعلم أن البيوت نوعان : حسية ، ومعنوية . وهي أماكن القصد والأمنية ، ولا شك أن الباب الأعظم لدي الحضرة الإلهية هو سيدنا رسول الله ﷺ . قال سيدي محمد البكري رحمه الله في الحضرة المحمدية :

وأنت باب الله أي امرئ أتاه من غيرك لا يدخل  
ثم رسل الله وأنبياءه وملائكته وخواصه وأوليائه ، والإتيان إليهم بوجوه : منها الزيادة ومنها الاستغاثة ، والنداء عند الغارة ، ومنها الالتجاء والنداء عند حلول الضيق .  
قال سيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله :

إليك رسول الله أشكو نوائباً من الدهر لا يقوى لها المتحمل  
وإنني لأرجو أنها بك تنجلي فإنك لي حصن وجاه ومعقل  
فالتوسل جائز عقلاً ونقلاً ينكره إلا جاحد متنطح ، وكيف لا يكون التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين جائزة والسلطان المجازي الصوري العدمي مرتب ملكه على هذه التراتيب ومحددة بحدود وأساليب وأعاجيب ، وأبواب ودساتير ووسائل وحجابا ومحاييب ، حتى أن من جاء على خلاف مراده لا يرضاه ولو كان من أهل وداده ، لأن

بغير هذا الترتيب والنظام لا يتم الانتظام ولا يكون التمام ، وهذا من بديع الاصطناع ورفيع الاختراع ، وكذا رأى كثير منا أن من طرق الباب الأكبر رده إلى الباب الأصغر ، كما يقع كذلك من الملوك المجازية بالفعل وهل هذا يوجب نسبة الملك فضلا عن الربوبية تعالى الله علوا كبيرا . فمعاذ الله أن يقول بهذا إلا أخرق أحرق بل هذا أثبت في الإقرار بعظم الربوبية وأعظم في الاعتراف بالشئون التوحيدية فإن الملك العظيم ذو السلطان الفخيم يهب من يشاء من خواصه من التصريف والحل والعقد والتحريف بقوة سلطانه وعلو قدره وشأنه لتكثر سلاطينه وتظهر براهيته . فتدبر في هذا بعين الإنصاف ودع التعصب والاعتساف . وإذا علمت ذلك وتحققت لما هنالك قطعت بأن خلافه خرق للعادة وإكرام للسادة وإغواء وإملاء لذوى الجحادة ، وانظر يا أخي نظر الاعتبار في قول ربنا العزيز الغفار «إن أكرمكم عند الله أتقاكم ... الآية» وهذه الآية الشريفة نظير الحديث القدسي «كنت كنزا مخفية فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق في عر فوني» فانظر كيف علل الخلق في النوعين بالتعريف للتشريف لكل عين وما ذاك إلا لأن الأتقي نائبه بخلافة وكذا خلق آدم على صورته وذلك ليعرف الخلق مقدار النواب وأنهم الوسائل والأسباب فيأتونه من ذه الأبواب ، ولا ينادونه من وراء حجاب ، ولا ينادونه بخطر الخطاب ، فيردون إلى المخاف ولا يقفون على مطاب ، كما هو العادة فيمن جاء من غير باب ، وتدبر فيما ورد عن الله تعالى في الحديث القدسي «ولا يزال عبيد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» إلى أن قال «ولئن سألتني لأعطينه وأن استعاذ بي الأعيذنه ... الحديث» كأنه سبحانه وتعالى يقول «هو حضرتي فأندها ، وخليفتي فارهبها» وإن لم تدرك هذا فقل أنه حبيب الله وحجاب ومعطي من فضله وهو الباب ، فالجأ إليه كي تجاب ، وانه في كل خطب عجاب وهذا من عظيم تفضلاتي ، جليل مكارمي وهباتي ، أجود بنفسي وبوساطاتي ، وأفيض محاسني وجميل هباتي ، فله الحمد سبحانه على ذلك وله الشكر هنا وهناك . ولا يشكر الله من لا يشكر الناس ، ولا يعبد من بني على غير أساس ولا يصل إليه من سار في غير قسطاس ولله مقاليد السموات والأرض ولا تفتح إلا بمفاتيحها فتبصر إن كنت من ذوي الأبصار ، وقل «وكل شيء عنده بمقدار» فلا ينزل المدد المدرار إلا من قنواته في سائر الأماكن والأعصار . وما أطف ما قال العارف بالله السيد عبد الله المحجوب الحسيني الختم الميرغني في هذا المعنى :

صاح مهما ضقت ذرعا      فاستغث بالأولياء  
تبلغ القصد سريعا      راغما بالأشقياء

ولهذا يتبين لك التعلق بالوسائل والأسباب وتأكد لزوم التزام الوسائل والأبواب وقد جرت عادة الله في أجلاف العلماء والكبراء والظلماء بالإنكار على أولياء الله

وأحبابه حسدا لهم بما أوتوا من الشرف الأعلى والمظهر الأعلى ، وكل ذي نعمة محسود والحسود لا يسود ، ومن أذى أولياء الله فقد حاربه الله ، ومن حاربه فقد خسر دينه ودنياه ، ومن يهدي من أضل الله ومن يرد الله فتته فلن تملك له من الله شيئا . فأولا يتأدب الحاسد الفاقد والجامد الخامد والمعبود الشاهد والمشاهد ، فيمن قال في حقهم الكبير المتعال «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» وقوله «لهم ما يشاؤون عند ربهم» وقال بلسان نبيه ﷺ في الحديث القدسي «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» إلى غير ذلك مما لا تسعة العقول ، ويكفي ذا اللب والاحساس قوله تعالى «ولولا دفع الله الناس ... الآية» وعنهما قال سيد الأنام ﷺ «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» وفي الحديث القدسي «عبدى لم تشكرني إن لم تشكر من أجريت لك النعمة على يديه» فانظر كيف أحال الله عباده إلى الواسطة من خلص أوليائه وعباده الصالحين ليتوسلوا بهم إليه ، ولتعلم يا أخي أن معنى الدفع قوله تعالى «ولولا دفع الله الناس» معناه النفع وهو حسى ومعنوى ، والمدفوع الذي هو الفساد وكذلك فالصوري ما عبر به بقوله تعالى «لفسدت الأرض» والمعنوي ما أشار إليه بقوله «لهدمت صوامع وبيع ... الآية» ومن المعلوم المشاهد المفهوم أن كل من حدث له شيء من نائبات الملك رجع إلى خاصته المخصوصة به وتوجه و توسل بوسيلته وحزبه ، وهكذا فافهم معانى النقول ومحتويات المعقول ، لا كما احتج به الأجلاف واستدل به الأطراف ، فإنهم ما حاموا حوله فما عرفوا ولكن بعقولهم الفاسدة زاغوا وانحرفوا ، فنعوذ بالله من أولئك الضالين المنكرين . أما علموا أن نتائج أفعالهم تكفير أكثر العلماء بأفعالهم ، ومن شدة جهلهم لم يفرقوا بين الوسيلة والعبادة حيث شبهوا من يزور قبور الأنبياء والأولياء والصالحين بمن كان يطوف حول الأصنام من الكفار والمشركين فهل ثم عاقل يكفر من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ألم يعلم هؤلاء الجاحدون والمعاندون المكابرون : أن المشركين كانوا يطوفون حول لأصنام طواف عبادة لها معتقدين أنها الهة لهم ، وأما المؤمنون الذين يزورون قبور الأنبياء عليهم السلام وأضرحة الأولياء والصالحين الكرام ، إنما يزورونهم للتبرك بهم والتوسل إلى الله بجنابهم لأنهم أحباب الله ، ولكنهم لا ينسبون إليهم تأثيرا في عقيدتهم بل يعتقدون أن التأثير الحقيقي إنما هو لله الواحد القهار . وليعلم هؤلاء الجاحدون المنكرون أن ما يصدر من العوام في زيارة أضرحة الأولياء الكرام لا يحمل على الكفر كما يقول هؤلاء المتنطعون المتفقهون ، وأن السذج من العوام إذا سألته عن عقيدته فإنه ينسب التأثير لرب الأنام ، وإذا سألته لم تزور هؤلاء السادة الأعلام؟ قال لك إني جئت متوسلا بهم لأن أنفسهم طاهرة ومطالبهم لا تخيب ولا ترد عند خالقهم

ذی الجلال والاکرام . ومن هذا يتضح لذوي العقول السليمة والأفهام أن التوسل جائز بأنواعه العشرة كما بينه الأئمة الأعلام :

**أولها :** التوسل بمعنى طلب الدعاء من الغير . **الثاني :** التوسل بذات النبي أو الولي .  
**الثالث :** التوسل بالأسماء . **الرابع :** التوسل بذكر أسماء الصالحين .  
**الخامس :** التبرك بآثاره . **السادس :** التوسل بجاهه وحرمة .

**السابع :** الإقسام على الله تعالى بالنبي أو الولي .  
**الثامن :** التوسل بحقه من وحق أوليائه . **التاسع :** التوسل بحق السائلين عليه .

**العاشر :** التوسل بطلب الفعل من الوسيلة وإسناده إليها ، وقد ذكرنا أن العوام إذا طلبوا الفعل من الوسيلة وأسندوا إليها ، فإنما هو جهل منهم بآداب التعبير لقصور أفهامهم ، ولكن لا تحمل عبارتهم على الكفر لحسن نيتهم وسلامة عقيدتهم لأنهم موحدون وبالتأثير لله وحده معترفون فكيف يكفر المنكرون الجاحدون هؤلاء الموحدين فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون «وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون» .

وإن شئت يا أخي أن تعرف أنواع التوسل المشار إليها فانظر في كتب العلامة ابن حجر كالصواعق والفتح ، وانظر كتاب الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ، وانظر رسالة العلامة الجليل الأستاذ الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى وكيل الجامع الأزهر سابقا في جواز التوسل وأقسامه والانتصار لطريق السادة الصوفية ، وأنظر المنتهى والنوادر ، تجد أن رأى أجلة العلماء والأئمة من السلف والخلف أجازوا التوسل بالأنبياء والملائكة والأولياء والصالحين فافهم تغنم إن كنت من الموقنين .

**تنبيه :** لعل بعض المنكرين على الأولياء يقول : التصرف من لوازم الحياة ، وبالموت يزول تصرفهم مستدلين بقوله ﷺ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ... الحديث» والمقصود من الحديث الشريف من قوله «انقطع عمله» يعني التكليفي المأمور به على سبيل الخطاب ، والتكليف لانتقاله من الدنيا إلى عالم البرزخ ، ولا يغيب عن ذهنك أيها العاقل اللبيب أن الأنبياء عليهم السلام وورثتهم من الصديقين والأولياء الكرام هم أحياء عند ربهم يرزقون .

فإن قلت الآية خاصة بالشهداء فتقول : الشهيد قسمان «شاهد حقيقة ، وشاهد حكما» :  
**فالشاهد حقيقة :** هو من قتل في المعركة لإعلاء كلمة الله .

**والشاهد حكما :** كالغريق والحريق والمبطون ومن وقع تحت هدم ، وأعلى منه شهيد المحبة .

ولا شك أن الأنبياء عليهم السلام وورثتهم من الأولياء العارفين الكرام هم شهداء المحبة وكيف يكون ذلك وهم خواص الله وصفوته من عباده وأحبابه المقربون



. وقد قال الله جل وعلا مشرفة لهم ومكرما ومنوها بعلو مقامهم «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» فهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وحضور لدي من ناداهم ، فيتصرفون بحول من له الحول والقوة والطول ، وكم شوه من كراماتهم ما لا يعد ولا يحصى ، حتى لقد خرج البعض من قبره جهارة ، وقضى القاصده ومناديه حاجات وأوطارا. وقد أثبت أجلة العلماء الراسخين : أن الروح إذا كانت كلية كروح سيدنا محمد ﷺ ربما تشكلت في سبعين ألف صورة ، ولا شك أن معراج الأولياء ونورهم ، مما يفيض من معراج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقد أثبت المحققون أن هناك عالم في البرزخ يسمى عالم المثال ، أكثف من عالم الأرواح وألطف من عالم الأشباح ، وما سمي الأبدال أبدا لا إلا لأن الناس يشاهدونهم في وقت واحد في أماكن متعددة وكل من رأى هذا البدل رآه في صورته وهيئته الأصلية ، وأنظر كيف رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء سيدنا موسى الكليم ﷺ وهو قائم يصلي في قبره بالكتيب الأحمر ، ولما عرج به إلى السماء رآه أيضاً في السماء السادسة وقال له «أرجع إلى ربك وسله التخفيف» عندما فرض الله الصلاة على نبيه محمد ﷺ وأمتة ، والصورة التي تخرج من قبور الأولياء والأقطاب والعارفين نفعا الله بهم هي الصورة التي من عالم المثال كما تقدم لك ذكره ، وقدرة الله صالحة لكل شيء ، وكم ظهرت لهؤلاء السادة من كرامات وخوارق للعادات ، حتى ورد أن بعضهم أرشد مريده جهار ، وصافحه ولقنه نهارا ، كما خرجت اليد الشريفة النبوية للسيد الرفاعي رحمه الله ، وكما وقع لسيدي أحمد البدوي رحمه الله وأفاض علينا من بحار أمداده ، وغمرنا والمحبين بغيوث فيض أسرارهِ وإسعاده ، حينما زار قبر جده المصطفى عليه الصلاة والسلام .

إن قيل زرتم بما رجعتم يا أكرم الرسل ما نقول  
فسمع صوتا من القبر الشريف يقول :

قولوا رجعنا بكل خير واجتمع الفرع والأصول  
وكم انتفع بعض المريدين من شيخه بعد مماته أكثر من حياته . واعلم أن إنكار التوسل بالأولياء والصالحين وإنكار كراماتهم سواء في حياتهم أو بعد انتقالهم إلى الدار الباقية من ضعف أولئك الجاهل المنكرين :

ماضر شمس الضحى في الأفق طالعة  
وما أطف قول بعض العارفين :

إذا كنت مزكوماً فليس بلائق مقالك هذا المسك ليس بفائح  
فلا ينكر على الأولياء إلا كل أعمى مطموس ، ومن في قبائحه وغيه منكوس ومغموس وقد أخبر بهذا الصادق المصدوق ﷺ بأحاديث لا تحصى ، ويكفي ما رواه البيهقي في شعب الإيمان عن علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه قال رسول الله ﷺ «يوشك أن يأتي على

الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه ، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى ، علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود» وهذا مصرح برفع معالي هذه الأشياء وأسرارها والمقصود منها وإن وجدت صورته ، ومن تدبر أحوال هذا الوقت رأي الأمر كذلك بلا شت . والمعصوم من عصم الله .

**لطيفة :** روى أصحاب السنن في الحديث عن أبي جزی جابر بن سليم رضي الله عنه قال : رأيت رجلا يصدر الناس عند رأيه لا يقول شيئا إلا صدروا عنه ، قلت : عليك السلام يارسول الله «مرتين» قال «لا تقل عليك السلام ، عليك السلام تحية الموتى ، قل السلام عليك» قال قلت : أنت رسول الله؟ قال «أنا رسول الله ، الذي إذا أصابك ضرر فدعوته كشفه عنه ، وإذا أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك ، وإذا كنت بأرض قفر وفلاة فضلت راحتك فدعوته ردها عليك ... الحديث» فهذه الأوصاف يمكن أنه أراد بها الله وهو الظاهر ويمكن أنه أراد نفسه وأراد بذلك النداء له في الخطوب فيسرع بفضل الله بتفريج الكروب بواسطة الحبيب المحبوب ومن هذا يتبين لك وجوب التعلق بالوسائل والأسباب ، فالجأ أيها المحب إلى الله تعالى متوسط إليه بأحبابه من الأولياء والعارفين واطرق لدى الخطوب ما شئت من أبواب أولئك السادة المحبين المحبوبين تنل ما ترجوه من رب العالمين وتكن مؤمنا كام كما قال الله تعالى حاكيا عن أهله «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ... الآية» وتبرأ من كفر من حكي عنه بقوله «نؤمن ببعض ونكفر ببعض» وكن على يقين من أنه لا حرج على فضل الله ، وقدرته سبحانه لصلح كل شيء وهو كريم يتكرم على من يشاء بما شاء فلا راد لما قضاه ، وإيرادته أمضاه ، حيث لا شريك له فبارك الله .

**تنبيه :** أعلم أن طوائف الزنادقة والملاحدة من المنكرين على الأولياء والسادة الصوفية الصالحين قد قالوا جهلاً منهم بكفر من رقص في مجلس الذكر وطاف حول قبور الأولياء وقبل أعتابهم ، ومن كفر المسلم بدون قرينة تقوم على كلامه فهو واهم مفتون ويخشى عليه من سوء الخاتمة نعوذ بالله من سخطه . إن لم تتداركه العناية الربانية بالتوبة والإنابة ، وقد غفل هؤلاء المنكرون الجاهلون عن أن الشخص لا يكون كافرة إلا إذا جعل مع الله إلهاً آخر أو سب نبيا من الأنبياء عليهم السلام ، أو أهان مصحفاً ، أو أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، فلا يضيرك أيها المحب للأولياء قول هؤلاء الجاحدين المنكرين ، فقد قال الله تعالى «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين» والأولياء هم ورثة الأنبياء بلا شك ولا إيهام ، فلا جرم أن يخوض فيهم سفهاء الأحلام من المعاندين اللتام ، وقد غفل هؤلاء المعاندون المكابرون أن الأولياء هم أحباب الله ، والله يتولى عنهم الدفاع قال تعالى «إن الله يدافع عن الذين آمنوا» وهذا مسلم به

عند كل مؤمن عاقل بلا شبهة ولا نزاع، فتعلق يا أخا الصدق بذيول الأولياء الصالحين وسر على نهجهم وتأدب في حضرتهم تكن في الدارين من الناجحين الفائزين ، وتنال ما تؤمله ببركاتهم من رب العالمين ، واعلم يا أخي أن من أذى أولياء الله تعالى فقد حاربه الله .

### مبحث في تعريف البدعة وأقسامها وأقوال العلماء فيها

**البدعة لها معنيان :** معنى لغوي عام ، وهو الأمر الحادث المخترع مطلق عادة كان أو عبادة وهذا المعنى هو القسم في عبارة الفقهاء . **والثاني** معنى شرعي خاص : وهو الزيادة في الدين أو النقصان منه الحادثان بعد زمن النبي والصحابة رضوان الله عليهم . بغير إذن من الشارع لا قوة ولا فعلا ولا صريحة ولا إشارة ، وهذه لا تتناول العادات أصلا ، كيف وقد قال ﷺ «أنتم أعلم بأمر دنياكم» بل تقتصر على بعض الاعتقادات وبعض صور العبادات من قول أو فعل أو خلق مع اعتقاد أن ذلك قرينة وطاعة وإلا فهو معصية لا بدعة وأن يكون ذلك بمجرد الرأي ليخرج منها الزيادة والنقصان الواقع ذلك بين المجتهدين فإنه عن دليل ، فهذه البدعة في الشرع دون العادة هي الضلالة المنهي عنها المرادة بقوله ﷺ في أثناء حديثه للعرباض بن سارية ؓ «فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» وبقوله ﷺ فيما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» فقوله في أمرنا هذا : أي ديننا وشرعنا مخرج للبدعة في العادة والبدعة في الاعتقاد وهي المتبادرة من إطلاق اسم البدعة ، والمبتدع والهوى وأهل الأهواء ، فبعضها كفر كإنكار حشر الأجساد ونفي الصفات الإلهية مطلقا ، والحكم بقدم صور العالم ، فتحصل من هذا أن البدعة في العادة ليست بضلالة ولا شملتتها الأحاديث ، وقد قال أجلة العلماء من المحققين سلفا وخلفا : أن البدعة تعترئها الأحكام الشرعية ، ولأن القاعدة أن الأمور بمقاصدها لقوله «إنما الأعمال بالنيات» فقالوا أن بعضها مباح وإن كان تركه أولى كاستعمال المناخل والملاعق ونحو ذلك من أنواع الثياب المختلفة ، وبعضها مستحب كعمارة المدارس والرياضات التحصيل العلوم النافعة ، وبعضها واجب كتدوين العلوم وكتابتها ثم طبعها فإن ذلك حدث بعد عصر الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم من باب المحافظة على العلم ، ولو لم يكتب ويدون لما وصل شيء من العلوم من السلف إلى الخلف .

**ومن قسم البدعة الواجبة أيضا :** تصنيف الأدلة والبراهين لدفع شبه الفرق الضلالة الذين اتبعوا أهواءهم ، وتنطعوا في الدين وكفروا المسلمين لتوسلهم بالأنبياء والأولياء الصالحين وزيادة الصلاة والسلام على خير الأنام بعد الأذان ، وبإنشائهم مجالس الذكر حسب ما جاء عن ساداتنا الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد إعتني بعض الأئمة وكثير من الفضلاء والمحققين قديما وحديثا في الرد على هؤلاء

المنكرين المتغالين وردوا عليهم من الكتاب والسنة ونقلوا ما ثبت من الكرامات عن بعض السلف الصالح نفعنا الله بهم ، ومن تكلم عن ذلك الإمام المناوي في طبقاته ، والإمام الشعراني في كتبه ومصنفاته ، كالعهود والمنن والطبقات والكبريت الأحمر ، وسيدي محيي الدين بن العربي في العقائد والفتوحات ، وكتب سيدي أبي النجيب السهروردي كعوارف المعارف وغير ذلك . وما ألفت قول بعض الفضلاء في رد المنكرين وزحزحتهم عن مناوشة الصوفية المتوسلين :

لو كل كلب عوى ألقمته حجرا الأصبع الصخر مثقالا بدينار وممن صنفوا كتباً قيمة للرد على طوائف الوهابية والسنية والسبكية ومن تابعهم في الإنكار على أهل الطرق الصوفية العلامة الجنبهية في رسالته «زحزحة الزائغين عن مناوشة المتوسلين» وكمؤلفات المغفور له الشيخ مصطفى بن أبي سيف الحمامي التي رد بها على الوهابية والسبكية ومن شاكلهم ، كتابه : السر المقصود ، وكتابه : المنح الرحمانية ، وغير ذلك ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء . حيث بينوا لأهل الملة الإسلامية ما عليه هؤلاء الغلاة المنكرون من خطأ في الرأي وتعصب لمذهبهم الفاسد وخروجهم على أئمة الدين وإنكار فضلهم وأنهم هم السبب في إنشقاق عصا جماعة المسلمين ، والسبب في إيجاد النفور بينهم باسم السنة وتحت ستار أنهم يدافعون عن إحياء السنة ، ويدعون أنهم وأتباعهم المصليون وما سواهم من المسلمين ممن خالف رأيهم مخطئون ، بل في زعمهم فسقة كافرون ، أفلا كان يليق برؤساء هذه الطوائف ممن أنكروا على المتوسلين وكفروا الأفاضل من الصوفية وجماعة المسلمين ، أن ينصرفوا عن هذه المناقشات التي تتسع بها الفتنة وتشق بها العصا ويحصل بسببها النفور بين جماعة المسلمين في شأن البدع والمحدثات ، وكان الأولى لأولئك الزعماء الدينيين الذين يطلقون على أنفسهم لفظ الإمامة أن يعالجوا المفاسد والمحرمات التي تفشت في الأمة الإسلامية كتفشي الأمراض والأوبئة ، فهاهي بيوت الدعارة مفتحة منتشرة ، وصار تناول الخمر بأنواعها من مستوجبات مدنية هذا العصر المشؤوم ، وصار الرجال والشبان الخليعون المتمدينون يرون التمسك بالدين رجعية لا تناسب مزاجهم الفاسد ولا تتفق ومدنيتهم التي جرت هذا البلاء الأعظم والدمار والبوار على من تقلد بها . وأنظر إلى أندية الفسق والفجور ترى جماهير من المثقفين والذين ينتسبون إلى الرقي يتسلون بلعب القمار ويغشون صالات الرقص بحالات بشعة لا تقرها المروءة ، فتراهم بملابس شفافة قد كشفت وحددت أعضاهم ، وعبادتهم تصفيف شعورهم وتنميقها وتلميعها ونظرهم في المرأة لإصلاح هذا مهم بما يتفق وحضارة العصر الحديث ، وترى الغش قد سري في كل تجارة وصناعة حتى سرى للألبان قبل أن تحلب من ضروعها ، وانتشر الكذب والفسق والفجور وساعت

الفوضى وعَم المجنون والعصيان وعم الربا وكثرت شهادة الزور وكثر العقوق بالوالدين ، وصار كل إمريء معجب بنفسه ورأيه ، ألا يجد أولئك الأئمة وزعماء الطوائف التي تنكر على أهل الطريق والمتوسلين من السادة الصوفية ، ميدانا ينشرون فيه مواعظهم ويعالجون ما أصاب الأمة من تدهور في الأخلاق واستهتار بأوامر الدين حتى يصدق عليهم أنهم واعظون مرشدون ، ألا يعلم أولئك المرشدون الذين يزعمون أنهم أئمة مجتهدون حريصون على المحافظة على سنة الأنام عليه الصلاة والسلام أن الأمة ثلاثة وسبعون فرقة كل فرقة منها تعتقد أن من سواها مبتدع ، فإذا عمل أهل هذه الفرق بالحديث الذي يستدل به بعض هذه الفرق وهو «من أعرض عن صاحب بدعة بغضا له في الله ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن انتهر صاحب بدعة أمناه الله يوم الفرع الأكبر ... الخ» لو عملت هذه الفرق بهذا الحديث الموضوع الذي يستدل به بعض المغالين الذين يكفرون جماعة المسلمين بالتوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين ، لتصبح الأمة الإسلامية وقد ودعت الصفاء والعز والتقوى إلى غير تلاق . نعم تصبح كل طائفة تربص لسواها لتثبت عليها الوثبة التي تتقرب بها إلى الله تعالى فيكون الكل في النار وإذا كان الأمر كذلك . فماذا تصنع في قوله ﷺ «أنى لأرجو أن أكون أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة» فإذا سعى أولئك الزعماء الدينيون الذين يكفرون المسلمين بسبب ارتكاب البدع ، ونشر التقاطع والتنازع وانتشرت العداوة والبغضاء بين المسلمين ، حتى صار البعض يتربص ببعضهم الدوائر حتى يكون الكل في النار ، فمن أولئك القوم الذين يباهي بهم النبي ﷺ الأنبياء وأممهم يوم القيامة؟ فهل يكون هؤلاء من هذه الفرق فقط؟ إن هذا لهو البلاء المبين . ويا أسفي على أولئك العلماء الذين يتزعمون الطوائف وينصبون أنفسهم للوعظ والارشاد باسم المحافظة على السنة والسياسة ومخاطبة كل امرئ على قدر فهمه واستعداده ، ولكنهم تغالوا في وعظهم وكتبهم إلى أن وصل بهم الأمر وأدى بهم الغرور إلى تكفير كل من انتسب إلى أهل التصوف ، وهم في زعمهم واهمون مخطئون . وقد نقل الأستاذ الجنبهي في رسالته : زحزحة الزائغين عن مناوشة المتوسلين ، قصيدة عصماء ، من تأليف العلامة الشيخ أحمد على المليجي في الرد على طوائف المنكرين الذين يعترضون على أهل الطريق من المتصوفين ، وقد استحسنت نقلها هاهنا ، لينتفع بقوى براهينها وصحة أدلتها كل من يطالع عليها ، فيتوقف بها كل منكر على الأولياء وأتباعهم عند حده . وهاهي بحروفها قال رحمه الله :

قالوا الصلاة على نبيك تحرم	بعد الأذان من الدعاة وأقسموا
وسلامهم كصلاتهم لا فرق في	تحريم فعلهما لدى من يفهم
فأجبتهم لا والذي لولاه ما	خلق الوجود ولا براه المنعم
بل قلت للقوم الذين ترددوا	حل فعلهما وأن لم تحجموا

صلوا على المختار بعد أذانكم حتى إذا ما الناس قد سمعوكم ليعمهم ويعممكم رضوان من ودعوا الغلاة فإنهم قد أخطأوا وإذا تعرض باعتراض نحوكم قولوا له أخساً فالأدلة عندنا وأجلها أمر الإله عباده ثم الأحاديث التي وردت بلا وإذا أجازهما بلا شرط ولا أفلم يكن لك أسوة بهما كما أم هل تري لهواك أن كليهما وتراك أنت ومن يقول بغير ما فتبعتموه وقمتم ببيانه أم هاجوابك يا جهول وإنني إذ لا دليل على الضلال ولا جواب ولئن يقل يا قوم ذلك بدعة قولوا نعم لكنها مما به إذ ليس يحرم كل فعل لم يكن إلا إذا أدى لزيغ عقيدة كالمكس والتشخيص والزار الذي فيكون من شر الحرام وتتنفى وعليه ينطبق الحديث وإن تكن أما الصلاة على النبي وإن تكن فبعيدة عما تقدم ذكره ولذا فأرباب المذاهب كلهم ومن أدعي التحريم ضل وكيف لا ولها نظائر لا تعد كثيرة كمؤلفات للشيخو تضمنت وكذلك تدوين الأئمة مالك تلك المذاهب وهي دون تردد

فوق المنارة يادعاة وسلموا صلوا عليه وسلموا وترحموا الأجور لمن يشاء ويعظم لهواهموا النهج القويم فحرموا غر جهول منهمو متهم كالحشم ساطعة وليست تثلم بكليهما من غير شرط يعلم قيد مخالفه يضل ويأثم قيا إلهك والنبي الأكرم أمران قبل مع الألي قد أسلموا قد أخطأ إذ أطلقا مجرم قالا بدالك الطريق الأقوم للناس قاطبة لكي لا تأثموا لأظنه إن قيل ذلك يبك على سؤال مثل ذلك تفحم ما كان يفعلها الرسول الأعظم يرضى الإله وفعلها لا يحرم في عصر من هو للسعادة سلم أو كان ذنباً من جناه سيندم عم الفساد به وجل المغرم يوم القيامة فاعليه جهنم أولت فيه كما تشاء وتفهم بعد الأذان كما تقول وتحكم وبها سعادتنا وفيها المغنم بجوازها قالوا وخيرا يمموا والخير عنها حيث تعلن وينجم وجميعنا بمدحها يترنم من علم دين محمد ما يلزم والشافعي وأحمد والأعظم نور لمن برشاده يستعصم

ثم أعترا ف المنصفين بفضلها  
وكذا منارات المساجد والمصا  
فتصوم سكان القرى لضياها  
وكذا محارب الصلاة وإنها  
ومطابع الكتب التي نشرت لنا  
ثم المدارس والكتاتيب التي  
وبناء أسبلة وساعات بها  
وكما نسيد في الصلاة نبينا  
وعليه بالصيغ التي لشيوخنا  
وبها يرى خيراً أو إن تك غير ما  
وكنظم أسماء الإله وسردها  
والذكر جهراً من قيام ثم إنشاد  
وقراءة الأوراد في غسق الدجى  
وكالاحتفال بقصة المعراج فى  
ونظير ذلك الاحتفال بليلة الـ  
وكأجر تدريس العلوم وجعلها  
وكجمعها كتباً منظمة وأبـ  
وكغير ذلك من أمور أحدثت  
وأئمة الدين القويم بفعلها  
ما قال منهم قبل حلفك واحد  
هذي أدلتنا التي ليست على  
وهي التي سرنا على منهاجها  
وأمام صولتها وشدة بأسها  
ومن أدعى شرطاً عليه دليله  
ونظن ذلك مستحيلاً «رابعاً»  
إذ ليس يوجد في كتاب واحد  
بل ربما قلنا وقال أولو النهى  
ودليلنا أمر الصلاح ونصه  
وجنابه ملك يطاع وأمره  
وإذن فيمكن أن يقول بقولنا

ووجوب طاعتها على من يفهم  
بيح التي بصيام فرض تعلم  
شهرة وتفطر إن رأتها الصوم  
لأجل صنع للهدى يتحتم  
ما كاد منها قبل ذلك يعدم  
فيها المعارف للبنين تعلم  
تدري مواقيت الصلاة وتعلم  
ونجل ليلة وضعه ونعظم  
كل يصلي مثلهم ويسلم  
في كتب سنته الصحيحة يرقم  
بطريقة فيها يهيم المغرم  
لتنشيط به ترنم  
سحراً وأرباب التكاثر نوم  
خير المساجد كل عام يقدم  
نصف التي فيها المقايبرم  
حصصاً على بعض الزمان تقسم  
واباً مرتبة لمن يستعلم  
من بعد «طه» والذين تقدموا  
في كل عصر قبل عصرك سلموا  
هذا ابتداء لا يجوز ويحرم  
طول الزمان بحالة تتهادم  
وبسردها أنف المكابر يرغم  
حتماً معارضها بها يتلثم  
إن يمكن أو فلا يتكلم  
أو محض وهم بل ولا يتوهم  
نص يساعده على ما يزعم  
بوجوب فعلهما كفرض يحتم  
في الكتب في تلك الصحائف يرسم  
لوجوب فعل كليهما يستلزم  
هذا وإن لم ترض عنه اللوم

فرضا وهم بعد الدليل وسخطهم  
والله يلهمنا الصواب بجاه من  
صلى عليه مع السلام إلها  
وعلى جميع الآل والصحب الأئلي  
هذا وأرجو في النهاية خالقي

وللإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان عليه السلام قصيدة عند زيارته لحضرة النبي صلى الله عليه وآله ذاكراً بها  
توسل الأنبياء والخلائق بحضرة صلى الله عليه وآله نوردها فيما يلي :

ياسيد السادات جتتك قاصداً  
والله ياخير الخلائق إن لي  
وبحق جاهك إنني بك مغرم  
أنت الذي لولاك ما خلق أمرؤ  
أنت الذي من نورك البدر اكتسى  
أنت الذي لما رفعت إلى السما  
أنت الذي ناداك ربك مرحباً  
أنت الذي فينا سألت شفاة  
أنت الذي لما توسل آدم من زلة  
وبك الخليل دعا فعادت ناره  
ودعا أيوب لضررم مسه  
وبك المسيح أتى بشيراً مخبراً  
وكذاك موسى لم يزل متوسلاً  
والأنبياء وكل خلق في الوري  
لك معجزات أعجزت كل الوري  
نطق الذراع بسمه لك معلناً  
والذئب جاءك والغزالة قد أتت  
وكذا الوحوش أتت إليك وسلمت  
ودعوت أشجاراً أتتك مطيعة  
والماء فاض براحتيك وسبحت  
وعليك ظللت الغمامة في الوري  
وكذاك لا أثر لمشيك في الثرى  
وشفيت ذا العاهات من أمراضه

أرجو رضاك وأحمي بحماكا  
قلباً مشوقاً لا يروم سواكا  
والله يعلم أنني أهواكا  
كلا ولا خلق الوري لولاكا  
والشمس مشرق بنور بهاكا  
بك قد سمت وتزينت لسراكا  
ولقد دعاك لقربه وحباًكا  
ناداك ربك لم تكن لسواكا  
بك فاز وهو أبأكا  
بردا وقدمت خدمت بنور سناكا  
فأزيل عنه الضر حين دعاكا  
بصفات حسنك مادحا لعلاكا  
بك في القيامة محتم بحماكا  
والرسل والأملاك تحت لواكا  
وفضائل جلت فليس تحاكا  
والضرب قد لباك حين أتاكا  
بك تستجير وتحتمي بحماكا  
وشكا البعير إليك حين رأكا  
وسعت إليك مجيبة لنداكا  
صم الحصى بالفضل في يُمناكا  
والجذع حن إلى كريم لقاكا  
والصخر قد غاصت به قدماكا  
وملأت كل الأرض من جدواكا



وردت عين قتادة بعد العمى  
وعلى من رمد به داويته  
ومسست شاة لأم معبد بعدما  
في يوم بدر قد أتتك ملائك  
والفتح جائك بعد فتحك مكة  
هود ويونس من بهاك تجملا  
قد فقت ياطه جميع الأنبيا  
والله يا ياسين مثلك لم يكن  
عن وصفك الشعراء يا مدثر  
إنجيل عيسى قد أتى بك مخبراً  
بك لي فؤاد مغرم يا سيدى  
فإذا سكت ففيك صمتى كله  
وإذا اسمعت عنك قولاً طيباً  
يامالكي من شافعي في فاقتى  
يا أكرم الثقلين يا كنز الغنى  
أنا طامع بالجدود منك ولم يكن  
فعساك تشفع فيه عند حسابه  
فلأنت أكرم شافع ومشفع  
فاجعل قرأى شفاعة لي في غد  
صلى عليك الله يا علم الهدى  
وعلى صحابتك الكرام جميعهم

وابن الحصين شفيته بشفاكا  
في خيبر فشفي بطيب لماكا  
نشفت فدرت من شفارقياكا  
من عند ربك قاتلت أعداكا  
والنصر في الأحزاب قد وافاكا  
وجمال يوسف من ضياء سناكا  
طرافسبحان الذي أسراكا  
في العالمين وحق من نباكا  
عجزوا وكلوا من صفات علاكا  
وكذا الكتاب أتى بمدح حلاكا  
وحشاشة محشوة بهواكا  
فإذا نطقت فمادح علياكا  
وإذا نظرت فما أرى إلاكا  
إنى فقير فى الورى لغناكا  
جد لى بجودك وارضىني برضاكا  
لأبى حنيفة فى الأنام سواكا  
فلقد غدا متمسكا بعراكا  
ومن التجي بحماك نال رضاكا  
فعسى أرى فى الحشر تحت لواكا  
ما حن مشتاق إلى مثواكا  
والتابعين وكل من والاكا

فيأيا المنكرون على الأولياء والمتوسلين بهم من خيار المؤمنين ، اتقوا الله وراقبوه ،  
واعلموا أنكم ملاقوه ، وزنوا كلامكم قبل أن يبرز منكم بميزان العدالة والنزاهة والتحقيق  
فمن خاض في الأولياء والصالحين وأذى من أحبهم ، وقال بكفر اتباعهم فهو ملحد  
وزنديق ، وليأذن بحرب من الله «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو  
يصيبهم عذاب أليم» «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا» وأحسنوا الظن  
بالمؤمنين ولا تسيئوا الظن بجماعة المسلمين ، وتدبروا قول الله تعالى «يا أيها الذين  
آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ... الآية» وأعلموا أن الدين متين ولن  
يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأن الدين يسر ، وتدبروا قول النبي ﷺ «  
هلك المتنطعون هلك المتنطعون .. هلك المتنطعون» وذلك لما اشتكى أحد الصحابة

ممن أم بهم فطول بهم في الصلاة ، وكان ذلك المأموم مريضا فحصل منه حدث بطلت به الصلاة ، ثم إن النبي ﷺ أراد أن يرشد أصحابه الكرام الى تخفيف الإمام في الصلاة فقال «من أم بالناس فليخفف فإن فيهم المريض وذا الحاجة ... الحديث» وهذا من باب التيسير على المسلمين ، ونسأل الله أن يهدينا جميعا إلى الصراط المستقيم .

### **مبحث فى كرامات الأولياء وأقوال العلماء والمحققين فيها**

قال الإمام المناوي في طبقاته : الكرامة ظهور أمر خارق للعادة على يد الولي مقرون بالطاعة والعرفان بلا دعوى نبوة ، وتكون للدلالة على صدقه وفضله ، أو لقوة يقين صاحبها وغيره ، وهي جائزة وواقعة عند أهل السنة بقصد الولي على الأصح ، لأن وجود الممكنات مستند إلى قدرته تعالى الشاملة لكلها ، فلا يمتنع شيء منها على قدرته ، ولا ريب أن الكرامة أمر ممكن ، إذ لا يلزم من فرط وقوعها محال لذاته ، فهي جائزة واقعة حسبما نطق به القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أما القرآن الكريم : فكقصة أهل الكهف حيث أقاموا فيه ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، نياما أحياء بلا آفة ولا غذاء وليسوا بأنبياء بإجماع الفرق . وقصة مريم حملت بلا ذكر ووجد عندها رزقا بلا سبب وتساقط عليها الرطب من شجرة يابسة بلا موجب وقصة أصف بن برخيا وزير نبي الله سليمان اليوم ، حيث أحضر عرش بلقيس من مسافة بعيدة في طرفة عين . وأما الحديث النبوي : فكحديث جريج الراهب الذي كلمه الطفل الرضيع حينما اتهموه بالزنا ، فقال له يا غلام : من أبوك ؟ قال : الراعي وقع على أمتي تحت هذه الشجرة بجوار صومعتك ... الخ . وكحديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ، وحديث البقرة التي حمل عليها صاحبها وركبها ، فالتفتت إليه ونطقت بقولها إني لم أخلق لهذا . وحديث الصحابي الذي عاهد الله أن لا يمس كافرة ولا يمسه كافر ، ثم مات شهيدا ، فأرسل بعض الكفار من يمثل به بقطع بعض أعضائه فأرسل الله طائفة من الدبر حمته منهم ، والدبر : ذكر النحل ، فلم يتمكن منهم أحد من مسه . وكقصة خبيب بن الأرت رضا : حين أسر ويبيع بمكة لمن كان لهم عليه دم وأخرج ليقتل ، فأقسمت القرشية التي كان أسيرا لديها أنها كانت تجد معه العنب وأنه لموثق بالحديد وما بمكة يومئذ ثمرة وقد ذكرها البخاري أيضا واعلم أن الكرامة قد تظهر على يد فاسق إنقاذا له مما هو فيه ثم يتوب بعدها ويصير إلى أحسن حال ، وينتقل إلى الهدى بعد الضلال ، بدليل خبر أصحاب الكهف فقد كانوا عبدة أوثان ، ثم حصل لهم ما حصل إرشاد ، وتذكرة ، فإن لم يتذكر بها الفاسق ويهتدي بسببها كانت له استدراجة ، وإن أتت على غير مراده فتكون إهانة له ، وإن حصلت لمؤمن مجهول الحال فهي معونة له .

وقد عد بعض الأئمة من العارفين نفعنا الله بأسرارهم الأنواع الواقعة من الكرامات ،

فبلغت العشرين: الأول) إحياء الموتى . الثاني) كلام المولى . الثالث) انفلاق البحر وجفافه والمشي عليه ، كما وقع للعلاء بن الحضرمي الصحابي الجليل فلة حينما بعثه النبي ال إلى البحرين . الرابع) إنقلاب الأعيان . الخامس) إنزواء الأرض . السادس) كلام الجماد. السابع) إبراء العلل . الثامن) طاعة الحيوان لهم حتى كان بعضهم يشير إلى الأسد فيأتي له منقادة فيركبه ويوصله إلى حيث يريد . التاسع) طي الزمان . العاشر) نشره . الحادي عشر) اجابة الدعاء . الثاني عشر) الإخبار ببعض المغيبات . الثالث عشر) الصبر على عدم الطعام والشراب الأمد الطويل . فقد روي عن سيدي إبراهيم الخواص وله : أنه طوي ستين يوما حتى تعجب منه بعض الرهبان الذين تحدوه وراقبوه تلك المدة وهو لم يتناول طعاما ولا شرابا حتى أعترفوا بفضله وصدقه وإخلاصه ، وكان سببا لإسلامهم وحسن عقيدتهم . الرابع عشر) مقام التصريف . الخامس عشر) القدرة على تناول الكثير من الغذاء . السادس عشر) الحفاظ عن الحرام أن يدخل الجوف . السابع عشر) رؤية الأماكن البعيدة من وراء الحجب . الثامن عشر) الهيبة التي أفاضها الله عليهم ، فقد رفع بعضهم أن أشخاصا أنكروا عليه فرأوه أسد عظيما فاعرا فاه حتى حصل لبعضهم رعب شديد مات بسببه . التاسع عشر) قصم الله تعالى لمن يريد بهم سوءا . العشرون) التطور بأطوار مختلفة وأشكال متباينة . وكل هذه الأنواع ثابتة بعلم ذلك من تتبع كرامات الأولياء . قال العلامة الغزالي في الإحياء ما حكى عن المشايخ من سماع صوت الهاتف وفنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية ، ولا ينفع الجاحد مالم يشاهد في نفسه ، وإذا أحب الله عبدا قذف في قلبه اليقين وإذا أبغض الله عبدا سلك في قلبه الريبة ، كما في الخبر واعلم أن الولي لا يبلغ درجة النبي ولو بلغ الغاية في المحبة وصفاء القلب وكمال الإخلاص ، واعلم أن ظهور الكرامة لا يدل على أفضلية صاحبها ، فقد يكون غيره أفضل منه ، لأن الأفضلية إنما هي بقوة الإيمان وكمال العرفان ، ولهذا قال سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد رضالية ونفعنا بأمداده وأسراره : مشي على الماء رجال ومات بالعطش من هو أفضل منهم . ولما أجهد الصالحون أنفسهم في خدمة مولاهم وسيدهم جل وعلا ، وقاموا بمقتضى العبودية حق القيام ونبذوا الدنيا وراء ظهورهم ، وطرحوا شهواتهم ، وهجروا لذاتهم ، وفارقوا مألوفاتهم وصفو نفوسهم من الرعونات ، بأنواع الرياضات وطريق المجاهدات ، سخر لهم سيدهم سائر المخلوقات يقودونهم بزمام ذلك التسخير ويستخدمونهم في كل عظيم وحقير والجزاء لا شك من جنس العمل ومن وثق عهده مع مولا به عقد الاخلاص أمن من الزلل فطوبى لمن تعلق بأذيال أحباب الله من الأولياء والصالحين ، فهم حبل الله من اعتصم به نجا من الزلل والعطب ، وكان من خاصة المؤمنين ، ومن تخلف عنهم كان من الهالكين فعليك أيها المريد الصادق بالتزام الأدب مع الأولياء والعارفين ،

وتوسل إلى الله بهم في مهماتك يجب نداءك رب العالمين ، وسواء كانوا في حياتهم أم بعد وفاتهم ، فالله يكرمهم ويكرم زوارهم لأنهم عنده تعالى من الوجهاء المقربين ، ولا حرج يا أخي على فضل الله فهو سبحانه يتكرم على من شاء بما شاء ، ولا راد لفضله ولا معقب لحكمه ، قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتدبر يا أخا الصدق في تقدير العزيز العليم ، أيقظني الله وإياك والمحبين من سبات الغفلات وجعلنا ممن يعبدونه بقلب سليم .

### مبحث في الأدب في حضرة الأولياء والصالحين

أعلم يا أخي رزقني الله وإياك الأدب مع الله ورسوله وأوليائه أن الأولياء هم صفوة الله من الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام ، وهم ورثة الأنبياء بحق في حالهم ومقالهم ، فإنهم لما خرجوا عن مألوفاتهم ونبذوا الدنيا وراء ظهورهم ، وجعلوا هواهم تبعاً لما جاء به النبي ، ودأبوا على المجاهدات ، وعمرؤا أوقاتهم بما يرضي مولاهم جل وعلا ، تولاهم الله بفضله ورعايته ، وغيرهم بجوده وعنايته ، وقربهم إليه وجعلهم من خاصته ، فهم أهل الله الذين امتدحهم بقوله تعالى «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » فتأدب يا أخا الصدق في حضرتهم فإنها حضرة الله لا سيما من كان منهم منتسبة إلى النبي ﷺ واعلم بأنهم أحباب الله ، أسلموا وجوههم لله وأخلصوا دينهم لله ، وصححوا معاملاتهم مع سيدهم ومولاهم ، فلذلك قربهم منه وناجاهم . وأفاض عليهم من أنوار المعرفة والعلوم اللدنية والأسرار الربانية ما به يرشدون الخلق إلى طريق الحق ويدلونهم على الله بما ورثوه عن رسول الله ، فهم عرائس حضرة الملك القدوس ، وهم أطباء النفوس ، ولا يحظى بالعرائس ، إلا من بذل النفائس ، فإذا أردت أن تحظى بإمدادهم ، وتغترف من بحار فيضهم وأسرارهم ، فأسلم إليهم قيادك ، واجعل الإخلاص شعارك ، والامثال دثارك ، والتقوى زادك ، والمجاهدة دأبك ، والصدق عتادك . وعن سهل بن عبد الله التستري روي قال : طوبى لمن تعرف بالأولياء فإنه إذا عرفهم استدرك ما فاتته من الطاعات ، وأن لم يستدرك شفعوا عند الله فيه لأنهم أهل الفتوة ، يحبون من الخير لأتباعهم ومريديهم ما يحبونه لأنفسهم ، وهم من أجل نعم الله على عباده ، فبهم يدفع الله عن الخلق البلاء ، وبركتهم وابتها لهم إلى مولاهم ينزل الغيث من السماء ، وبأنوار معرفتهم يهتدى الضال ويسترشد الحيران ، فاسلك طريقهم بصدق وإيقان إن كنت ترجو أن تكون من أهل الوصول والعرفان ، وتأدب معهم تحظ بالدخول في حضرة الرحمن . وجاء عن يحيى بن جعفر الرازي في صفة الأولياء : الولي ريحان الله في الأرض يشمة الصديقون فتصل رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم ويزدادوا برويته عبادة . وإلى هذا يشير النبي ﷺ في الحديث

الشریف حیث یقول «خیرکم من إذا رآه الناس ذکرُوا الله» .

وعن بعض الصوفية نفعنا الله بحالهم ومقالهم : العلماء العاملون أرأف بأمة محمد ﷺ وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم ، قيل له كيف ذلك ؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا ، والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وأهوالها . وقال بعضهم : من صحب الأولياء بصدق ألهاه ذلك عن ماله وأهله وولده وعن جميع الاشغال فإذا صح له ذلك معهم ترقى إلى مقام الاشتغال بالله فاشتغل به عمن سواه ، وإن لم يصح له هذا المقام مع الأولياء لا يشم رائحة الاشتغال بالله أبدا . وعن سيدي يحيى بن جعفر الواعظ رحمه الله قال : الأولياء مثل الصيادين يصطادون العباد من أفواه الشياطين ، ولو لم يصد الولي طول عمره إلا واحدة مفلح في طريق القوم لكان أوتي خيرا كثيرا . وعن أبي حفص النيسابوري رحمه الله قال : لا سئل عن حالة المريدين الصادقين : من آداب الفقراء الصادقين حفظ حرمان المشايخ ، وحسن العشرة مع الإخوان في الله تعالى ، والنصيحة للأصاغر وترك الخصومة في الرفاق ، وملازمة الإيثار ، ومجانبة الإدخار ، وترك صحبة من ليس على طريقهم ، ومعاونة الإخوان في أمر دنياهم وآخرتهم فأعرض هذه الصفات على نفسك فإن وفيت بها فأنت فقير ، وسئل العز بن عبد السلام قدس الله سره عن شروط الفقير فقال : حروف فقير أربعة : فاء وقاف وياء وراء ، فالفاء فراره من حظوظ نفسه ، والقاف قناعته بم تيسر له من رزقه ، والياء يأسه مما في أيدي الناس ، والراء رضاه بما قدر له أو عليه وسئل بأي شيء تعرف الولي : فقال بخمسة أشياء : علم صحيح عن الله ورسوله ، وذوق سليم ، وهمة عالية ، وبصيرة نافذة ، ونفس مطمئنة ، وعن أبي علي أحمد بن عاصم الأنطاكي قدس الله سره يقول : إذا جالستم أهل الصدق من الفقراء فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس الفلوب يدخلون في قلوبكم ويخرجون منها وأنتم لا تشعرون .

وعن سيدي أبي الحسن الشاذلي رحمه الله ونفعنا بحاله ومقاله في الآداب : إن جالست العلماء فجالسهم بالعلوم المنقولة والروايات الصحيحة إما أن تفيدهم أو تستفيد منهم ، وإن جالست العباد والزهاد فجالسهم على بساط الزهد والعبادة وخل عنهم ما استبصروه وسهل عليهم ما استوعروه وذوقهم من المعرفة مالم يذوقوه ، وإذا جالست الصادقين ففارق ما تعلم ولا تنتسب لما تعلم تظفر بالعلم المكنون وبصائر أجرها غير ممنون . واعلم أيها المريد الصادق أن أنبياء الله ورسله وملائكته وأوليائه في خشية من هبة مولا هم جل وعلا ، فإنه كلما اشتد العبد قربة من الله كلما اشتد خوفا منه ، وزاد في أدبه مع سيده ، ولذلك كان النبي ﷺ يقول «شيتني هود وأخواتها» وروى البخاري عن أبي بن كعب رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ «اقرأ على ، فقلت يا رسول الله أقرأ عليك ، وعليك نزل «يعنى القرآن ، فقال : أني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه من أول

سورة النساء حتى قوله تعالى «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ، فبكى رسول الله ﷺ حتى ابتلت لحيته وقال : كفى» وروي أن نبي الله داود عليه السلام كان له جاريتان تجلسان على صدره عند تلاوته في الزبور تخافان عليه أن تتفرق أعضاؤه من شدة الخوف من الله سبحانه وتعالى ، وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا سمع آية من كتاب الله تعالى في الوعيد يخرم مغشيا عليه من شدة الخوف ، حتى يعاد أياما . وقد جاء عن النبي ﷺ «ما جئني جبريل قط إلا وهو يرعد خوفا من غضب الجبار جل جلاله وإليه يشير قوله تعالى «يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون» وقد ورد عن سيدي علي زين العابدين بن الإمام الحسين رضي الله عنهم أجمعين ، وجعلنا في معيتهم حسا ومعنى ، أنه كان ﷺ إذا توضأ أصفر لونه فقال له أهله : ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فقال لهم : أتدرون بين يدي من أقف؟ وعن صالح المري قدس الله سره قال : قدم علينا ابن السماك مرة فقال أرني شيئا من عجائب عبادكم فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له فاستأذنا عليه ، فإذا رجل يعمل خوصة ، فقرات عليه قوله تعالى « إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ، فشقق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده ، وتركناه على حاله ، وذهبنا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشقق شهقة وخر مغشيا عليه ، فذهبنا إلى ثالث فاستأذنا عليه ، فقال : أدخلوا إن لم تشغلونا عن الله ، فقرأت «ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد» فشقق شهقة فبدأ الدم من منخرية وجعل يتشحط في دمه حتى يئس . فذهب به إلى رابع ، ثم إلى خامس ، ثم إلى سادس وكل نتركه مغشيا عليه ، ثم دخلت به إلى سابع فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا ، فقلت بصوت عال «ألا إن للخلق غدا مقامة» فقال الشيخ بين يدي من؟ ويحك ، ثم بقي مبهوتا فاتح فاه شاخصا بصره يصيح بصوت ضعيف أوه أوه ، حتى انقطع ذلك الصوت ، فقالت إمرأته أخرجوا فإنكم لا تتنفعون به الساعة ، فلما كان بعد ذلك سألت عن حال القوم ، فإذا ثلاثة قد ماتوا ، وثلاثة أفاقوا ، وأما الشيخ الأخير فقد مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا ثم بعد ذلك عقل .

وقال أبو حيان رحمه الله : حضرت مجلس ذي النون المصري في فلاة مصر فحسبت من حضر فكان عددهم سبعين ألفا ، فتكلم في محبة الله تعالى وما يتعلق بالمحبين وصفاتهم فمات في مجلسه أحد عشر نفسا ، وماج الناس بالصراخ والبكاء ، ووقع إلى الأرض خلق كثيرون مغشيا عليهم ولم يفيقوا ذلك اليوم ، فناداه بعض مريديه : يا أبا الفيض أحرقت القلوب بذكر محبة الخالق وأورثتها الأحزان والنيران ، فلو بردت القلوب بذكر محبة المخلوقين ، فتأوه وهنا تأوها شديدا وشق قميصه نصفين وقال : آه ، ثم أواه علقت قلوبهم واستعبرت عيونهم وحالفوا السهاد ، وخالفوا الرقاد. فليلهم

طويل ، ونومهم قليل ، أحزانهم لا تنفد ، وهمومهم لا تفقد . أمورهم عسيرة ، ودموعهم غزيرة . باكية عيونهم ، قريحة جفونهم . قد عاداهم الزمان ، وجفاهم الأهل والخلان . وقد أحرقت المحبة قلوبهم ، وصفا من الكدر مشروبهم . فلا جرم أنهم بشروا بالهنا ، وبلوغ المنى .

فأنظر يا أخا الصدق إلى مبلغ خوف هؤلاء الأصفياء من سيدهم ومولاهم ، ولما رأى سيدهم أدبهم معه أدخلهم في حضرته وقربهم ومنحهم الرضا واجتباهم ، وأكرمهم بما شاء من الكرامات ، وخرق لهم العادات . فهم بذكره مشتغلون ، وفي حبه هائمون . وفي خدمته دائبون ومن خشيته مشفقون وفي بحار فيوضاته يسبحون . فهم الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون . وعن سعيد بن إسحاق البصري رحمه الله قال : دخلت في السحر إلى بئر زمزم بالمسجد الحرام فإذا شيخ قد أتى البئر فملاً الدلو وشرب ، فأخذت فضلته فشربتها فإذا هو سويق وسكر ، لم أذق أطيب منه ، ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب . ثم عدت من الغد في السحر إلى بئر زمزم فإذا الشيخ قد دخل وملاً الدلو وشرب فشربت فضلته ، وإذا الماء مضروب بالعسل والطيب لم أذق أطيب منه قط ، فالتفت فإذا الشيخ قد ذهب . ثم عدت من الغد في السحر إلى البئر فإذا الشيخ قد دخل فملاً الدلو وشرب ، فأخذت فضلته فشربتها فإذا اللبن ممزوج بالسكر لم أذق أطيب منه ، فقلت له يا شيخ بحرمة هذا البيت عليك من أنت ؟ قال أوتكتم ذلك حتى أموت ؟ قلت نعم قال : أنا سفيان الثوري .

فكن أيها العاقل كلك آذانا صاغية ، وقلوبة واعية ، وأفكاره ثاقبة . وتدبر ما كان عليه أهل الله وأحبابه وأصفياؤه من علو الهمة ، فلعلك تجد لك داعية تسلك بك حيث سلكوا ، تقف حيث وقفوا ، فلقد كانوا وأيم الله مقبلين على ما يرضى ربهم ليلاً ونهاراً ، لا تركز همهم إلى الدنيا ولا إلى أهلها ولو كانوا في أشد الفاقة ، لأنهم عقدوا الرضا مع مولاهم على أي حال ، فرضى عنهم سبحانه وأصلح لهم الحال والمال .

### مبحث في فضل آل بيت النبي ﷺ وعترته

أعلم يا أخا الصدق أنه قد لهج بالانتساب إلى تلك الشجرة المباركة النبوية الطاهرة الطيبة المرضية نفعنا الله بهم دنيا وأخرى كل من له أدنى صلة بها ، وحق له أن يلهج بانتسابه ، وما أجدره بذلك وما أحراره ، وما أبهج تاجاً تتوج به من هذا النسب وأبهاء ، ولقد أوضح لنا من فعل ذلك أنه وصية مبدأ الكائنات ، وسلالة من أجله تكونت الموجودات بهجة الأولين والآخرين وصفوة الله من جميع العالمين ، سيدنا وولى نعمتنا وملاذنا وفخرنا وذخرنا وفجر سعادتنا الدنيوية والأخروية ، شجرة الأصل النورانية وعروس المملكة الربانية ، وأفضل الخليقة الإنسانية الرافع رؤوسنا إذا تنكست الروس ، والمثبت أقدامنا إذا زلت الأقدام ، إنسان عين الوجود ، وروح كل موجود ، سيدنا ومولانا وحبينا وقره

أعيننا ، محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي الزمزمي صلى الله عليه وعلى آله ما أنعم رب العالمين ، على من تعرض لإحسانه من المؤمنين ، ولقد إمتثل ذلك المنتسب قول جده عليه الصلاة والسلام «أعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم فإنه لا قرب بالرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة ، ولا بعد إذا وصلت ولو كانت بعيدة» رواه الطيالسي والحاكم عن ابن عباس . ونبه غيره من المسلمين أن يقوموا بواجب عليهم هو تعظيم حرمة والبعد عن إيصال أدنى شيء إليه يمس بإحساسه ، فإن الله عظمت قدرته وعلت كلمته حثنا على مودتهم ، وأوقفنا على كبير فضلهم عنده لنعرف لهم ذلك إذ قال أمر له ﷺ أن يبلغنا فنعمل قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ، أي قل يا محمد لأمتك لا أسألكم على إرشادي لكم ومعروفي هذا الذي لا يساوى بشيء من عرض هذه الحياة الدنيا إلا أن تودوا أقاربي بأن تزورهم أحياء وأمواتاً وتدخلوا عليهم كل ما يسرهم . هكذا أورده الواحد في تفسيره .

وقد روى الديلمي بسند جيد عنه ﷺ «من صنع إليكم معروفة فكافئوه» وقد صنع فينا حضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام معروفة هو سعادتنا في الأولى والآخرة ، والله ورسوله يعلمان أننا عاجزون عن مكافأته عليه الصلاة والسلام ، فأمرنا سبحانه بما في وسعنا وما يدخل تحت قدرتنا ، ولقد نبه الله على عظيم فضل آل البيت النبوي الكريم في محكم كلامه القديم ؟ فقال سبحانه وتعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» وقال عز من قائل «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً» لما نزلت هذه الآية الشريفة قال الصحابة للنبي ﷺ كيف نصلى عليك؟ قال قولوا «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد» وقد أخرج أبو الحسن المغازلي عن سيدي محمد الباقر ﷺ ونفعنا به أنه قال في هذه الآية مقسمة «أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله ، قال نحن الناس والله وقال تعالى «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم» أشار ﷺ إلى هذا المعنى وهو الأمان بوجوده ﷺ حاصل بوجود أهل بيته الكرام . وقد روى أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع ﷺ أن النبي ﷺ قال «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي» ومنها ما أخرجه الحاكم بسند صحيح عن أبي زرعة وصول عن النبي ﷺ قال «إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» وروى ابن عساكر عن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ قال «من أذى شعرة مني فقد آذاني» وفي التعبير عن الذات بالشعرة ما لا يخفى من السر .

وروى مسلم والنسائي عن زيد بن أرقم ﷺ قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً فقال



«أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاثا . وروى الحاكم أنه قال «وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم» وروى البخاري عن سيدنا أبي بكر الصديق عليه السلام أنه عليه السلام قال «يا أيها الناس ارقبوا محمدا في أهل بيته» وكان الصديق الأكبر عليه السلام يقول : ارقبوا محمد في أهل بيته . وكان يقول : والذي نفسي بيده لقرابة محمد عليه السلام أحب إلى من قرابتي . وقد روى أن عبد الله بن الحسن عليه السلام أتى مرة إلى عمر بن عبد العزيز عليه السلام في حاجة فقال له «إذا كانت لك حاجة فأرسل إلى أحضر أو أكتب لى ورقة فأني أستحي من الله أن يراك على بابي» وقد ورد أن سيدنا زيد بن ثابت عليه السلام صلى على جنازة ، فلما ركب أخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه ، فقال خل عنه ابن عم رسول الله عليه السلام فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء ، فقبل زيد يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل مع أهل بيت رسول الله عليه السلام ودخلت بنت أسامة بن زيد على عمر بن عبد العزيز يوم فأجلسها مكانه وجلس هو بين يديها . وما ترك لها حاجة إلا قضاها لها ، وما فعل ذلك معها إلا لكونها بنت ابن مولى رسول الله عليه السلام فما بالك لو كانت من بناته عليه السلام وكان سيدي إبراهيم المتبولي إذا جلس إليه شريف يظهر له الخشوع والأدب والانكماش بين يديه ، ويقول أنه بضعة من رسول الله عليه السلام وللجزء من الاحترام ما لكل وكان الإمام الشافعي ولا يتظاهر بحب آل البيت النبوي الكريم فنسبة الخوارج إلى أنه رافضي فقال :

روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل  
رمى بنصب عند ذكرى للفضل  
بحبهما حتى أوسد في الرمل

إذا نحن فضلنا عليا فإننا  
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته  
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما  
وقال أيضا عليه السلام :

ما الرفض ديني ولا اعتقادي  
خير إمام وخير هادي  
فإنني أرفض العباد

قالوا ترفضت قلت كلا  
لكن توليت غير شك  
إن كان حب الولي رفضاً  
وقال أيضا عليه السلام :

فرض من الله في القرآن أنزله  
من لم يصل عليكم لا صلاة له  
وقال الإمام الجليل سيدي محيي الدين بن العربي عليه السلام :

يا آل بيت رسول الله حبكمو  
يكفيكمو من عظيم الفخر أنكم  
وقال الإمام الجليل سيدي محيي الدين بن العربي عليه السلام :

على رغم أهل البعد يورثني القربا  
بتبليغه إلا المودة في القربى  
وقال العلامة الجليل الشيخ مصطفى بن أبي سيف الحمامي رحمه الله :

رأيت ولأى آل طه فريضة  
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى  
وقال العلامة الجليل الشيخ مصطفى بن أبي سيف الحمامي رحمه الله :

ألا إن حبل الله في الأرض عترة  
وإنهم في هذه الدار مركب منيع  
ألا إن آل البيت نبراس ديننا  
وهم مهبط الأسرار والفضل والهدى  
ففي نهجهم فارغب بحبك جدهم  
وسارع هداك الله فيما يسرهم  
وعن ودهم يا ذا النباهة لا تحل  
وقد وجلال الله اليت أننى

لطفه فمن رام النجاة به اعتصم  
فمن يعدوه في اللجة ارتطم  
وبهجة دينانا وهم صفوة النسم  
وهم مظهر الإحسان والنور والحكم  
ويغفر لك الرحمن ما كان من لمم  
فإنك إن خالفت تجنى جنى الندم  
تفز يوم لا الأولاد تغن ولا لحشم  
أكون لهم ما عشت من جملة الخدم

وحيث كان الانتساب إليه وفيه هذا الفضل الجليل ويجلس الإنسان في مجلس الكمال ،  
فها أنا ذاكر لك أيها المريد الصادق الكريم نسب شيخنا وقودتنا ومربي أرواحنا  
القطب الرباني والهيكل الصمدانى سيدنا الشيخ جودة عبد المتعال ؑ ونفعنا في  
الدارين بأمداده حتى تعرف أنه فرع عظيم من هذه الدوحة «الشجرة الكريمة النبوية» .  
فشيخنا ؑ هو أول حلقة من هذه السلسلة ، منبع الآداب وأصل الكمالات ، وكان  
مولده ؑ في سنة ١٢١٢ هجرية ، ونشأ رضىانية مياه بكل جوارحه إلى خلال الكمال  
، نائيا جهده عن سفاسف الأمور ذا همة سامية ، وأفكار عالية . فما مضى زمن وجيز إلا  
وقد حاز قصب السبق من جميع إخوانه ، ثم ثنى العنان إلى مجالس الرجال ، وحنات  
الأبطال . فتلقى الطريقة السطوحية عن شيخه سيدي عمر السطوحي ، فأدلى دلوه في  
الدلاء ، وأخذ يساجل المحبين كؤوس الصهباء ، فتهافتت على تلمذته عظماء الرجال  
وأقطاب الأولياء ، كل يريد أن يكون له من الأبناء .

ليحوز كل فضيلة لما يرى      قطب الزمان له من الأولاد  
فيقول مفتخر أنا قد أثمرت      منى «بجودة» دوحة الإرشاد  
حسبي من الدنيا علاه وها أنا      بأبوتي للقطب نلت مرادى

فرأى ؑ له بعد أن انتهى من الطريقة السطوحية في عالم الرؤيا ، أنه يسبح في بحر  
حتى انتهى إلى زاوية فيه ، فوجد على شاطئ البحر السطوحي وسيدنا الحاج أحمد  
الجنيد رضى الله عنهما واقفين ينتظرانه ، فتناول الجنيدي يده اليمنى والسطوحي يده  
اليسرى وصارا يتجاذبان كل يروم أخذه من صاحبه ، وبعد مدة تغلب الجنيدي على  
السطوحي وأخذه منه ، وقال إن شاء الله يفتح الله على يديه ، واستيقظ الشيخ ؑ .  
وبعد هذه الرؤيا أراد أهل بلده أن يزوروا الشيخ الجنيدي ؑ فكلموه في ذلك فأبى  
تأدبا مع شيخه السطوحي ؑ ، وبعد ذلك أجاب تحقيقا لما رأى ، فلما وصلوا إلى بلد  
الشيخ الجنيد ؑ وقابلوه قال لهم : أجا معكم جودة القميشاوي ؟ قالوا : نعم ، فناده ،

فلما جلس أمامه قال له هات يدك وأعطاه الميثاق . ولا تسل بعد ذلك عما أظهره الشيخ من الإجهاد على يدي الشيخ الجنيدى وبعد زمن غير كثير أجازته بالتسليك في الطريقة الخلوتية والشاذلية والنقشبندية والخاتمية . فالشيخ رحمته الله سطوحى خلوتى ، شاذلى ، نقشبندى ، خاتمى .

ولما جلس رحمته الله على منصة الإرشاد نقحت رباه في جميع الأقطار ، حتى صار ينتشقهها القاصي والداني ، فكان يفد عليه من الجهات الشاسعة ، رجال يتلقون عنه الطريق ويلازمونه حتى ينتهوا ويرجعون إلى بلادهم ، فتصاحبهم سعادة الدنيا والآخرة . واشتهر ذكره في كل الجهات حتى بلغ مبلغا تمنى أقرانه أن يروا أنفسهم فيه ولو مناما ولهج بذكر اسمه الناس حتى أنك كنت تسمع الصبي يحلف بحياته وهو لا يميز الثمرة من الجمرة ، وأخذ له رحمته الله من أفئدة الناس محلا أي محل ، حتى انتفع به خلق كثيرون وفتح الله على يديه كما قال شيخه الجنيد رضي الله عن الجميع ونفعنا بأمدادهم :

فهو الذى ساس الرجال حقيقة      وهو الذى صفى القلوب من الكدر  
وهو الذى بدلاله وجماله وكماله      كل امرئ منا أقر  
فعليه قدر صفاته من ربه      رحماته ما عز بالتقوى بشر

كان رحمه الله في الكرم البحر المحيط ، أو المحيط فيض من يديه ، حتى اشتهر أن من يمد إليه يديه بالعطاء لا يفتقر أبدا ، وكان في الحلم طودا راسيا لا يهتز لجهل الجاهلين . سألته بعض مردييه يوم ، قائلا ياسيدي : إن المشايخ يسامحون أولادهم إلى ثلاث مرات . وكم مرة تسامح أنت ؟ فقال : أسامح كل العمر . وكان إذا غضب لا يلبث غضبه أن يذهب كأنه قزعة صيف . وكان في الصبر لا تزلزله الكوارث ، حتى إنك كنت إذا رأيته وهو مصاب بأعظم المصائب لا تشك في أنه في أحسن الأحوال ، وقد أورد صاحب المنح حاكيا عن السيد المحترم الأريحي التقى الشيخ إسماعيل بن السيد شحات شقيق الشيخ أنه كان نائما معه في ليلة فرأى وهو بين اليقظة والنوم أن فلقا من نار نازلة من السماء على الجهة التي فيها الشيخ فصار رحمته الله يلهج بقوله : اللهم إني لا أسألك رد القضا ولكن أسألك اللطف فيه . فصار ذلك الفلق يتضائل شيئا فشيئا حتى صار كالبطيخة المتوسطة ونزل على الشيخ فتلقاه ، وأخذ يقطعه قطعه ويرمي كل قطعة في جهة ولا زال كذلك حتى بقى معه قطعة صغيرة جدا ، فالتفت إلى الجهات الست ولم يحرمها كأخواتها . يقول السيد الشيخ إسماعيل : وعند التفاته جهتي غاردمى وقاربت الموت ظنا أنه يرميني بها . ولما لم يجد لها محلا هي لك «يا جودة» ووضعها في بطنه . فقمت وأنا أقول مخاطباً له : لن أعود إلى النوم معك ياسيدي بعد اليوم ، فقال لي : والله ياولدي لقد نظرت في السموات السبع وفي الأرضين السبع ما وجدت شيئا يحملها غيري فأصبح الشيخ واستدعى بحجام فأخذ منه ما يزيد عن العشرين قرنا من الدم ،

وحصلت له حالة عصبية ، ولم يتحرك لها رضواء إلا كما يتحرك أحدنا للشوكة إذا شاكرته فانظر رحمك الله إلى هذه الحكاية ، وتأمل صبر ذلك القطب ﷺ تعرف أنه كان رجوته أهل التصريف ، وكان في الغيرة على محارم الله من الطبقة العليا ، حتى قال لى جملة من أولاده الصادقين ، أنه كان عند بعض مريديه في ليلة وكان معه رجل يقول بصوت مرتفع : الفاتحة لفلان ، وهكذا حتى قال الفاتحة للشيخ عبد اللطيف القباتى ، الفاتحة للشيخ محمد عبد الجواد ، فغضب ذلك المريد الذي كان الشيخ في ضيافته ، وكأنه إلى ذلك الوقت لم يتهدب ولم يعرف أخلاق الشيخ ، فضرب ذلك الرجل غضبة لقوله . فسأل الشيخ ما هذه الغوغاء ؟ فحكيت له الحكاية ، فقال لابد من الركوب الآن ، وقعد ثم قام غاضبا مما فعله ذلك المريد الداعي وقال له : هل ذكر الرجل عدوا لنا؟ إنه ما ذكر إلا جماعة من خلاصة المؤمنين هم سادتنا ومشايخنا. وبعد ذلك ركب وترك المحل الذي كان به ، وما رجع إليه إلا بعد شفاعات متعددة ، فرضي الله عنه . ما كان أنقى قلبه من الحقد والحسد والرعنات النفسية وما أشد تغيره على ما لا يرضى الله ورسوله .

وكان ﷺ رمز في علو الهمة في الدرجة التي لا تدانى ، فكنت لا تراه في ليل ولا في نهار إلا ذاكرا أو قارئة للقرآن الكريم . ولقد أطبق جميع مريديه أنه ما كان يقوم أحد منهم بالليل إلا ويراه مستيقظة وإن كان مضطجعة على جنبه . وحكوا أنه كان يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة ، وكان كل أوقاته يسأل عن الوقت المقبل من أوقات الصلاة يقول كم الساعة يافلان وكم بقي على الوقت الفلاني؟ فكان كل حياته ﷺ في صلاة كما ورد في البخاري «أنكم في صلاة ما انتظرتوها» ﷺ ما كان أحرص على الطاعات منه ، وكان في العلم الفريد الوحيد حتى حكى لى الرجل الصالح العالم الشيخ حسين بركات الزيتوني رحمه الله تعالى أحد مريدي الشيخ وأحبته الصادقين أن الشيخ كان إذا تكلم في موضع يأتي بأشياء يرتاح لها الفؤاد حقيقة ، وكثيرا ما كان يظهر الأسف على عدم تقييد ما سمع من الشيخ من دقائق العلوم . وحكى لى السيد الفاضل الشيخ إسماعيل بن أخي الشيخ ﷺ أن الشيخ رضو كان إذا تكلم في التوحيد كان ربما تمضي عليه الليلة في عقيدة واحدة يتكلم فيها . وكثيرا ما كان يعترض عليه المعترضون وفي النهاية يذعنون له وينقادون . قال صاحب المنح رحمه الله . وحكى لى بعض أولاده أن رجلا سأل بلدية للشيخ هل يعرف الشيخ من العلم شيئا؟ فلما دخل الزيارة وجلس شيئا من الزمن قال الشيخ ، وذلك الرجل جالس : إذا ولي الله رجلا علمه فكاد يذوب المعترض خجل ، وحكى : أن ثلاثة من أهل العلم نووا أن يسأله إمتحانا ، فأجابهم وهم في مجلسه قبل أن يسأله ، فقام إثنان منهم وأنكبا على يد الشيخ يقبلانها ولم يقم الثالث ، فانقطع والعياذ بالله ، وكان كثيرا ما ينوى بعض مريديه على أن يسأله عن

وفيجبيه قبل أن يفوه بالسؤال .

ووصل ﷺ في الزهد إلى حالة استوى فيها عنده الذهب والتراب ، بل من رآه حين العطاء يقول أن التراب قيمة عن الذهب عنده . كان ﷺ كثيراً ما يصل إليه من الهدايا والتبرعات والإعانة على إطعام الفقراء مما لا يمكن للحاسبين حصره ، ومع هذا كان في بعض الأوقات يكون محتاجة لبعض نقود وذلك لعدم تعلق قلبه بالدنيا وما فيها . وبالجمله فالرجل كان من عظماء الرجال ، حتى حكى لى ذلك الرجل الصالح الشيخ نصر حسن السدمتى ، وهو من أكابر مريدي الشيخ ومن خواصه ، وقد عاشر الشيخ ستاً وثلاثين سنة ، أن الشيخ رضا كان القطب . وحكى أن الشيخ نفسه قال له ذلك مراراً في المنام وفي اليقظة . وكان من المصدقين على ذلك الرجل الصالح الولي الشيخ حسين بركات والسيد المحترم السيد إسماعيل بن أخي الشيخ وأكابر مريديه الصادقين الذين لا يتوهم العاقل كذبهم وأجمعوا على أنهم ما رأوا الشيخ تفل ولا وقع على جسمه ذبابة واحدة . ولا تثاب ، وذلك من علامات القطب حقيقة ، فإن القطب الغوث يكون محمدي المقام ، أي يكون على قدم سيدنا محمد ﷺ وحكى الشيخ نصر السدمتى رحمه الله : أنه كان يشم من رائحة الشيخ رائحة لا تقاس برائحة شيء من الروائح المعروفة . فسأل الشيخ عنها فقال له : يا ولدي ، هي ورائة من جدي المصطفى ﷺ وحكى لي الرجل الورع الصالح الشيخ حسين الزيتوني رحمه الله تعالى وصديقه السيد المحترم الشيخ إسماعيل شحات أنه كان مع الشيخ هو وبعض إخوانه فقال الشيخ : يا ولد يا حسين : انظر في وجهي تر نور النبي ﷺ يا ولد يا فلان انظر في وجهي تر نور النبي ﷺ ولا زال يكرر هذه الجملة مرارة . ثم التف في ثيابه واضطجع . يقول الشيخ حسين الزيتوني رحمه الله تعالى في أثناء قوله : دخل السيد إسماعيل ابن أخيه فقال له : أعطيتك يا إسماعيل ، أعطيتك يا إسماعيل فقال ماذا ياسيدي ؟ فقال أعطيتك سعادة الدنيا والآخرة . ووجهه في تلك الحالة أرى صفات رسول الله ﷺ المذكورة في الشمائل موجودة فيه .

وأعلم أيها العاقل اللبيب أنني ما نقلت هذه الكرامات إلا من رجال ثقات علماء راسخين ، لازموا الشيخ ﷺ ملازمة الضوء الشمس ، وما ذكرت هذه الكرامات إلا لعلمي أن أحوال الناس وعقائدهم مختلفة في هذا الموضوع ، فمنهم من ينكر وقوع الكرامات بالمرّة ، ومنهم من يثبتها إثباتاً لا كالاتبات حتى إذا ظهرت أمامه كرامة تبهر العقول يقول لشدة جهله وإنكاره وعناده : ذلك سحر ، كما كان يقول ذلك من قبل كفار قريش . ولا يخفى على العاقل اللبيب أن كرامات الأولياء من قسم الممكن فهي جائزة بإجماع المتكلمين وأئمة الأمة وعلمائها سلفاً ، خلفاً ولا ينكرها إلا جاهل أو زنديق . ولتعلم يا أخا الصدق أن الشيخ ﷺ كان يتستر على نفسه كل التستر ، وكانت تظهر على يديه

الكرامة قهر عنه وكان ﷺ لا يحب التظاهر ، بل كان مشربه الخمول والانكسار كما هو شأن الكمل من العارفين نفعنا الله بأسرارهم . وكان يغضب على من يتجسس على أحواله أو يقول له ياسيدي أنت حصل منك كذا وكذا . يدل لما ذكرناه ما رواه صاحب المنح ، عن الرجل الصالح الشيخ نصر السدمنتي عن السيد محمد أبو المكارم من أنه كان مع الشيخ في مولد سيدي أحمد البدوي رضوان ونفعنا بأمداده ، وكان السيد أبو المكارم نائمة بجانب الشيخ ونقيبته الشيخ أبو محجوب كان في جانب آخر ، فقام الشيخ أبو المكارم بالليل فلم يجد الشيخ ، فتعجب من ذلك ، ومن عجبه ذهب عنه النوم وجلس مترقبة لأحوال الشيخ ، وإذا بالشيخ مقبل من بعيد ثم لم يدر الشيخ أبو المكارم إلا والشيخ يتحرك في فراشه بجانبه . فقال له ياسيدي أين كنت ؟ فقال كنت نائمة في محلى ، فقال له : ومن الذي كان قادما من جهة الشرق الآن ؟ فقال لعله النقيب فقال أبو محجوب : يعني نقيب الشيخ نائم والأخوان نائمون إلا أنت ؟ فقال له الشيخ : أسكت يا أبا المكارم ولا تتكلم ولا تتجسس علينا وإلا أذاك أهل الله .

ومن كرامات الشيخ أيضا ﷺ ونفعنا بأمداده : أنه كان بمولد شيخه الجنيدي ﷺ بالميمون في سنة ، وكان رجل من رجال الجيش برتبة ملازم جاء إلى الشيخ وزاره ، وكان قد أخذ الميثاق على الشيخ منذ خمس عشرة سنة ، وقال له : ياسيدي ألق نظرك منا ولا تتركنا فالتفت إليه الشيخ وقال له : هل تركناك يوم اختلى بك الرجلان في السودان وجردا عليك سيفيهما ؟ فاندesh الرجل وتعجب من كرامة الشيخ ، ومن سريان سره ونافذ نظره ، وعدم تركه لأحبابه ومريديه مهما أهملوا في وردهم . ثم قال ذلك الملازم : أنا والله لا أعرف أن أهل الطريق لهم مدخل في هذا الموضوع وليسوا على بالي بالمرة ، وأنا لا أقرأ وردا ولا غيره من يوم أخذت العهد ، ولكن الشيخ ﷺ إلى على نفسه أن لا يترك رجلا بايعه من مريديه مهما أهمل بذلك المريد ما لم يترك طريقه . وكان الشيخ ﷺ يقول في هذا المعنى : أولادي في حضنى كأولاد اللبوة في حجرها .

وأعلم أنه لا يلمس هذه العبارة ولا يتحقق بها إلا من تفانى في حب شيخه وأخلص في خدمته ، وتحقق أنه وسيلة له ورفيقه في السير إلى مولاه جل وعلا ، وقد قالوا : أن الفناء ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول) فناء المريد في حب شيخه ، يعني تسليم قياده له ظاهر وباطنا وإلا لم يكن مريدة صادقة ولا ينتفع من شيخه بشيء . الثاني) الفناء في حب النبي عليه الصلاة والسلام ، فإنه البرزخ بين الخلق والحق ، وهو باب الله الأعظم ، وهو الواسطة العظمى لجميع الخلق في الوصول إلى مولاهم سبحانه وتعالى . الثالث) الفناء في الله ، فمتى تفانى المريد في حب شيخه أو وصله ذلك بالترقى إلى الفناء في حب المصطفى ﷺ فإذا وصل إلى هذا المقام ترقى إلى الفناء في الله ، كما أورده : العارف بالله الشيخ محمد المنير السمنودي ﷺ ونفعنا بأمداده .

ومما روي عن هذا العارف أيضا نفعنا الله بأسراره أنه قال : من خاف من شيء في الوجود وله شيخ متعلق به منقاد له فقد كذب في حب أستاذه ، لأن الشيخ يغار على مريديه كما تغار اللبوة على أولادها في حجرها . وهذا بشرط تعلق المريد بشيخه بالشروط التي تقدمت لك في شروط المرشد وآداب المريد فراجعها إن شئت ، فإذا علمت ذلك أيها اللبيب العاقل فتعلق بأذيال ساداتك وشمر عن ساعد الجد سالكا نهجهم بيقين وإخلاص ، لتنال الوصول ببركاتهم وتحظى بالاجتماع مع أولياء الله ظاهرا وباطنا ، على قدر يقينك وصحة عقيدتك في محبتهم ، فإنه قد جرت العادة أن كل شكل لا يألف إلا شكله حتى في الحيوانات والطيور ، فافهم تغم والله يتولى هداك .

ومما رواه صاحب «المنح» رحمه الله عن الشيخ نصر السدمني : أن الشيخ نصر المذكور كان قد مرض مرضا شديدا وعلم بذلك الشيخ أبو المكارم قذهب إلى الشيخ ليزوره ، ويسأله عن حالة الشيخ نصر وشدد عليه في السؤال ، فحلف له الشيخ بالله أنني وضعت يدي عليه ومسحت على محل الوجع وهو طيب إن شاء الله تعالى . فركب الشيخ أبو المكارم وذهب ليعود الشيخ نصر بسدمنت والمسافة بين بلد الشيخ وبين البلد الشيخ نصر نحو ثلاث ساعات بالركوبة السريعة ، فلما وصل إليه الشيخ أبو المكارم حكى له ما دار بينه وبين الشيخ ، فصدقه على ذلك الشيخ نصر وقال : نعم وجدت برد يده الشريفة على محل الوجع وأنا الآن في حالة صحية طيبة .

**ومنها :** أن الناس كانوا يأتون إليه يشكون له من إسماعيل باشا لما يفعله معهم من إلزامهم بالأشغال الشاقة وأخذ أموالهم بدون مبالاة بجوعهم وجوع أولادهم ، فكان يأمرهم بقراءة قصيدة المنفرجة التي أولها : اشتدي أزمة تنفرجي ، وأمرهم بكثرة التوسل بجاه النبي ﷺ والتوسل بال بيته الكرام . ثم قال في يوم ما : والله لقد اشتد الكرب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، والله ليشتتين إسماعيل شربة من بحر النيل . وفي بعض الليالي قال : أتي الفرج ، أتي الفرج انفرجت ، انفرجت وصار يكرر ذلك فحصل لإسماعيل باشا النفي عقب ذلك .

**ومنها :** ما حكى عن الرجل الصالح الشيخ حسين بركات الزيتوني رضوان الله عليه أن بعض أناس كانوا يفضلون الشيخ سليمان يس الأباصيري على الشيخ ، فحصل له من ذلك غيرة على شيخه كما هو مقتضى آداب المريد مع شيخه ، فكان يتمنى أن يجتمع الشيخ مع الشيخ سليمان يس في محل ويظهر فضل الشيخ عليه ، حتى يسكت أولئك الناس ويزول عنهم اللبس ولا يخوضوا فيما لا علم لهم به . فاتفق أن دعا الشيخ سليمان يس أستاذا الكامل الشيخ جودة ﷺ للتشريف لبلدتهم «أباصير الملق» فلما ذهب إلى منزل الشيخ سليمان يس وجلس في بيته الخاص به وجلس على كرسي ،

وكان الشيخ سليمان في موضع آخر فهاج الناس وماجوا ، وكثر لغطهم في التفاضل بين الشيخ والشيخ سليمان ، وكان الشيخ سليمان من أكابر الرجال حقيقة ، وكانت كراماته كالشمس في وضوح النهار ، فبينما هم كذلك إذ قام الشيخ سليمان من الموضع الذي هو فيه قائلاً لمن كان عنده : قوموا بنا نزور السلطان ، وصار يكرر هذه العبارة . وأخذ يمشي حتى وصل إلى الحفل الذي كا الشيخ جالسا فيه . واستأذن منه في الزيارة ، فأذن الشيخ له ، فذهب إليه الشيخ سليمان وقبل يده وصار يضع عليه يده ويقول للناس : هذا السلطان ، هذا هو السلطان . وظهر للعام والخاص أن سيدنا الشيخ جودة من هو قطب الغوث حقيقة ، وأن الشيخ سليمان وغيره من كبار الأولياء يستمدون منه ويشربون من كفه ، لأن الغوث يكون على قدم رسول الله ﷺ فلا شك أن يكون مقامه أعلى مقامات الأولياء ، فرضي الله تعالى عن ذلك الرجل العظيم ونفعنا وإخواننا ومحبينا ببركاته وبركات أولاده الكرام ، وكراماته ومناقبه لا تعد ولا تحصى ﷺ ونفعنا بأمداده .

**ومنها :** ما ظهر للخاص والعام من أن رجلاً تعدى على صندوق النذور الذي في مقام الشيخ وسرق ما فيه من النقود ، وكان السيد مصطفى البكري ﷺ إذ ذاك غائباً في مصر فلما حضر وبلغه الخبر ، فما كان جوابه إلا أن قال : لا قدرة لي على شيء ، والله منتقم جبار هؤلاء أولياء الله لهم منزلة عنده سبحانه وتعالى فيغار عليهم ، فما مضى بعد هذه الحادثة ثلاثة أيام إلا وقد جاء ذلك الشخص المتعدي على الصندوق في غيطه ، وقام على حين غفلة فزعة مضطربة ، وعلى جنبه أثر الضرب ظاهرة ، وهو ملوى العنق يقول لشركائه : إحملوني إلى البيت ، فإن الشيخ جوده عبد العال وأولاده أيقظوني من منامي وضربوني على جنبى والشيخ لوي عنقي ، وهذا بسبب تجارئي على المقام ، وعندما وصل إلى المنزل أخبر والدته الخبر ، وقال لها خذي معك مائة قرش وعشرة وهي قيمة ما سرقت من الصندوق ، وتوجهى إلى السيد البكري وأطلبى لي السماح منه لعله يسمح لى ، ثم لم يتكلم بعد ذلك مدة يومين ومات في الثالث . وهذه الكرامة حصلت من الشيخ بعد وفاته ، وقد شاعت لدى الناس جميعاً . فليصادم هذه الكرامة التي شاهدها خلق لا يحصون عدداً من كرامات الأولياء وتصرفهم بعد موتهم حتى يكون قد أقام الدليل على أنه إنما ينكر المحسوس .

**ومنها :** أن الشيخ ﷺ كان في سنة في مولد الشيخ الجنيدى بالميمون ، فقال للحاضرين أنى صرفت في المولد في هذه السنة ستمائة جنيه ، وكان في مجلسه إذ ذاك رجل من المنكرين فقام من عنده وقال لآخر : إن الشيخ كذب اليوم كذبة عجيبة ، فإنه كذا وكذا ، فرأى الشيخ في منامه يقول له بعنف غاضبة : أنا كذاب يا فلان؟ ثم ضربه بعيار نارى فعقبها بخمسة عشر يوماً مات الرجل .

**ومنها :** أن امرأة جنيدى أفندى الفيومي صاحب العزبة التي بقرب مدينة الفيوم كانت



مصابة بالنقطة «نسال الله العافية» وحار في مداواتها الأطباء ، وكان الشيخ عندهم في يوم من الأيام ، فقرأ عليها بعض آيات من القرآن الكريم وأمرهم أن يدهنوها بدهن وصفه لهم ، فبعد مضي يومين تكلمت ، وأول ما نطقت زغردت وشفاهها الله ، ورتبت للشيخ عشرة جنيهات كل سنة ينفقها على الفقراء ، وذلك ببركته ﷺ وكان الشيخ لا يخشى في الله لومة لائم ، فكان إذا رأى أن أحد أولاده لصلبه خرج عن بعض أصول الطريق أو وقع منه ما يؤذي بعض الفقراء ، أدبه وشدد عليه .

فمن ذلك أنه أمر السيد محمداً ابنه بفعل شيء طلبه منه وقال له ذلك الأمر يا بني بناء عن أمر سيدي أحمد البدوي ، فكان السيد محمد رحمه الله . لم يعبأ بالسيد ولا بأمره وتكلم أمام الشيخ بما يفيد ذلك ، فلمسه الشيخ بأطراف أصابعه على ركبتيه وقال له قم يا قليل الحياء ، وكان مع الشيخ محمد في ذلك اليوم ضيوف فقام من عند والده ، وكان ركبتيه انخلعت منه يجرها جرة . ولما جلس يأكل مع الضيوف لم يقو على الجلوس كعادته ، بل مد رجله حتى إنتهى من الأكل ، وبعد ذلك مكث ستة أشهر وهو بين الإحياء والأموات ، من شدة الألم الذي لحقه ، وترك الشيخ البلد الذي فيه السيد محمد ، وبعد أخذ ورد وشفاعات لدى الشيخ حتى سامحه فشفاه الله ، حدثني بذلك السيد البكري والشيخ حسين بركات الزيتوني والسيد إسماعيل شحات رضوان الله عليهم أجمعين . وكان الشيخ ﷺ يفعل ذلك مع من يرى فيه بعض مخالفة من أولاده تأديبة له .

**ومنها :** أنه بعد انتقال الشيخ ﷺ بنحو أربعين يوماً ظهرت المشروعات بجهة البلد التي فيها الشيخ ، وأرادت الحكومة توسيع المصرف الذي يقع غربي المقام ، فأتي المهندسون وقدروا الحد الذي يصل إليه المصرف في الإتساع فوصل إلى مقام الشيخ حتى أنه كان يقضي بهدم بعضه ، فاهتم لذلك السيد المحترم الشيخ البكري زمن وقدم للحكومة مذكرة طلب منها استئناف العمل ورجا مدير الأشغال أن يترك للمقام ولو متر واحدة ، فقال له ليس لما يقرره المهندسون من مرد ، وهذا أمر الحكومة ليس لأحد فيه تصرف غيرها ، فسلم الأمر لله تعالى . فلما حضر المهندسون لتوسيع المصرف وعادوا المقاس ، اختلط عليهم الأمر ووقعوا في حيرة شديدة ثم نظروا إلى المقام يسألون ، وكانوا أولاد عرب وأوربيين ، فكان موجودة حين ذلك السيد مصطفى البكري ، وقال لهم : هذا مقام رجل من أولياء الله تعالى ، فتكلموا فيما بينهم باللغات . وبعد ذلك أفصحوا بقولهم أنه بيت الله ، ثم أنهم قدروا مقاسة على الحساب الأول أيضا واعتمدوه وانتهى الشغل عليه بعد ترك نحو أربعة أمتار بجانب المقام أو أكثر ، فرفعوا أيديهم حين الانصراف ووضعوها على رؤسهم وهم متجهون نحو المقام وانصرفوا ، وحكى هذا السيد الجليل الشيخ البكري ﷺ وكثير من الأخوان وهي مشهورة لديهم .

ومنها أن رجلا من قمبش بلد الشيخ يسمى الحاج عبد العال الخولى ذهب سنة إلى الحجاز وكان معه حمارة فقام الريح يوما وثار الغبار ، وضلت من الحاج عبد العال حمارته وهو في الجبل ، فناداه الشيخ وهو في تلك الحالة ، لا تخف يا حاج عبد العال ، وكان الشيخ إذ ذاك بين ملا من العالم ببلده ، فتعجب الناس من كلام الشيخ ، وقد حرر ابنه الحاج بدوي عبد العال ، وكان جالسا مع الشيخ ذلك اليوم وتلك الساعة وأثبتها في مذكرة عنده ، ولما قدم الحاج عبد العال من الحجاز أطلعه بدوي ابنه على المذكرة وأخبره بكلام الشيخ ، فأخبر الحاج عبد العال أهل البلد والحاضرين أنه سمع صوت عمه الشيخ جوده رحمه الله يقول له : لا تخف في اليوم المعلوم والساعة المعلومه .

وفي هذا القدر كفاية لكل عاقل لبيب ومقنع لكل مريد صادق ، يدل على أن الشيخ رحمه الله كان من أحباب الله وخواص خواصه العارفين ، الذين أفاض عليهم من بحار فضله وكرمه ، ما يليق بجوده تعالى وما يليق بتفانيهم في حب مولاهم جل وعلا ، ولو أردنا أن نورد كل ما ثبت لدينا من الكرامات لاحتاج ذلك إلى مجلدات كثيرة وليس كل كرامة تطبيقها العقول حتى تدون وينظر فيها العالم والجاهل ، قال صاحب المنح الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي رضوان الله عليه : وأني ما تحصلت على هذه الكرامات التي ثبتت لدي من أولاده المكرمين ومريديه الأجلاء الصادقين ، إلا بعد جهد جهيد ، حتى أني كنت أرى أحدهم يريد أن يحكي لي ما راه من الشيخ ، فكان يشرع في ذلك ثم يعاود نفسه قائلا : ليس كل سر يباح به . وبالجمله فالشيخ كان من كمل الرجال ومن ذوي المقامات والأحوال ، والكرامات الظاهرة ، والأسرار الباهرة رحمه الله .

ومما روى لنا من عجيب كراماته نفعا الله بأمداه : ما حكاه الشيخ مفتاح القلمشاوي الفيومي وكان رحمه الله من أحباب الشيخ وأخصائه أنه كان له ولد يسمى نظيرا وكان شابا جلدا قويا ، فلما بلغ سن القرعة ذهب الشيخ مفتاح وولده للشيخ ، وقال له : ما رأيك يا عم ولدي نظير مطلوب في العسكرية ، فهل أدفع له البدل أم لا؟ فقال له لا تدفع بدلا ، فلام الناس الشيخ وعنفوه . فلما أتى وقت الفرز قرر الأطباء قبوله ووضعوا في يده الزردة كما كانت عاداتهم في ذلك الوقت ، ثم أتى بعد ذلك مفتش من الأجانب وأعاد الكشف على المقترعين وكان من بينهم نظير ابن الشيخ مفتاح ، فأخرجه المفتش وقال له : أخرج فأنت لا تصلح للعسكرية لأن بنيتك ضعيفة ، وأشباه هذه المسألة في القرعة كثيرة لا تعد ولا تحصى .

ومما حكاه لنا الشيخ مفتاح رحمه الله : أن الشيخ كان عنده في ليلة وكان مستعدة للوليمة استعدادا هائلا ، حتى أن والدته لما رأت الناس الذين كانوا في معية الشيخ قلائل قالت له : يا بني من أين تأتي بأناس يأكلون هذا الطعام كله؟ فما استتم كلامها هي وإنها حتى إمتلأ البيت وازدحمت الشوارع وأتى الناس أفواجا من كل جهة ، وكلهم

لابسون عباءات حمراء وكانوا على ثلاث طبقات : فطبقة جالسون على الأرض يأكلون ، وأخرى جالسون على الركب ، والثالثة واقفون ويميلون لتناول الطعام ، فمكث الناس يأكلون مدة طويلة حتى نفذ الطعام الذي كان قد أعدّه الشيخ مفتاح عطا في تلك الليلة ، وصار يخرج إلى جيرانه ويأخذ ما عندهم من الطعام الحاضر ليقرى بهم ضيوفه الذين ازدحمت بهم القرية ثم إن الشيخ مفتاح لما ضاق ذرعاً بهذه الحالة ، قال لأحد نقباء الشيخ قل للشيخ ماذا نفعل في جماعة «مطرطارس» لأنه كان كلما يسألهم يقولون جميعاً نحن من مطرطارس ، وهي بلد لا يعرف الداعي منها أحداً ، فقال الشيخ له : ياشيخ مفتاح ، ألسنت قلت أنت ووالدتك : لقد هيأنا طعاماً كثيرة فمن يأكله ؟ فقال ياسيدي سلمت الأمر لقدرة الله ولكم ، ولا عدت أعارض في شيء من وجهتكم أبداً فصفق الشيخ على يديه ثلاثة مرات فانتبهوا فلم يجدوا منهم واحداً ، ولم يبق إلا أتباع الشيخ المعروفين الذين حضروا معه أولاً .

**ومنها :** ما رواه الشيخ عويس السبوعي البوشي أحد مريدي الشيخ وخلفائه الصادقين وكان عالماً جليلاً من الأكابر رضوان الله عليه ، أنه كان له أخ ذهب إلى الزقازيق وأقام بها للتجارة ، فانشغل والده على ذلك الولد ، وأرسل أخاه الشيخ عويس إلى عمه الشيخ جودة عليه السلام يسأله عن حالة أخيه الذي بالزقازيق ، فقال : هو في أحسن حال ، وحصل له مأزق وضيق ثم تخلص منه بفضل الله ، وبعد أيام حضر ذلك الرجل أخو الشيخ عويس ، وحكى لوالده وأخوته ما حصل في الزقازيق وقال لهم : أني تخاصمت مع أحد التجار هناك ووصلت بى الحال إلى أن جهلت المشتري مني ، ومن دفع ومن لم يدفع واختلط على الأمر ، فبينما أنا في هذه الحيرة إذ ساق الله إلى رجلاً صالحاً أبيض حسن الوجه كريم الشبهة عليه عمامة خضراء يرى في وجهه أنوار النبوة سعى بيننا بالصلح وحصل لي ما عند المشتري في أقرب وقت ، وأراحني الله بواسطته الراحة التامة وبعد ذلك لم أره ، فكان الشيخ عويس يتأكد من إشارات الشيخ وقت الزيارة قبل قدوم أخيه . وبالجمل : فكراماته ومناقبه عليه السلام أجل من أن تحصر ، نفعنا الله بأمداده وعمنا وأخواننا والمحبين بنفحاته ، وعطف علينا ببركته قلب جده المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وقلوب عترته الطاهرين الكرم .

بذا القطب يامن قد رأى نوب الدهر  
لأكرامه يكسوك من حلل الستر  
يشفع جزماً عند مزدحم الأمر  
وكان ملاذ الناس في العسر يسرا  
بميدان تقوى صاحب النهى والأمر  
بما يعترى قلب المريد لدى اليسر

توسل إلى مولاك فيما ترومه  
ولاتك في شك بأن إلهه  
تشفع به في يوم هول فإنه  
فجودة كان البدر في الناس نيرا  
وكان بلا ريب وحيد زمانه  
وكان إماماً في الطريقة عارفاً

مراهم إرشاداته متحقق  
وذكره في الآفاق أكرم بعرفها  
توليه قطبانية الوقت شاهد  
فروضته يارب نور واسقها  
وصل على بدر الأنام محمد  
كذا الآل والأصحاب ماسمع امرؤ

شفا القلب منها عند كل امرئ پدرى  
ورؤيته عند اللبيب من الذخر  
يؤيد ما أحكي من النظم والنثر  
من الفيض رضوانا يدوم إلى الحشر  
رسولك خير المرسلين ذوي القدر  
بذكرك يامولاي في السر والجهر

دعاه مولاه إلى حظيرة لطفه ورحمته ، ودار كرامته لأحبته ، ليلة الأربعاء سادس المحرم ١٣٢٢ هـ ببلدة قمبش مركز ببا بمديرية بني سويف ، فليبي دعوة ربه ، وما انتشر هذا الخبر إذ ذاك إلا وانقض على البلد أهل مديرتي بني سويف والفيوم وغيرهما ممن وصل إليه خبر إنتقال الشيخ رضوان الله تعالى عليه ، وكنت إذا مررت بأي بلد من بلاد مديرتي بني سويف والفيوم لا ترى إلا قلوبا وجلة ، وعيوننا تسح دموعا كأنها سيل منحدر ، حزنا على هذه النعمة التي فارقتهم ، وفقد ذلك البدر الذي هوى إلى الثرى ، وافتخر به باطن الأرض بما حوى ، من طيب أعظمه الطاهرة . وما جاء وقت تشييع الجنازة إلا وازدحمت البلد وما جاورها من الفناء والفضاء والمزارع ، وغصت بالآلاف المشيعين حتى أنهم كانوا لا يقدرّون بعشرة آلاف ولا بعشرين ولا بأكثر ، وما رفعت الجنازة حتى تراحم عليها الناس وحضر أقرباء الشيخ وبنو عمه من الشعابنة من بلدة بني شربان التي هي مسقط رأس الشيخ وما بها آبائهم وجد السيد محمد الضير وأهله ورحمه ، وأفضى الأمر إلى نزاع كبير لولا حكمة أولاد الشيخ ولأنه قد سبق في علم القديم أن تحظى قمبش بوجود ذلك القطب بين ظهرانيها ، وتتشرف بوجود ذلك البيت الكريم وتفخر به على سائر البلدان ، ودفن رحمته الله بجانب ولده الشيخ أحمد بالمدفن الشرقي من المصرف الواقع شرقي البلد وتالله أنه لثهد تلوح عليه البركات وتتلا على قبته الأنوار والفيوضات ولا يخفى على العاقل اللبيب أن المشهد هو الحكم العدل لصالح الرجل وغير صلاحه كما قال المتقدمون بيننا وبينه المشهد لرجل يشتهر بينهم بالصلاح أي في حال مشهده بعد وفاته ، فإن إنجذاب القلوب ناشئ عن رضا الناس عن الشخص الراحل ، والرضا ناشئ عن سيرة حسنة وقلة أذى ومزاحمة ومشاحنة للناس وذلك عين الكمال ، وقد أفنى عمرا يزيد عن مائة سنة في طاعة الله ليلا ونهارا ، وفي إرشاد ، سده التواضع ولحمته الإخلاص . حتى هدى الله على يديه خلقا لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالى .

ولقد كان الأستاذ رحمته الله وأمدنا من نفحاته وعمنا والمحبين ببركاته ، يحن إلى الإرشاد كحنين الصادي إلى الماء الزلال ، أو المحب لطلعة وجه حبيبته ، وكأنه يريد أن يتم مهمته إلى ذاكر للمطلع الكريم الرجال الذين جعلهم شيخنا المبجل سببا لوصوله إلى

الله عز وجل ، ليعلم أنه ليس بغريب رقية هذا الرقي الباهر ، وهو قد حافظ عمرا ذلك مبلغه على مبادئ رجال ، هم في الحقيقة مهبط رحمة الله وروضة أسرار ، نفعنا الله بأمدادهم أجمعين . ولتشنف مسامعك أيها القارئ الكريم بذكر أسمائهم الشريفة في كتابنا هذا ، فأقول قد علم مما تقدم أن شيخنا السيد جودة رحمته الله تلقى خمس طرق ، وأذن بتلقينها من مريديه الصادقين وخلفائه المكرمين من راه كف لذلك وهي : السطوحية ، والخلوتية ، والشاذلية والنيقشبندية ، والخاتمية وشيخه في جميع الطرق ماعدا السطوحية هو العارف الكبير سيدنا الحاج أحمد الجنيدي الميموني رحمته الله ونفعنا بأمداده وأما سيدي عمر السطوحى الأسيوطي رضوية ونفعنا بأسراره فقد تلقى عنه شيخنا السيد جودة جنائية الطريقة السطوحية ، وسلك فيها زمنا طويلا مع الشيخ السطوحى نفعنا الله بهم وكان شيخنا رحمته الله يزور الشيخ السطوحى نفعنا الله بهم كثيرا وكان عنده وجيها وكان يشفع عند الشيخ السطوحى وتحل على يديه المشكلات رضي الله عن الجميع ، ونفعنا بأمدادهم دنيا وآخرة . وكان سيدي عمر السطوحى شديد التعلق بشيخنا حريصا عليه لأنه كان يرى بعين البصيرة أن نشر طريقته على يديه ، ثم لما سأل عنه شيخنا وجدنا العارف الجنيدي رحمته الله بعد أن رأى شيخنا السيد جودة الرؤيا التي تقدمت لك في الكلام على بدء مناقب الشيخ ، والتي تفيد أن الشيخ الجنيدي تغلب على الشيخ السطوحى ، ولأن الشيخ الجنيدي و كان هو قطب وقته ، ولم يكشف للشيخ السطوحى عن مقام السيد الجنيدي إلا أخيرة فسلم له في أمر شيخنا رحمته الله ثم أن الشيخ الجنيدي لقن شيخنا الطرق المتقدمة .

وهاك سند شيخنا رحمته الله في الطريقة الخلوتية : قد تلقى شيخنا السيد جودة رحمته الله عن شيخه الشيخ أحمد الجنيدي الميموني والجنيدي أخذ عن العالم العامل العارف بالله تعالى سيدي عبد العليم السنهوري الفيومي ، وهو عن مالك الصغير أبي البركات سيدي أحمد الدرديري ، وهو عن سيدي محمد الحفني ، عن سيدي مصطفى البكري الصديقي عن الشيخ عبد اللطيف الحلبي الشامي ، عن سيدي مصطفى أفندي الأدرناوي ، عن سيدي على قره باش أفندي ، عن سيدي إسماعيل الجورومي ، عن سيدي عمر الفؤادي عن سيدي شعبان القسطموني ، عن خير الدين التوقادي ، عن جلبي سلطان الأقسرائي عن سيدي محمد بهاء الدين الأذربيجاني ، عن سيدي يحيى الباكوبي ، عن صدر الدين الخيالي ، عن الحاج عز الدين ، عن سيدي محمد بيرام الخلوتي ، عن سيدي عمر الخلوتي ، عن أخيه السيد محمد الخلوتي ، عن إبراهيم الزاهد الكيلاني عن جمال الدين التبريزي ، عن شهاب الدين محمد الشيرازي ، عن ركن الدين محمد النجاشي عن قطب الدين الأبهري ، عن أبي النجيب السهرودي عن عمر البكري ، عن وجيه الدين القاضي ، عن محمد البكري ، عن محمد الدينوري ، عن ممشاد الدينوري ، عن

سيد الطائفة سيدي أبي القاسم الجنيد البغدادي ، عن السري السقطي ، عن معروف الكرخي ، عن حبيب العجمي ، عن داود الطائي ، عن الحسن البصري ، عن بطل الأبطال جدنا الأكبر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، عن سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ عن سيدنا جبريل أمين الوحي ﷺ عن رب العزة عز وجل .

وأما الطريقة الشاذلية : فقد تلقاها شيخنا السيد جودة عبد المتعال ﷺ عن شيخنا الحاج أحمد الجندي الميموني ، عن شيخه سيدي عبد العليم السنهوري ، عن الشيخ علي النجاري ، وهو عن سيدي الشيخ محمد الأمير الكبير ، وهو عن سيدي الشيخ أحمد الجوهري شيخ الإسلام في عصره ، وهو عن سيدي عبد بن محمد القصري الكنسي المغربي ، وهو عن القطب الكبير سيدي عبد الله بن السيد إبراهيم الشريف ، عن سيدي أحمد الأنجري ، عن سيدي أبي مهدي عيسى بن محمد المصباحي المغربي ، عن سيدي أبي عبد الله محمد بن علي المغربي ، عن سيدي أبي عبد الله محمد بن علي المغربي ، وهو عن سيدي أبي محمد بن عبد الله العزواني ، وهو عن سيدي أبي محمد بن عبد العزيز نزيل مراکش ودفينها ، وهو عن سيدي أبي محمد عبد الرحمن الجزولي صاحب كتاب «دلائل الخيرات» المتوفى (٨٦٧ هجرية) وهو عن سيدي أبي عبد الله بن محمد المنيطي وهو عن سيدي أبي عثمان الهرتناوي عن سيدي زيد بن عبد الرحمن الرجراجي وهو عن الشيخ أبو الفضل الهندي وهو عن الشيخ عينوس البدوي وهو عن شيخ الإسلام سيدي علي البدري عن سيدي أبي عبد الله المغربي وهو عن ذلك البطل الشهير والقطب الكبير سيدي أبي الحسن الشاذلي المتوفى (٦٥٠ هجرية) وهو عن أبي محمد عبد السلام ابن مشيش المتوفى (٦٢٢ هجرية) وهو عن أبي محمد بن عبد الرحمن الحسيني المدني ، عن سيدي أبي عبد الله التنايري ، وهو عن ذلك المعلم الشهير أبي بكر الشبلي ، وهو عن سيد الطائفة سيدي أبي القاسم الجنيد المتوفى سنة ٢٧٧ هـ وهو عن السري السقطي إلى آخر ما تقدم في سلسلة الخلوتية نفعا الله بأمدادهم جميعا .

والطريقة النقشبندية : تلقاها شيخنا عن شيخه الجنيد وهو عن شيخه السنهوري وهو عن أستاذه الدردير وهو عن شيخه السيد محمد الحفني وهو عن سيدي مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي وهو عن شيخه سيدي عبد اللطيف الحلبي الشامي وهو عن الشيخ عبد القدوس النقشبندی وهو عن سيدي جلي النقشبندی وهو عن الشيخ محمد النقشبندی وهو عن سيدي فيروز النقشبندی وهو عن الشيخ عمر النقشبندی وهو عن الشيخ شعبان النقشبندی وهو عن الشيخ حسن النقشبندی وهو عن الشيخ علي النقشبندی وهو عن الشيخ يوسف النقشبندی وهو عن الشيخ عبد الله النقشبندی وهو

عن السر السقطى كما تقدم أيضا رضي الله عنهم جميعا ونفعنا بأسرارهم وفيوضاتهم .  
والطريقة الخاتمية : تلقاها شيخنا عن سيدي أحمد الجندي الميموني وهو عن شيخه  
السنهورى ، وهو عن سيدي داود القلعاوي ، وهو عن ذلك القطب الكبير سلطان الجن  
القاضى «شمهورش» ولعلك تستغرب يا أخي كيف يكون الجن شيخاً للأنس ، مع أن  
نوع الإنسان الآدمي أشرف المخلوقات وأكرمها بدليل قوله تعالى «لقد كرّمنا بني آدم»  
فأقول لك لكل شيء مزية والمزية لا تقتضي الأفضلية ولكن القاضى «شمهورش»  
سلطان الجن عليه السلام تلقى الطريقة الخاتمة عن النبي صلى الله عليه وآله فهو صحابي من مؤمنى الجن عليهم السلام  
وقد عاش إلى زمن سيدي داود القلعاوي يعنى عمر نحو ألف سنة ، لأن الجن يعمر  
كثيراً ، وقيل إنه لم يمت إلا في عصر سيدنا الشيخ جوده عليه السلام وعلى ذلك يكون شيخنا  
رضا تابعي وتكون تلك ميزة له وأفضلية على أقرانه من الأولياء وقد سمعت ذلك مرارا  
من الرجل الولي الصالح الشيخ حسين بركات الزيتوني رضوان الله عليه وسمعتة أيضا من عمى وأستاذي  
السيد بريق خيطرى الحمامي الشريف وهو من خلفاء شيخنا الأكبر السيد جوده عبد  
المتعال نفعنا الله بهم جميعا .

ومما تقدم يتبين لك أيها المطلع الكريم أن رجال الطريقة الخلوتية مشايخنا رضوان  
الله عليهم أجمعين هم أصل ينتهي إليهم سلسلة أهل الطرق كما علمت .  
وأما الطريقة السطوحية : فقد تلقاها وأجيز بها شيخنا السيد جوده عبد المتعال ، عن  
شيخه سيدي عمر السطوحى وكان رضا مشهورا بالتصريف العالى وكراماته كالشمس  
في وضوح النهار نفعنا الله بأمداده وأشياخه جميعا وهو عن سيدي محمد السطوحى  
وهو عن سيدي أحمد السطوحى وهو عن سيدي على السطوحى وهو عن سيدي عبد  
القدوس السطوحى وهو عن سيدي محمد السطوحى وهو عن سيدي حنفى السطوحى  
وهو عن سيدي عيسى السطوحى وهو عن سيدي عبد الوهاب الجوهرى وهو عن  
سيدي عبد المتعال وهو عن سيدي أحمد البدوي قطب الأقطاب وفحل الرجال وهو  
عن سيدي أبي الريش وهو عن سيدي عبد القدوس وهو عن سيدي محمود الحميري  
وهو عن سيدي حميد الحميري وهو عن سيدي عبد الله اليمنى وهو عن سيدي عبد  
الله الحميري وهو عن سيدي طاووس

بن نمره وهو عن سيدي حبيب العجمي وهو عن سيدي محمود الخلوتى وهو عن  
سيدنا سلمان الفارسي عن صديق رسول الله أبي بكر بن أبي قحافة ، عن حبيبه رسول  
الله محمد بن عبد الله صفوة الله من خلقه صلى الله عليه وآله عن جبريل أمين الوحي عن الله عز  
وجل .

فسرح طرفك أيها القاريء الكريم في هذا الروض واحترمه غاية الاحترام ، فإنك لا

ترى إلا خلاصة الأمة المحمدية من كمل الرجال العارفين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهدى الله بهم العباد ، فاستحقوا بذلك أن يكملوا في الوراثة المحمدية حالاً ومقالاً رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بأمدادهم دنيا وأخرى ووفقنا وإخواننا ومحبينا جميعاً السلوك نهجهم القويم بصدق وأمانة وإخلاص وجعلنا ببركتهم من عباده الخواص وما أحسن ما قاله العلامة الجليل السيد مصطفى بن أبي يوسف الحمامي رضوان الله عليه ناظماً في مدح الأولياء والصالحين نفعنا الله بهم :

يا لائمي حب قوم تجسمت	كمالاتهم حتى بدت كضيا الفجر
دع اللوم وانظر منصفاً تر أنهم	هم الغيث في هذا الوجود الذي تدرى
ترى منظرًا يزرى بدنياك كلها	وهل يذكر المرجان في جانب الدر
ترى أعينا منها المدامع قد همت	لما عندها من خشية المنعم البر
ترى أرجلا صفت لخدمة ربها	ترى ألسنا تقتات من دسم الذكر
ترى صبوة والله قد فتت بها	كبودهم وهي الحياة مدى الدهر
ترى لطف أخلاق بها فد تفردوا	ترى أوجها تختال في حضرة البدر
فهم معشر لين المهاد عليهمو	حرام إلى أن يلحقوا روضة القبر
فكن يا كثير اللوم مع من أحبهم	تفز من شديد الهول في موقف الحشر
وناج بها عند الشدائد كلها	إلهك يفرج عنك ما ضاق من أمر
ولقد أجاد من قال فيهم :	

عبت بنشر هواهمو ريح الصبا	وإلى شذاهم كل قلب قد صبا
وتضرعت أنفاسه ولطالما	صمت اللسان بها فأصبح معربا
قوم إذا نزلوا بواد مجذب	قفر تأرج بالعبير وأعشبا
وإذا بدا البحر الأجاج لشارب	منهم يعود من المدامة أطيبا
فاسلك طريقهمو بصدق يا أخى	لتنال من رب العباد تقربا
ونهاية القول أنهم رضي الله عنهم :	

حمة الله للأنام جميعا	نور هذا الوجود من غير ريب
ملجأ الناس عند كل ملم	كمل ليس فيهمو أي عيب
إذا تبين لك ما تقدم من مناقب أولئك الرجال الكمل العارفين رضوان الله عليهم	
أجمعين فأصدق في حبهم ووف بعهدهم ، وأخلص في سيرهم وأفطم فؤادك عن	
غيرهم وكن مع شيخك في غاية الأدب تنل ببركته أعلى الرتب كما أشار إلى تلك	
الآداب سيدى مصطفى البكري الصديقي في مجموعته رول في باب آداب المريد مع	
شيخه :	



وشرطها حفظك ما يلقيها  
وسره ه عن كل شخص صنه  
ولا تقل (لم) إن نهاك أوامر  
ولا تطأ له على سجاده  
وزوجه من بعده لا تنكح  
ولا تكن تصحبه لعله  
وعنده لا تشطحن مع خاطر  
إليه واجلس دائما في حضرته  
وهذه بعض الذى قد وجبا  
وأن ذا مكانة لقد علا  
فقم بها وفقت للمزيد

فكن إذا خوطب بالنبيه  
واحفظ جميع ما أتاك منه  
من قالها قد ذاق في السير السم  
ولا تنم له على وساده  
فمن يكن يفعل ذا ما أفلحا  
فمثل ذا يزيد فيك العلة  
تسقى الحشا الشراب العاطر  
مثل مصل جالس في هيته  
على المريد الذي يدعى أبا  
على أبي الصلب أيا من جهلا  
ونلت تقريبا من الحميد

### فصل في بيان أقسام المريدين ومراتبهم عند السادة الصوفية

أعلم يا أخا الصدق ثبتنا الله وإياك والمحبين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، أن المريدين على قسمين : قسم يأخذون العهد للتبرك فقط ، ويكفيهم المحافظة على الصلاة والاستقامة على أحوال الشرع ، وهؤلاء لا يكلفون بأوراد ولا آداب مما ورد لك من تعاليم ساداتنا الصوفية نفعا الله بأسرارهم . وقسم : يأخذ من الميثاق لأجل الوصول إلى منازل أهل القرب من العارفين ، ومريدو هذا القسم هم الذين اختارهم الله من صفوة خلقه ، وجعلهم محلا ومهبطا لأسراره ، ومظهرها لقدرته ، وهم يد الله في أرضه ، بهم تنزل الرحمة وتدفع النقمة ، وهؤلاء المريدون الأخيار السالكون طريق الأولياء والصالحين الأبرار ، لا ينالون تلك الدرجات العلى إلا بالتفقه في الشريعة ثم العمل بآداب المتصوفين وسلوك طريقهم بصدق وإخلاص ليستحقوا أن يندمجوا في سلك عبادة الله الخواص أهل القرب والاختصاص .

ولتعلم أيها المريد الصادق : أشرق الله في قلبي وقلبك شمس المعرفة والحقائق أن أحوال المشايخ مع المريدين الصادقين والذين هم لعهد الله من الموفين ، كلها إمتحان واختبار إمتثالا لقوله تعالى « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » فمن نجح في امتحانهم كان من أهل السعادة والتمكين ، وكشف له عن عين اليقين وإليه الإشارة في قوله تعالى « إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا » والغرض من الامتحان رفع الدرجات للأولياء ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى « ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » وقوله تعالى « ليلوكم أيكم أحسن عملا » فمن صبر على تأديب شيخه وجفوته له نال الخير أجمع . وقد جرت

العادة أن الثمر لا يجني إلا بعد عناء الغرس ، ولتعلم يا أخا الصدق ، أن فتح المريد على قدر إعتقاده في شيخه الذي أخذ عنه العهد ، فإن زاد في الاعتقاد فيه زاد في الفتح ، وإن نقص باعتقاده فيه نقص فتحه ولا ينتفع به ، ومثل من لم يحترم شيخه ويعتقده كممثل شخص عثر على جوهرة ولكنه أهمل في المحافظة عليها لجهله بمكانتها ، فإنه لا يعرف خواص المعادن النفيسة والجواهر الثمينة إلا حذاق الصياغ بما لهم من الخبرة التامة والفكرة الثاقبة والبصيرة النافذة «وما يذكر إلا أولو الأبواب» وإلى ذلك أشار شيخ مشايخنا العارف بالله تعالى أستاذنا السيد مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي رحمته الله بقوله في ورد السحر «إلهي دلني على من يدلني عليك وأوصلني إلى من يوصلني إليك» .

ألم تعلم يا أخا الصدق أن النبي ﷺ نوه على الصديق الأكبر مشيرة إلى علو آدابه وتفانيه في حب الله ورسوله بقوله « أن أبا بكر لم يفضلكم بكثرة صلاة ولا صيام ولا عبادة ، إنما فضلكم بشيء وقر في قلبه » وها هنا تسجد العقول وتصمت الألسن ويقف اليراع والأقلام في وصف تلك الحالة العالية التي ينطوي عليها قلب ذلك الصديق الأكبر رضى الله تبارك وتعالى عنه ونفعنا بأسراره وأمدنا بأمداده وعطف علينا ببركة قلب حبيبه وقرة عينه سيدنا ومولانا محمد ﷺ وتالله أيها المريد الصادق إن التعبير عما أنطوى عليه قلب سيدنا أبي بكر وبين من اليقين الكامل ، والحب الصادق واليقين الراسخ ، ليس للمعبر فيه مجال فإن الطريق حال أكثر منه مقالا ولا يعرف ذلك إلا ذوو الهمم العالية من أهل الذوق والمعرفة والكشف الصادق .

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها وإلى ذلك المقام العالي يشير النبي صلى الله عليه وسلم بقوله منوها بفضل الصديق ﷺ : لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر ، وتفهم إن كنت من ذوي الأبواب في قوله لا مشيرا إلى فضل الصديق الأكبر الذي ناله بزيادة اليقين وكمال المعرفة وصدق المحبة وما صب جبريل في قلبي شيئا إلا وصبيته في قلب أبي بكر ، ولو اعتقد أبو جهل في النبي ﷺ الأسلم على يديه ، فلو أخذ المريد الصادق من القطب الغوث ولم يعتقده لا ينتفع بسرّه كما تبين لك .

إذا علمت ذلك أيها العاقل اللبيب فاشدد كلتا يديك على أستاذك الذي رباك وتأدب في حضرته وراقبه بقلبك في غيبته واصدق في محبته فإنه رفيقك في السير إلى مولاك وليحرص المريد الصادق من غرور الفتوحات فإذا وصل إلى حال من أنواع الفتح والقبول نفسه أفضل من شيخه ولا يغتر بزخرفة الشيطان لأعماله وتزيينها له بوسوسته فلا يرى فيقول محاجا لشيخه أنا وهو سيان فهو يشرب من بحر النبي ﷺ وأنا أشرب منه ويستمد من أهل الطريق وهم معي وأنا من أهل التصريف وشيخي لم يصل إلى مقامي

وأنا قطب وشيخي لم ينلها فهذه غرور الفتح وإن كان المرید قد وصل إلى مجالسة النبي ﷺ فهل يقبل النبي ﷺ رجلاً مغروراً بفتحه ناقص الأدب مع عمه «شيخه»؟ أو لا يعلم أنه ما نال من بركات الدنيا وسعادة الآخرة إلا من بركات شيخه عليه ونظره بعين الوداد إليه وهل يفتح باب بلا مفتاح؟ وهل يخرج النبات بلا ماء فكيف يجحد نعمة شيخه عليه التي وهبها الله له على يديه، والله يقول في كتابه العزيز «لئن شكرتم لأزيدنكم... الآية»، ولقوله ﷺ «من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه... الحديث» فهل تكون مكافأة الشيخ بالذم فيه والافتخار عليه بفتح أو مال أو جاه، إن هذا لهو الخسران المبين. رزقنا الله الأدب مع الله ورسوله ومع مشايخنا الأكرمين رضي الله عنهم أجمعين حكى أن الخضر عليه السلام كان جالساً مع سيدي الشيخ عبد العليم السنهوري رحمه الله ونفعنا بأمداده فدخل عليهما العارف بالله سيدنا الحاج أحمد الجنيد الميموني نفعنا الله بأسراره فقبل يد شيخه سيدي عبد العليم السنهوري قبل مصافحة الخضر عليه السلام فقال له أستاذة السنهوري بعد خروج الخضر السلام: ألم تعلم يا جنيد بأن الجالس معي هو الخضر عليه السلام؟ فقال عرفته يا سيدي منذ دخلت عليك وما قبلت يديه إلا بعدك لأنني ما عرفته إلا بك. وإلى ذلك الأدب العالي يشير ابن عطاء الله قدس سره بقوله في الحكم: لولا المرابي ما عرفت ربي. وإياك أن تغتر أيها المرید الصادق بأقوال المنكرين وآراء المعترضين على الأولياء والصالحين فإنهم يدعون العلم وهم لا يعرفون إلا القشور، فإن من أقوالهم المزيفة وأرائهم العقيمة يقولون: إن تقبيل أيدي المشايخ سجده صغرى، ويكفرون من يقبل يد مشايخه، وهذا هو منتهى الجهل. أو لا يفهم أولئك الجاهلون أن السجود لا يتحقق إلا بالصاق الجبهة بالأرض بقصد العبادة، والمرید لا يقبل يد أستاذة إلا من باب التوفير والاحترام؟

وقد قال العلامة الدردير رحمه الله في كتاب الشرح الصغير وفي شرحه على خريدة التوحيد وجاز تقبيل يد من ترجي بركته من العلماء العاملين والصوفية الصالحين، كما يطلب في حق الولد تقبيل يدي والديه. وتبصر أيها العاقل اللبيب في أقوال أولئك المعترضين على السادة الصوفية فإنهم إنما يفتنون بهواهم ومن أضل ممن اتبع هواه، وإذا قالوا بتكفير من يقبل يد أستاذة فهل يحكمون بتكفير من يقبل أرجل العلماء العاملين والانحناء للأمراء وكيف يقيمون الحجة على هؤلاء بالكفر وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويحلون الحلال ويحرمون الحرام، ويتبعون جمهور المحققين من العلماء الراسخين من السلف والخلف ومن شبه هؤلاء المعترضين على الأولياء ومن يتبع طريقتهم، اعتراضهم على زوار الأولياء وتقبيل الأعتاب والأضرحة، وينسبون زوار الأولياء إلى الشرك ويقولون أنهم يفعلون كما يفعل عباد الأصنام، إن هذا لهو الجهل بعينه. فقد وهم هؤلاء المعترضون حيث لم يميزوا بين عباد الأصنام

من المشركين ، وبين زوار الأولياء من المتوسلين . وهل يفتى عالم محقق بأن من زار  
ولية متوسلاً به أو قبل أعتابه أو أي شيء يتعلق به يكون كعبدة الأصنام ويكون مشركة  
؟ فماذا يصنع في قول الشاعر المعبر عن حال مجنون ليلي حيث يقول :

أمر علي الديار ديار ليلي      أقبل ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حب الديار شغفن قلبي      ولكن حب من سكن الديارا  
وإذا كان هذا التعلق باثار محبوب في سبيل محبة فانية بقصد شهوة حيوانية ، فما  
بالك أيها العاقل اللبيب بالحب النزيه البريء الذي يتوصل به العبد إلى سيده ومولاه  
جل وعلا وإلى ذلك يشير قوله « لا يؤمن أحدكم حتى يحبني أو يحب من يحبني ...  
الحديث » وما أحسن قول بعض العارفين المحبين :

رأي المجنون في البيداء كلبا      فجر له من الإحسان ذيبا  
فلاموه على ما كان منه      وقالوا لم أنلت الكلب نبلا  
فقال دعوا الملامة إن عيني      رأته مرة في حي ليلي  
قال صاحب كتاب حجة الذاكرين في الرد على المنكرين : وأما قول المنكرين على  
الصوفية والمتوسلين أن أهل الطريقة يأثمون بالانحناء رؤسهم حين يذكرون اسم الشيخ  
ويقولون : ياهو ، ويقول هؤلاء المعترضون أن ذلك الانحناء سجدة والسجدة مختصة  
بالله الكريم . فأقول لهم : نحن نتواضع لله وقصدنا بذلك الانحناء التواضع لله ، وبلفظ  
هو ذكر الله ، وتعظيمنا لله حقيقة وأنتم ترون تعظيمنا لهم لكثرة إنكاركم على فقراء  
الصوفية وأنا نشاهد الهوية السارية المطلقة لا بشرط شيء ، وتعظيمنا لتلك القدرة  
الإلهية وذلك الانحناء ليس بسجدة وكأنكم لستم عالمين بأركان الصلاة لأن السجدة  
إنما تكون على سبعة أعضاء ، خصوصا وسجدة التحية جائزة كما سجد الملائكة  
الكرام لآدم عليه السلام ، ولا كذلك سجدة التعبد ، وقد أفتى بذلك الشهاب بن حجر  
في فتاويه ، وكتاب الكبريت الأحمر للعارف الشعرائي عن شيخه الخواص ، واليواقيت  
الإمام الشعرائي ، وزحزحة الزائعين عن مناوشة المتوسلين للعلامة الجنبهية .

ولنعد بك أيها المطلع الكريم إلى ما كنا فيه أو من التكلم في مناقب شيخنا الأكبر ،  
وقدوتنا الموقر ، قطب الرجال سيدنا الشيخ جودة عبد المتعال رضاه ونفعنا به ، وبمن  
ورثه من كملة الرجال ، فنقول : قد أعقب هذا السيد الكريم ﷺ ولدين : هما السيد أحمد  
(وهو الكبير) والسيد محمد . أما السيد أحمد ﷺ كان تقي زاهد عفيفة كثير الورع من أهل  
العلم المعتبرين ، تلقى الطريق عن والده وأذن له بالسلوك ، ولكنه لم يشتغل بالسلوك ،  
لأنه كان من أرباب الأحوال وكان محبا للخمول وعدم الشهرة ، وكان رحمه الله شديد  
الورع حتى وصلت حالته أنه لا يتناول شيئا من الطعام حتى يرجع فلذلك كان سيره  
معهم قليلا ، انتقل ﷺ ببلده قمبش ودفن في المقام المتقدم قبل والده بنحو عشر سنين ،

ولم يعقب ذكورا وعمره نحو السبعين سنة قضاها في طاعة مولاه ، فرحمه الله رحمة واسعة ونفعنا بأمداده . ولما دفن ﷺ بذلك المشهد العظيم مر عليه بعض أخوانه المعاصرين له وكان زميله في طلب العلم راكبا على فرس ، فحينما وقع نظره على المقام وعرفه الناس أنه دفن به سيدي أحمد نجل الشيخ فتكلم بما معناه ، عدم الاستحقاق لهذا المقام والزيارة ، وكان وقتما تكلم بجانب المصرف الواقع غربي المقام ، فنفرت فرسه فألقته في المصرف فقام ينقض ثيابه وهو يضرب كفا بكف نادمة ما حصل منه من اعتراضه على السيد أحمد نجل سيدي الشيخ جودة رضي الله عنهم ، ونفعنا بهم . وتوجه إلى السيد أحمد يخاطبه معذرة ويقول : ما كان ظني فيك يا شيخ أحمد أن تغضب مني وأنا صاحبك وزميلك . وقد نقل لي هذه الكرامة الفاضل المحترم السيد إسماعيل شحاته ، وفضيلة الشيخ الموقر السيد مصطفى البكري وخلق غيرهما كثيرون . وأما السيد محمد ﷺ فهو الذي تولى منصب الإرشاد خلفا لوالده بإذن منه ، وكان رحمه الله شهيدا . شجاعة كريمة غيرة متوكلا على الله في كل أحواله سليم الطوية صادق العزم ، صالحة وقورا . كان رحمه الله قبل انتقال والده ﷺ وقبل توليه منصب الإرشاد بدينا ضخما ، ولكن بعد ذلك ذهبت تلك الضخامة وآل أمره أن صار نحيفا ، وفي ذلك من السر ما لا يخفى على كل عاقل لبيب ، لأن الاضطلاع بمنصب الإرشاد جد خطير ومهمته شاقة لو حملت به الجبال لأبت أن تحمله ، فإن من تعرض لمنصب الإرشاد للخلق لا بد وأن يكون من التقوى والمراقبة وتصحيح المعاملة بينه وبين مولاه سبحانه وتعالى بمكانة عالية تليق بمهام ذلك المنصب الخطير فاعتبروا يا أولي الأبصار .

وقد مكث بعد والده ﷺ نحو سنة ونصف تقريبا يؤدي وظيفته حق تأديتها حتى ملك قلوب العالم بجميل أخلاقه ، وعظيم جوده وجيل إحسانه . ثم بدا له أن يؤدي فريضة الحج فتأهب للسفر ورافقه ، خلق كثيرون لتأدية الفريضة . وخرج من المنزل ورأى الناس أفواجا وزمرة يفدون إليه لتوديعه . ولما وصل إلى المحطة إشتد عليه الزحام فدخل حجرة في المحطة وقفل عليه بابها حينما عاين الضرر لنفسه من تزايد الازدحام والإقبال عليه ولم يخرج حتى أتى القطار المعد لنقل الحجاج فركب ووصل إلى مكة المكرمة وتم له ما أراد من تأدية فريضة الحج وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام بأحسن حال ، وقفل راجية إلى بلده تصحبه السعادة ، فأقبل عليه الناس أفواجا متراحمين عليه لتهنئته على توفيق الله له لتأدية هذه الفريضة العظمى وعقب ذلك بقليل مرض ولزم الفراش حتى انتقل إلى رحمة الله وإحسانه ﷺ وقد عمر نحو السبعين سنة قضاها في طاعة مولاه وخدمة الفقراء والمساكين ، وإرشاد الخلق إلى طريق الحق ، وكفاه بذلك فخرة .

وأعقب رحمه الله أربعة من الذكور وهم : السيد مصطفى البكري والسيد طه ، والسيد محمد الحفني ، والسيد عبد الله نفعنا الله بأسرارهم . أما السيد مصطفى البكري ﷺ

فقد أذن له والده بالتصدر لوظيفة الإرشاد قبل وفاته ، فجلس رحمه الله على منصبها ، وأدار دفتها إلى ما يرضي الله ورسوله . والناس أجمعين . ولقد برهن بعالى همته وجليل أفعاله أنه الغرة البيضاء في جبهة عصره ، وأنه تاج العارفين وبهجة المصلحين العالمين ، وكان ﷺ بحراً زاخراً في الجود والسخاء والإحسان والعطف على الفقراء ، كما كان حلو اللقاء ، طلق المحيا ، هاشا باشا لمن حظى بمقابلته ، لذلك دانت له الرقاب ، وملكته أزمته الأبواب ، فكان هو معاذ الفقراء وملاذ الأيتام والمنقطعين ، والمنهل العذب لجميع الواردين ، بعد جده ﷺ تصديقا لرؤيا شافهني بها نفسه ، وهي من صريح الأدلة له في توليه منصب الإرشاد .

قال رحمه الله : رأيت في عالم الرؤيا أن جدي الشيخ جودة ، جالس على مرتفع يحف به بعض مريديه ، وأنا جالس بين يديه ، فقال له بعض المريدين مستفهما ؟ ياسيدى من يكون الملاذ للفقراء بعدك ؟ فقال له : ولدي هذا ، ووضع يده على ولما أذن له والده بالإرشاد اهتم لذلك اهتماما عظيما واشتد لذلك الأمر لا يعلمه من خطر ذلك المنصب حتى اشتد عليه ذلك في ليلة وتراكت عليه الخواطر ، فثقلت عيناه وهو على هذه الحالة ، فرأى في المنام أخت مولانا الحسين السيدة زينب رضي الله عنها وعن آل البيت النبوى الشريف ونفعنا بأمدادهم ، رآها تقول له : كيف تهتم يا بكري وأنا آخذة بيدك حيثما كنت ؟ قال : فكنت أجذب يدي من يدها ، أنظر هل أخذها بقوة أم لا ، فأجده بقوة ، قال رحمه الله : فاستيقظت من منامي فرحة مسرورا ، وقد زال عني ما كنت أعانيه ، ولقد أصبح طريق الإرشاد بهذا السيد واضح الأعلام للمسترشدين ، وصارت شجرة النفع باسطة أغصانها على جميع المريدين فغدوا جميعا ببركاته بالتقوي متحلين وكثيرا ما رأى أناس أنهم يأخذون الميثاق منه أو يؤمرون بذلك في منامهم .

وقد حكى لي بنفسه رحمه الله حكاية من هذا القبيل : قال بينا أنا جالس في بلدي إذ خطر على خاطر أن أذهب إلي بني سويف من غير أن يكون لي حاجة بها ، فقممت في الحال وتوجهت إلى بني سويف ، ولما وصلت إليها وإذا برجل من أهل العلم مقابل لي قائلا : ياسيدى البكري قد أمرني رسول الله ﷺ في المنام أن أتلقى عنك الطريق فامتثلت ذلك ، ولقنته الذكر ورجعت إلى البلد ، وفهمت أن ذلك هو مقتضى ما خطر لي في البلد ، وقد امتدح هذا السيد الجليل العلامة الأستاذ السيد مصطفى الحماوى رحمه الله بقصيدة :

سبحت بفكرتي فى الكائنات	وأبت وهمتى عند الثقات
وجبت فدافد الدنيا جميعاً	أنقب عن كنوز المكرمات
فشمت سميذعاً شهماً تقياً	له القدح المعلى فى الهداة
هو البحر الخضم بغير ريب	هو المرموق عند النازلات
وفي كفيه بحر الجود يجرى	بعشر جداول متساويات

زلالا قاتلا للحادثات  
ترى ما قد عراك على شتات  
به طودا عظيما فى الثبات  
ويمنحه الهبات الوافرات  
يقوم قومه بيد الثقات  
غدا بدرا يضىء على الجهات  
وأسأله له طول الحياة  
ويرشد للمرامي الناصعات  
به ويجده «حسن الوفاة»

ومنها تنهل الظمأى جميعاً  
وإذا ما شممته فى حال كرب  
وإذا ما يجهل السفهاء ترنو  
يقابل من أساء بكل بشر  
هو الرجل الذي قد ظل فردا  
هو البكرى يدعى «مصطفى» من  
إلى ربى بسطت يد ابتهالى  
فينشل حائرا ويعين حراً  
وأرجو من إلهى وهو حسبى

ومن خلال هذا السيد ﷺ أنه لو دعي في جهة كما هي عادة الناس يدعونه ليتشفوا بقدومه عندهم ، يرجون بركته وبركة جده ﷺ الذي هو جزء منه ، وللجزء من الاحترام ما للكل وكان الداعي الذي في ماله «شبهة» بيت مقبوضاً ، وإذا تناول شيئاً من طعامه يتعبه جدا في الهضم وربما تقيأه ، وإذا دعى لمحل فيه منكر كالملاهى والراقصات ونحو ذلك مما لا يليق بمجلسه المهيب امتنع من الدعوة واعتذر للداعي . ومما أكرمه الله تعالى به أنه كان إذا توجه إلى جهة ولم يعرفه أحد أن المحل به «منكر» رأى من مركوبه «فرسه» جموحا ونفورا وليس ذلك من خلقه . ثم يتبين أن المحل به منكر ، فيرجع إلى البلد قبل أن يقرب من محل الداعي .

وقد أجرى الله على يديه عجائب الكرامات وخوارق العادات ، وأسلمت على يديه النصارى . ومن خلاله الحميدة حبه للعلم وأهله حبا جما يبرهن على ذلك إلزامه رجلا من أهل العلم أن يوالى الدروس التعليم المصلين والزائرين في المسجد الذي بناه بجوار مقام جده الشيخ جودة وضو وشرأوه الكتب النفيسة ، وشغفه بالمطالعة وسماع العلم من غيره . وكان له شأن في الكرامات لا يلحق ، وهمة في المعالي لا تسبق . كما قال بعض مادحيه :

خلائق أبطال وفعل أجلة  
سلالة قوم منهمو أشرق الهدى  
ومما قاله ذلك العبد الذليل أسير الخطايا والذنوب المعترف بالعجز والتقصير ، جابر أحمد أبو معمر خادم السادة الكرام آل جودة رضي الله عنهم ، مادحا فيهم :

يا آل طه أرتجى الكرم الذى  
أنتم غياثى يا كرام الأوليا  
والجود من أخلاقكم ياسادتى  
مثاله فى غيركم لا يعهد  
وبكم يتم لى المنا والمقصد  
كالغيث إذ يهيم وأنتم أجود

ياسادة «تاه» الزمان بمجدهم  
جودوا على الصب الوفى بنظرة  
قد خصكم مولى الأنام بفضله  
يا آل جودة ياكرام الأوليا  
لا زلتم يا آل طه كعبة  
ياصاح لذ بجناب جودة شيخنا  
وبه توسل فى أمورك كلها  
واقصد إلى البكرى بحر عطائه  
هو كعبة المحتاج تاج الأوليا  
هو غوث كل الأولياء وإمامه  
الله ينفعنا ويمدنا  
يارب بالمختار صفوتك الذى  
وبآله من قد سموا بجنابه  
وبصحابه ومن أتاهم تابعاً  
عطف علينا يا رحيم قلوبهم  
يارب صل على النبى وآله

وبفضلهم صرح الطريق مشيد  
يا من بكل المكرمات تفردوا  
وبهديكم كل الورى يسترشد  
نظرا إلى كما أود وأعهد  
للقاصدين إليكم تتوددوا  
فهو الغياث لمن به يستنجد  
لتنال من مولى الورى ما تقصد  
هو وارث الأقطاب نعم السيد  
فسل الكرام والأصفياء الأماجد  
نور العناية دائماً يتوقد  
من نوره فهو السراج الأواحد  
لولاه ما عبد الإله موحد  
وإليهم كل المكارم تسند  
بهدهم وشرع النبى يتجدد  
فعسى بنيل القرب ربه نسعد  
ما صاح طير أو توله عابد

ومن كرامات شيخى وأستاذى السيد مصطفى البكرى رحمته الله التى حصلت معى أنى كنت  
رأيت رؤيا تدل على أنى سأسافر إلى الصعيد بناحية سوهاج ، ولم أقص تلك الرؤيا على  
أحد أبداً ، فكاشفنى رحمته الله وقال لى : نفرض يا شيخ جابر يا ولدى أنك توظفت بالصعيد  
، فمن يقوم بمهمتك فى مباشرة إخواننا فى مجالس الصلوات والذكر ومهمات الطريق ؟  
فقلت له ياسيدى فى نظركم الكفاية والبركة فيكم وإخواننا والله الحمد فيهم فهو أكفأ  
منى ، وفى القيام بأمور الطريق أفضل منى فأطرق ملياً ثم رفع رأسه ونظر إلى بذلك  
الوجه المشرق الذى يحاكى البدر وقال : بعون الله وبركة المصطفى عليه الصلاة والسلام  
وبركات مشايخنا الكرام لن يطول مكثك فى الصعيد . ثم بعد ذلك بأربع سنين جانى  
طلب التوظيف وذهبت إلى مديرية سوهاج . وقد كنت مصمماً على أن أخذ والدتى  
معى رحمها الله ، وقد أعددت لها ملابس خاصة تليق بمثلها من حيث الحشمة والوقار .  
وشاورت فى ذلك أستاذى السيد البكرى رحمته الله فى سفرها معى فقال لى : لا تأخذها معك  
وإن شاء الله لن يطول غيابك عنا ، وستنقل إلينا قريباً ، فكان الأمر كما قال ، وقد حقق  
الله أمنيته رحمته الله واجاب دعائه أولم أمكث إلا نحو سنة ونصف تقريباً . ثم نقلت الى مديرية  
بى سويف وحضرت إلى بلدنا قمبش وصرت متمتعاً فى بحبوحة عزه ، وحظيرة أنواره  
رحمته الله ونفعنا بأسراره وأجداده الكرام ، فكانت كرامة يالها من كرامة لذلك السيد المهاب



. وقبل أن يأتى إلى أمر النقل إلى بنى سويف بيومين ، رأيت وأنا بين اليقظة والنوم ، كأن أمامى مائدة عليها طعام وعليها خبز ومعى بعض زملائى من الموظفين فجلست أكل معهم أثم نفذ الخبز الذى أمامى ومددت يدى لأتناول من الخبز الذى أمام زملائى ، وإذا بى قد رأيت ذلك الولى الصالح العالم العامل حسين بركات الزيتونى رحمته الله واقفاً خلفى وأمسك بيدي قائلاً : حيث أن عيشك إنتهى من هنا ، كيف تطلب عيشاً آخر؟ اذهب إلى فضيلة شيخنا البكرى بنى سويف فهو فى انتظارك ، ثم دفعنى بيده فوجدت كأنى بنى سويف ، وإذا بسيارة فضيلة الشيخ واقفة أمام محل موبيليات فلما أقبلت وجدت أستاذنا البكرى رحمته الله فقرأت عليه السلام ، فرد على السلام فرحاً مستبشراً وتهلل وجهه الشريف نوراً واستدار كالقمر وقال لى : حضرت إلينا ؟ قلت له قد حضرت ياسيدى ببركاتكم ، فقال : الحمد لله الذى صدقنا ما وعدنا أركب معنا ، فركبت معه السيارة ومضت بنا إلى قمبش بلدتنا فانتبهت فوجدت أن الفجر قد قرب ، فقلت لمهران حسن وهو رجل صالح كان ملازماً لخدمتى أنى أريد أن أتوضأ للفجر . فقال لى مخاطباً : أيها الشريف أنى أجد أحوالك فى تلك الليلة تتطور تطوراً مدهشاً فبحق جدك المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وبحق شيخك السيد البكرى وجده الشيخ جودة رحمته الله أن تخبرنى بحقيقة الأمر فقلت له : يا أخى إن صح ما قد رأيته فإن أمر نقلى إلى بنى سويف يأتى صباح الخميس ، وكان ما حصل له من الرؤيا وما حصل بينى وبين مهران مساء الأربعاء ، فبكى مهران بكاء شديداً لأنه كان كثير التعلق بنا لصدقه وإخلاصه جزاه الله عنا خير الجزاء ، وفعلاً حضر أمر النقل إلى مساء الخميس ، وقد كنت أمرت مهران قبل ذلك بيوم أن يحزم الأدوات والأمتعة وسافرت إلى بنى سويف . فانظريا أخوا الصديق بعين الاعتبار ، تجد أن أستاذنا البكرى رحمته الله من السادات الأخيار ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه . ومناقبه لا تحصى ومكارمه لا تستقصى . وقد عمر رحمته الله نحو السبعين سنة تقريبا ، قضاهما فيما يرضى مولاه جلا وعلا من الطاعات وخدمة الطريق ، ومد يد المعونة إلى المحتاجين والإحسان إلى الأيتام والفقراء والمساكين .

وكان رحمته الله فى الجود والسخاء بحراً لا ساحل له . ومما يدل على قوة يقينه وثقته بمولاه سبحانه وتعالى ، أنه كان لا يدخر شيئاً رزقه الله به ، فكان ينفق كل ما يأتى من الأرزاق والتبرعات والندور على الفقراء والمساكين . ولقد باع من أملاكه فى مرة نحو مائة وخمسين فدانا وواوور مياه ، بناحية «سنهور» شرقى نهر النيل بمركز ببا ، وأيضا كانت له أملاك بناحية من نواحي مديرية الفيوم وباعها أيضاً فى سبيل إطعام الفقراء وإكرام كل من يفد إليه من الزائرين ، فرضى الله عنه وأرضاه وجعل فى أعلى الجنات مستقره ومثواه . وقد لى نداء ربه رحمته الله «فى ليلة الإثنين الموافق الحادى والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٥٩ هجرية».

ولا تسل عما حصل لأحبابه ومريديه وخلفائه وعارفي فضله في مديرتي بني سويف والفيوم ومدينة القاهرة وغيرها من الجهات ممن وصل إليهم خبر نعيه ، فلقد فجعت لنعيه قلوبهم وطارت من الهلع نفوسهم . وسحت عيونهم على فقد ذلك الشيخ الجليل والسيد النبيل ، وقد احتشدت لجنازته الجموع الكثيرة التي لا يحصى عددها إلا الله سبحانه وتعالى ودفن رحمته مع المغفور له والده في مقام جده القطب الكبير والعارف الشهير أستاذنا وقدوتنا سيدنا الشيخ جوده عبد المتعال الحسيني نفعنا الله بأمداده وأولاده رضى الله عنهم أجمعين .

وقد أعقب سيدى الشيخ مصطفى البكرى رحمته شبليين كريمين هما : السيد جوده ، والسيد عبد العليم . أما السيد جوده وهو الكبير فقد سماه تفاعلاً باسم جده رحمته وقد ولد «سنة ١٣٢٧ هجرية» وعاش نحو سبعة وثلاثين سنة . وقد تولى الخلافة بعد والده شيخنا البكرى رحمته وقام بالإرشاد خير قيام ، فكان خير خلف لخير سلف . وكان رحمه الله سخياً وكريماً ورائعاً فاضلاً نبيلاً ، ملك قلوب العالم بعطفه وبره ونبل أخلاقه . ولكنه لم يلبث بعد والده إلا نحو ثلاث سنين ونصف تقريباً ، ثم وافاه القدر المحتوم «في ليلة الأحد الموافق ١١ من صفر سنة ١٣٦٣ هجرية» فلبى نداء ربه تعالى . وكم تفتتت لفقده قلوب ، وسحت لموته عيون ، ولكنه القضاء المبرم ، والأمر الإلهي المحتم «ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها» والله خير بما تعملون . فرحمه الله رحمة واسعة والحقه بمنازل آبائه الأطهرين وأجداده الأكرمين في أعلى عليين .

وأما السيد عبد العليم البكرى فقد تولى الخلافة بعد أخيه المغفور له السيد «جوده البكرى» رحمه الله فأثمرت في عهده السعيد شجرة الإرشاد التي باشرها أبأؤه الأكرمين ، وسقوها بماء أسرارهم الباهرة ، حتى سرت منافعها بين الورى ظاهرة .

ولنعد بك أيها المطلع الكريم إلى مناقب أشقاء شيخنا المغفور له السيد مصطفى البكرى رحمته وأما السيد طه فهورجل مطبوع على الجد بعيد عن الهزل ، له نجل كريم يسمى «محمد» وهو من علماء الأزهر الشريف وقد توظف بالمجالس الحسينية والمحاكم الشرعية وعليه سمات النجاة ظاهرة .

وأما السيد محمد الحفنى فهو متصف بالشجاعة والسخاء وعلو الهمة وله أحوال غامضة وأسرار عجيبة . ومن لم يعرف أحواله ويكشف له عن تطوراته خاض في حقه . فليحذر من ذلك كل عاقل لبيب ، فإن لحوم آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم مسمومة ، فمن وقع في أعراضهم هلك مع الهالكين . وقد أنجب «السيد الحفنى» نجلاً كريماً وإسمه «الحسن» وقد تعلم بالمدارس ثم بدا له أن يحفظ القرآن الكريم فحفظه في مدة وجيزة ، شغف بمطالعة العلوم الدينية وخصوصاً كتب السادة الصوفية . ثم عكف على الطاعة وملازمة مسجد جده «الشيخ جوده رحمته» مواظباً على الأوقات محافظاً على الجماعات وله همة وثابة إلى الخيرات

، ومكارم أخلاق تنم عن التقوى والثبات .  
وأما السيد عبد الله شقيق شيخنا السيد مصطفى البكرى عليه السلام فعاش نحو ثمان وخمسين سنة تقريباً ، وكان رحمه الله من أهل العلم المعبرين ، وكان ورعاً تقياً زاهداً ، وكان متولياً للإمامة والخطابة بمسجد جده عليه السلام وكان يلزم شقيقه شيخنا المغفور له «السيد مصطفى البكرى» في رحلاته وسياحاته ، يرشد أتباع الشيخ ومريديه وخلفائه بما من الله به عليه من العلوم الدنية والمعارف الربانية ، وذاع صيته بالتقوى بين الأنام وأحبه الخاص والعام حتى دعاه لقربه الملك العلام ، فلبى نداء ربه تعالى . رحمه الله رحمة واسعة وألحقه بمنازل آبائه الأكرمين ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .  
وقد أعقب «رحمه الله» أربعة من الأنجال الكرام وهم : السيد محمود والسيد عبد العال والسيد عبد الحميد والسيد حامد ، أما السيد محمود فهو من أهل العلم الفضلاء وهو مشغل بإمامة مسجد جده الشيخ جودة عليه السلام وأما شقيقه السيد عبد المتعال فقد حفظ القرآن الكريم وتفقه في الدين . وكذلك أخوه الأصغر السيد عبد الحميد ، وكلهم من الصالحين وفقنا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه ، و«السيد حامد» رحمه الله كان شاباً تقياً من أهل القرآن والعلم ، رحمه الله رحمة واسعة .  
فهذه يأخى بعض مناقب ساداتنا الكرام آل جودة الذين ازدهرت بهم دوحة الإرشاد نفع الله بهديهم العباد .

### باب مناقب استاذنا الكبير العارف بالله

#### قطب الرجال سيدنا الشيخ جودة عبد المتعال عليه السلام

إعلم يا أخا الصدق أن هذا السيد الكريم والقطب العظيم شريف لأنه من ذرية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كما هو مذكور في النسب المسجل عندهم ، والمصدق عليه من المحكمة الشرعية .  
فهو السيد جودة بن السيد عبد المتعال بن السيد بدوى بن السيد شعبان بن السيد مبارك بن السيد يحيى بن السيد محمد بن السيد أبى المكارم الأكبر بن السيد محمد بن السيد أحمد بن السيد محمد المكنى بأبى رمح بن السيد محمد الضرير المدفون بأبى شربان بن السيد أحمد بن السيد محمد المدفون بمقابر شعيب بن السيد أحمد الرفاعى بن السيد أحمد بن السيد أبى الخير بن السيد محمد بن السيد طلحة المدفون «بإهوى» بضريح الشيخ طلحة بن السيد محمد بن السيد حسن بن السيد على بن السيد ثابت بن السيد أحمد بن السيد أبى الخير بن السيد ثابت بن السيد على بن السيد إبراهيم بن السيد محمد بن السيد أحمد بن السيد يحيى بن السيد إبراهيم بن السيد صالح بن السيد إبراهيم بن السيد مخلوف بن السيد موسى القاسم بن السيد أبى القاسم بن السيد محمد بن السيد أحمد تقى الدين بن السيد يوسف بن السيد أحمد بن السيد على الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر بن السيد حسن العسكري بن السيد جعفر الزكى الأكبر بن السيد موسى الكاظم

بن السيد محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن سيدنا ومولانا الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ .  
فهذا الأستاذ ﷺ ونفعنا الله بأمداده من آل بيت رسول الله ﷺ المعلوم شرفهم والمفروض على الأنعام حبهم . قال الإمام الشعراني ﷺ : ومما من الله به على محبة الشرفاء ولو كانوا من قبل الأم فقط . وقد روى صاحب الكشاف عن أصحاب السنن عن رسول الله ﷺ قال «من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد ينفذ إلى الجنة كما ترف العروس إلى زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره باباً إلى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزاراً للملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة أيساً من رحمة الله ، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة» .

فتبصر أيها النبيه وانظر بعين بصيرتك إلى ما قدمناه لك في هذه النبذة ، وبادر جهداً فيما يرضى أهل ذلك البيت الشريف واحذر أن يصدر منك ما يغير قلوبهم فيغضب لغضبهم الرسول ﷺ فيغضب الله لغضب نبيه ، فإلى أين تتوجه أنت أيها المعترض وفي أي مكان تستقر بعد غضب الله ورسوله عليك . وقد علمت أيها العاقل اللبيب مما تقدم ذكره لك من الآيات والأحاديث والأثار والحكايات الصادرة عن خلاصة هذه الأمة المحمدية . أن حب آل بيت النبي ﷺ فرض عين على كل مسلم مخلص لله ورسوله من تهاون فيه يعاقبه الله بالنار ، وأن مبغضهم يخشى عليه من سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك .  
اللهم بجاه نبيك وحبيبك سيدنا محمد بن عبد الله وبجاه آل بيته ، نسالك يا أكرم الأكرمين أن تطع قلوبنا على محبتهم وتوفقنا لخدمته ، وتعيننا على متابعة جدهم ﷺ في أفعاله وأحواله وتأخذ بيدنا من وهدة المخالفة بفضلِكَ يا أرحم الراحمين اللهم آمين . وأنت يا أيها السيد الشريف يا من تنسب إلى أهل ذلك البيت العريق المنيف . احذر هداك الله أن تغتر بما نلت من الشرف وتتبع نفسك هواها ، غافلاً عن طاعة خالقك جل وعلا ، فوالله لو كشف عن قلبك الغطاء وتبينت ما أنت فيه من مقام جليل وشرف نبيل ، لأمضيت عمرل كله في عبادة وخشوع وبكاء وعويل ، فكن مقتدياً بأبائك وأجدادك الغر البهاليل ، حيث قضوا حياتهم فيما يرضى مولاهم الملك الجليل . وقد جاء عن سيدنا الحسن بن علي ﷺ في وصية له لأل البيت النبوي الشريف «عليكم بالعلم إن لم تحفظوه فاكتبوه وضعوه في بيوتكم فإنما يخشى الله من عباده العلماء ، وعليكم بالتقوى فوالله إنني لأرجو أن يؤتى

الطائع منا أجره مرتين ، وأخشى أن يضاعف للمسيء منا عذابه ضعفين» .  
وورد عن سيدى محمد الباقر عليه السلام أنه كان فى يوم عيد والصبيان يلهون ويلعبون وهو معتزل عنهم فى ناحية وكان صغير السن إذ ذاك ، فمر عليه بعض أمراء بنى أمية وقال له : لم لا تلعب وتلهو مع أقرانك ؟ فقال له : إني رأيت أمى وهى توقد التنور تضع صغار أعواد الحطب وتشعل بها النار ثم تشعل الحطب الكبار بنار الصغار ، فأنا أخشى أن أكون من صغار حطب نار جهنم . فقال له ذلك الأمير : صدقت أيها الشريف والله لقد خالطت الحكمة صغيركم وكبيركم .

وعن سيدى إبراهيم الخواص عليه السلام قال : كان عتبة الغلام عليه السلام من الخواص المعروفين بالإخلاص ، وكان يزورنى فى بعض الليالى وكان صائماً دهره ، فبات عندى ليلة فقدمت له عشاء يفطر عليه فلم يفطر إلا على الماء ، فلما كان الثلث الأخير من الليل تحزم وقام يصلى حتى قرب الفجر ، فسمعتة يقول فى مناجاته بين يدي مولاة جل وعلا : سيدى إن تعذبني فإنى محب لك ، وإن ترحنى فإنك عفو كريم ، وإنى محب لك على كلتا الحالتين ، ثم بكى وشهق شهقة عظيمة وخر مغشياً عليه ، فلما أفاق قلت له : يا عتبة كيف كانت ليلتك؟ فصرخ وقال : يا إبراهيم : ذكر العرض على أسرع الحاسنين قطع أوصال المحبين ، ثم غشى عليه . فلما أفاق رفع رأسه وقال : يا سيدى أترك تعذب من أحبك بالنيران؟ أو تبلى قلبه بالهجران؟ فسمع هاتفاً يقول : حاشاه أن يعذب من أحبه واجتبه واختاره واصطفاه .

فتبصر يا أبا الصدق فى خوف هؤلاء المحبين العارفين حيث خافوا مقام ربهم ، وما ذلك إلا لأنهم عرفوه بما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى ، ومع ذلك هم من صفوة أحبابه وعرائس حضرته ، ومعنى حبهم لله تعالى : أنهم كانوا يؤثرون أى يقدمون ما يتعلق به من الخدمة على ما سواه ، ويحنون إلى مناجاته حين الرضيع لأمه ، ويبتغون الليل بفارغ الصبر لأنه محل خلواتهم بمحبتهم ، انتظار العليل للشفاء من علته ، وليس حبهم هو مجرد دعوى كما فى هذا الزمان ، الذى عبد الناس فيه إله الهوى «فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون» ، ترى هذا المدعى الكذوب يلهج لسانه بالليل والنهار أنى محب لله تعالى وتراه فى ميدان المعاصى والشهوات والملاهى والملاذات الفارس الذى لا يجارى والبطل الذى لا يقابل ، فليس هذا وأمثاله محبون لله ، وإنما محب الله رجل عرف ما أمره الله به فسارع إليه ، وعرف ما نهى الله عنه ففطم نفسه عن فعله ، تبعاً لإشارة حبيبه . ولذلك تعجب بعض الأحرار ممن يقول إني محب ويعصى ربه ، فقال فى هذه المعنى :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه      هذا لعمري فى القياس بديع  
لو كان حبك صادقاً لأطعته      إن المحب لمن يحب مطيع  
واعلم أيها العاقل اللبيب أنى ما أوردت لك هذه الذكريات والحكايات والمناقب فى حق

أحباب الله تعالى إلا لأجل أن ينفعك الله بها ، ولتقارن حالتك بحالة أولئك المصطفين الأخيار فإن كنت على قدمهم فلتحمد الله تعالى على ما أولاك من عظم النعم ، وإن كان بينك وبينها بعد المشرقين فإليك على نفسك أيها الغافل عن طاعة مولاك ونظف قلبك بصابون الندم على ما وقع منك من مخالفة مولاك الملك الجبار واغسله بماء التوبة النصوح لتزول منه الأغبار ليكون مقبلاً على طاعة مولاك العزيز الغفار ، ولتلتزم نفسك متابعة طريق الأولياء والصالحين الأبرار فإنهم أعرف برهم منا من غير شك ولا ارتياب فمن سلك طريقهم بصدق وإخلاص كان من جملة الأحباب ، ومن أعرض عن طريقهم وعبد النفس والشيطان والهوى وآثر الحياة الدنيا وقع في هوة البوار والدمار وتقطعت به الأسباب ، ويقيني في فضل الله أن ينفع الله المطلع على هذه المناقب من المريدين والسالكين والمحيين ، فإنها من جملة الذكرى ، والمطلعون بالضرورة مؤمنون والله تعالى يقول «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» .

### مبحث فى مراتب الاولياء نفعنا الله بأمدادهم

أعلم أيها المريد المتعطش إلى معرفة أنواع الأولياء المتشوف إلى الوقوف على أماكنهم المشتاق إلى عددهم المنقب عن حالهم عند الله من جليل المقام ومزيد الإكرام ، أنه ورد أن الأرض لما فقدت منها الأنبياء عليهم السلام اضطربت واشتكت ، فأوحى الله إليها أن اسكنى وأجعل بدل الأنبياء فيك الأبدال . كذا في حاشية الحفنى على الجامع الصغير ووجه تسمية الأبدال على هذا القول ظاهر وهو أنهم بدل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، أو أنهم سموا بذلك لأنهم صدقوا قى توبتهم وعبوديتهم لله تعالى فبدل الله سيئاتهم حسنات ، وأنهم إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر ، أو لأن أحدهم إذا أراد أن يتوجه إلى أى جهة يترك مكانه جسماً آخر روحانياً بدلاً منه وتمده بقوة وهبها الله لها روحه الأصلية حين صفت من جميع الكدورات فصارت متهيئة لتلقى الأنوار من رب الكائنات ، ويكون ذلك الجسم الروحاني على هيئة الشخص الجسماني البشرى ولا فارق بينهما أصلاً ، حتى لو جاء أحد معارف هذا البدل وخاطب ذلك الشخص الروحاني ، فإنه يكلمه كلام ذلك الشخص الجسماني بنغمته ومشربه وكل ما له من الأوصاف ولا غرابة في ذلك فإن النفوس إذا صفت وتهذبت من رعونات هذا الكون الفاسد عادت إلى مبدئها الأصلي وحينئذ تقدر على إمداد جسم أو جسمين أو أربعين أو أكثر على حسب ما وصلت إليه من القوة والاستعداد والصفاء بل تصل قوتها إلى أن يخرق صاحبها أضخم سور حسى وأمنعه بما اكتسبه من قويا . ألا ترى الملائكة الذين هم من نوعها لا تحجبهم الأسوار ولا شواهد البنيان حتى أنك لترى الرجل في أعظم حصن ولا كوة ولا باب مفتوحاً وما تدرى إلا وهو جثة هامدة تنوح عليه النائحات ، دخل عليه ملك الموت عليه السلام وسلب روحه من جسمه غير مكترث بالأسوار والحصون والبروج المشيدة . وهذا شئ

لا ينكره حتى .

وقد اختلف في عدد الأبدال فورد أنهم ثلاثون وورد أنهم أربعون وورد أنهم ثمانون ، أربعون من الرجال ، وأربعون من النساء وهناك ما ورد : أخرج الإمام الطبراني ومسنده عن طريق عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «الأبدال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون» وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون ، فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون ، كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل في الأربعين مكانه ، يعفون عمن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء إليهم ، ويتواسون فيما أتاهم الله» . أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً» ، وروى الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً آخر ، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة» . ومع ما ظهر لك أيها المريد الصادق من مزيد فضلهم وجيل قدرهم لدى الله تعالى ، لو تحقق فيك ثلاث خصال كنت منهم وهي التي أخبر النبي ﷺ عنها بقوله في الحديث الشريف : ثلاث منكن فيه فهو من الأبدال «الرضا بالقضاء ، والصبر عن محارم الله ، والغضب في ذات الله عز وجل» ، بمعنى أن تكون صابراً على ما يصيبك من حوادث الدنيا وكوارثها ، راضياً بذلك مطمئن القلب ، بعيداً كل البعد عن محارم الله ، مسارعاً في النهي عن ما يغضب الله ، كارهاً كل من يعصى الله سبحانه وتعالى .

وأما النجباء والنقباء : فلا خلاف فيهم ، وإنما الخلاف في تعيين إسم العدد لكل . فالنقباء ورد أنهم ثلاثمائة والنجباء سبعون وقيل بالعكس . فالسبعون محل إقامتهم بمصر ، والثلاثمائة محل إقامتهم ببلاد المغرب ، والأوتاد أربعة ومحل إقامتهم أركان العالم الأربعة . والأخيار سبعة ويقال لهم الأقطاب سياحون في الأرض وقيل كل قطب في إقليم من الأقاليم السبعة والقطب الغوث واحد ومحل مكة المشرفة وعلى يمينه ويساره رجلان يسميان بالأمامين ، وأرقى الجميع مقاماً القطب الغوث ثم الأمامين ثم الأوتاد ثم الأخيار ثم الأبدال ثم النجباء ثم النقباء ثم الباقي . فإذا عرضت حاجة للناس ابتهل فيها إلى الله النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم الأوتاد ، فإن أجيبوا وإلا ابتهل «الغوث» فلا يتم مسألته حتى يجيبه الله فيها . ومن الأولياء صنف يقال له «الأفراد» وليس عددهم محصوراً وصنف يقال له «الملازمة» ويسمون أيضاً بالأمناء ، وليسوا بمحصورين ، والملازمة عرفه ساداتنا الصوفية بأنه رجل لا يظهر خيراً ولا يضمّر شراً . فمهد أيها العاقل اللبيب في فضاء قلبك مهاداً تستقر عليه عقيدتك ، إن هؤلاء رجال

الله حقاً وهم المعنيون بالأولياء المذكورين في الكتاب والسنة ، ولا تكن ممن حال بينه وبين الإيمان بهم حاجز من النفاق والاعتراض والإنكار وظلمات الجهل ، وإياك أن تغتر بكثرة نظرك في العلوم أو تأخذ بأراء بعض الفلاسفة والملحدين ، فإنك إن دخلت في هذا الصنف فقد نصبت على شقائك علماً يراه كل من في قلبه مثقال ذرة من نور ، واعتبر بما أورده الإمام الشعراني رحمه الله أن ابن السقاء والإمام ابن عسرون والشيخ عبد القادر الجيلاني ذهبوا إلى ولي من أولياء الله يدعى «بالغوثة» فقال ابن السقاء في أثناء سيرهم في الطريق : لأسألنه سؤالاً لا يقدر على حله ؟ وقال ابن عسرون : لأسألنه حتى أنظر ماذا يقول ؟ وقال سيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله : أنا لا أسأله وإنما أرجو بركته فلما وصلوا إليه وجلسوا في مجلسه نظر إلى ابن السقاء وقال : أتسألني يا ابن السقاء سؤالاً لا أقدر على حله ؟ أما هو كذا وجوابه كذا إنني لأرى نار الكفر تلتهب فيك ، ثم نظر إلى ابن عسرون وقال له : أتسألني عن مسألة تنظر ما أقول فيها ؟ هي كذا وجوابها كذا والله لتقبلن عليك الدنيا إلى شحمة أذنك بإساءة أدبك ، ثم نظر إلى سيدي عبد القادر وأدناه منه وأكرمه وقال : يا عبد القادر أرضيت الله ورسوله بحسن أدبك فأني أراك ببغداد وقد صعدت على الكرسي متكلاً على الملاء وقلت قدمي هذا على رقبة كل ولي وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حنوا رقابهم إجلالاً لك ، ثم غاب عنهم فلم يروه .

فأما سيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله ونفعنا بأمداده ونفحاته قد حصل له ذلك جميعه من العناية الإلهية .

وأما ابن السقاء فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية ثم بحث في كلام الفلاسفة وفاق كل من عاصره واشتهر بالجدل وفصاحة اللسان فأدناه الأمير منه وأرسله إلى ملك الروم فأراه ذا فنون وطلاقة منطق فأعجب به وجمع له القسيسين والرهبان من النصراني فناظرهم وأفحمهم جميعاً ، فعظم عند الملك فزادت فتنه فظهرت له بنت الملك فافتتن بها ، فسأل أباهما أن يزوجها له ؟ فقال له : إلا أن تنتصر ، وتزوجها ثم مرض فآلقوه في السوق يسأل القوت فلا يجاب وعلته غيرة وكابة حتى مر عليه بعض أصحابه فقال له : ما هذا الحال ؟ فقال : فتنة حلت بي نشأ عنه ما ترى وليتني ما اعترضت على الأولياء ، فقال له : هل تحفظ شيئاً من القرآن الكريم ؟ فقال له : إلا قوله تعالى «ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين» وبعد مدة حضرته الوفاة وكان ماراً على صاحبه فعده إلى القبلة فاستدار إلى الشرق فعده ثانياً فاستدار وهكذا حتى مات على ذلك نعوذ بالله من سخطه .

وأما ابن عسرون فاستدعاه السلطان وأكرهه على ولاية الأوقاف فوليها وأقبلت عليه الدنيا كل الإقبال ، ذكرها ابن حجر في فتاويه . فتأمل أيها العاقل في هذه الحكاية واحذر أن تعمل ما يوقعك فيما وقع فيه ابن السقاء وابن عسرون .

وأعلم أيها اللبيب أن أذية الأولياء بتناول أعراضهم أو بالتعرض لهم بأي شيء يمس



كرامتهم محاربة لله ورسوله ، فقد روى رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل في الحديث القدسي يقول : قال الله تعالى «من عادى لى وليا فقد أذنته بالحرب» ولم يؤذن سبحانه وتعالى أحداً من العصاة بالحرب إلا من آذى أولياءه ومن أكل الربا ، قال العلماء : وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة جداً من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى . والمطلوب منك أيها العاقل اللبيب طلباً أكيداً ، أن تجزم جزماً لا تردد فيه أنهم قوم لا يشقى جليسهم وأنهم جواسيس القلوب . فاحفظ قلبك في حضرته كما تحفظ لسانك في حضرة علماء الظاهر . يوضح لك أن الأولياء هم جواسيس القلوب ما رواه العارف القشيري نفعا الله بأسراره عن أستاذه أبى على من أنه كان يتولى المجلس في مسجد «المطرز» فاستأذن شيخه في الخروج إلى «نسا» التي منها المحدث الكبير العلامة «النسائي» قدس الله سره ، فأذن له ، فخطر بباله : ليت الشيخ ينوب عنى في مجلسى حال غيبتى ، فالتفت إليه وقال له أنوب عنك في غيبتك ، فمشى قليلاً ثم خطر على باله : أن الشيخ به سقم فليت يقتصر في النيابة على مرة واحدة ، فقال له الشيخ : إن لم يمكنى أن أنوب يومين نبت يوماً واحداً ، فمشى قليلاً ثم خطر بباله شئ آخر فكاشفه به . وروى أبو سعيد الخراز رحمه الله قال : دخلت المسجد فرأيت فقيراً يسأل فحصل في نفسى منه شئ فنظر إلى وقال «واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه» فاستغفرت لله فى نفسى فنادانى بقوله «وهو الذى يقبل التوبة عن عباده» . فبههم توسل إلى ربك أيها المرید الصادق فى قضاء ما يهمنى فى معاشك ومعادك يقضى الله لك كل ما تريد ، فالتوسل بأحباب الله تعالى أحياء كانوا أو أمواتا جائز من أول الزمان إلى آخره ، وأنظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ فقد ثبت فى الصحيح أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه توسل بسيدنا العباس عم النبى ﷺ ، وتوسل معاوية رضي الله عنه والصحابه رضوان الله عليهم بيزيد بن الأسود ، ولا يزال أهل كل جهة يتوسلون بمن بين ظهرانيهم من الأولياء والصالحين ولا نكير على ذلك أبداً من أهل السنة والجماعة ، وما خالف فى ذلك سوى قوم حكموا عقولهم فى الشرعيات فأنكروا الضروريات ، فلا تلتفت أيها اللبيب العاقل لرأيهم الفاسد ومذهبهم الكاسد وعليك أن تبسط بساط التسليم فى فكرك حتى يستقر عليه ميزان معرفتك أن أولياء الله تعالى قد أذن لهم ربهم سبحانه فى التصرف فى هذا الكون بأجمعه . ولقد أجمع على هذا المعنى جميع الطوائف حتى الفلاسفة ، لكن غير الفلاسفة أثبتوه من طريق العلم والمشاهدة العيانية والذوقية وأما هم «أعنى الفلاسفة» فقد أدركوا هذا المعنى من طريق الفكر والاستدلال النظرى فقالوا : إن الإنسان لا يزال يتبع المعلومات حتى يقابل الإله وجهاً لوجه ، فيعمل ما يعمل ويعلم ما يعلم . أى يحصل ذلك له بإفادة الله له لا بنفسه ، والعمدة لنا فى هذا الباب ما رواه لنا النبى ﷺ عن ربه فى الحديث القدسي : إن الله عز وجل قال «من عادى لى ولياً فقد أذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضنه عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى

أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده الذى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، وإن استعاذنى لأعيذنه الخ» رواه البخارى فى كتاب الرقاق بباب التواضع .

فانظر يا أخا الصدق وفقت للصالحات كيف صدر الله عز وجل كلامه بما يفيد إعلان الحرب منه سبحانه على من أذى وليا له . وتبصر فى قوله «كنت سمعه الذى يسمع به الخ» الحديث ، وكيف هذه المبالغة التى لا معنى لها إلا جعلهم خلفاءه سبحانه وتعالى ينفذ على يديهم ما أَرادَه فإذا حصل منهم منع أو إعطاء أو إماته أو إحياء أو ما شابه ذلك مما نسميه نحن تصرفا لهم ، فأنا الفاعل لها فى الحقيقة هو الله سبحانه تعالى ، وإنما أولئك السادة الأحاب مظهر لظهورها وصدورها ، كما تقول فلان أعطاني كذا ومنع عني كذا ، أو قتل فلان فلانا إذا كان ضربه بمثقل فأزهق روحه ، وهكذا من الأسباب التى نعرفها ، غير أن الموضوعين مختلفين وتأمل قوله فى الحديث «وإن سألنى لأعطينه الخ» كيف يحذف معمول الإعطاء والاستعاذة إشارة إلى أنه عام فى كل معطى ومستعاذ منه ، ودقق نظرك من هذه الكتابة التى كنى الله بها عن نهاية لطفه وشدة إعنائه بأشخاصهم الكريمة وهى قوله فى تنمة الحديث القدسى «وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساعته» .

وها هنا فى الحديث لطيفة وهى : فإن قلت المؤمن المطيع يحب لقاء الله تعالى لأنه محبوه ومنتهى أمله وغاية قصده ، لا سيما وإن كان ذلك المؤمن قد وصل إلى مقام العارفين برهيم ، فهو يتمنى فراق الدنيا فى كل نفس ليحظى بلقاء محبوه ، فكيف يكره الموت كما هو ظاهر الحديث ؟ وكيف يكون الموت مساة له ، وهو فى الواقع يترقبه فى كل نفس كما ذكرنا آنفا؟

فالجواب على ذلك : أن المؤمن المخلص يرى نفسه مقصراً فى جنب الله مهما بلغت عبادته فهو يكره أن يلقي سيده وهو فى حالة التقصير أو نقول أن ذلك العبد المطيع لمولاه جل وعلا لما ذاق حلاوة الإيمان رغب فيما يرضى مولاه سبحانه من الصالحات فهو يتمنى تأخير أجله ليزداد من الصالحات ولتزداد من التقوى ، وإلى هذا المعنى يشير قوله ﷺ «خيركم من طال عمره وحسن عمله» الحديث . ولما علم سبحانه وتعالى من عباده أنهم بمجرد ما يطلعون على هذه المرتبة مرتبة الأولياء التى بها يصل العبد إلى أن يكون ذو الجلال والإكرام مناضلاً عنه . وأنه يحببه فى كل ما يطلبه ، فإنهم يتشوقون كل التشوق إلى السبب الذى يوصل إليها فيستمسكون به حتى يصلوا إلى حيث وصل أولئك الأولياء ، لما علم الله ذلك من عباده بين لهم السبب الذى يوصلهم إلى بلوغ هذا المقام الجليل بقوله «ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه الخ» ويدل ذلك أيضاً أيها المريد الصادق على أن تصرف الأولياء رضى الله عنهم جائز وثابت ، قال العارف الشبراوى فى شرحه

على الورد السحري عند قول سيدى مصطفى البكرى المؤلف «إلهى صرفنا فى عوالم الملك والملكوت الخ» .

أعلم أن التصرف على الأقسام عام وخاص وظاهر وباطن فى اليقظة والنوم مع شعور صاحبه أو عدم شعوره بأن يتصرف بحقيقته ولا تحس به نفسه ، فمن أهل الله من يتصرف فى بعض الأوقات دون بعض ومنهم من يتصرف فى بلدة دون أخرى أو بإقليم دون آخر ، والمحمدى المقام أى الذى على قدم رسول الله ﷺ تصرفه عام فى جميع الأشياء ورجال الله المتصرفون فى الكون كثيرون ، ولكن لا يزيدون عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً على عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وكهم يستمدون من رسول الله ﷺ . وقال الإمام الشعرانى فى اليواقيت والجواهر : يعرف الحال الذى يطرأ ويحصل للأولياء فقال : والحال هو ما يرد من قبل التجليات الإلهية على قلب الولي من غير تصنع ولا اجتلاب . ومن علامته عدم تغير صاحبه فهو إلى الوهب أقرب منه إلى الكسب ، ولذلك يقتل صاحب الحال الصادق من الأولياء بالهمة «أى بتوجه القلب» ويعزل ويولى كما حصل فى عصر سيدى محمد الحنفى رحمه الله . فإنه لما اعترضه العلامة ابن حجر ، وكان يومئذ حافظ عصره ، وانتهت إليه الرياسة فى العلوم والفتوى ، فلما إعترض على سيدى محمد الحنفى الصديقى نفعا الله بأمداده ، عزله الأمير الحاكم فى ذلك العصر ، فأرسل إلى سيدى محمد الحنفى يستعطفه ويسترضيه ، ثم توجه إلى داره بنفسه وتوسل به إلى الله سبحانه وتعالى طالباً منه أن يرد منصبه الذى عزل منه . فقال له غداً إنشاء الله تعالى سيردك الأمير إلى منصبك ، فلما أصبح ابن حجر بعث إليه الأمير وقال له قد رضينا عنك ووليناك منصبك من الفتوى والقضاء ولا نسمع فيك وشاية أبداً . فمن هذه الواقعة أعتقد ابن حجر رحمه الله فى صدق السادة الصوفية . وصار يتردد لزيارة سيدى محمد الحنفى رحمه الله والتبرك به إلى أن مات رحمه الله رحمة واسعة .

وقد حكى الشعرانى رحمه الله فى طبقاته عن سيدى محمد عنان رحمه الله : أنه إذا كان إعترضه أحد من الحكام والولاة المعاصرين له ، سرعان ما يحصل لهم براهين يعترفون بها ويسلمون بسببها لسيدى محمد عنان رحمه الله معتقدين صدق ولايته وأنه من أحباب الله الذين من حاربه الله . كما مر ونظر بعض الأولياء رضوان الله عليهم إلى جماعة فقال : هل فيكم من إذا أحدث الله سبحانه وتعالى فى المملكة حدثاً أعلمه ؟ فقالوا : لا ، فقال : على أنفسكم فأبكوا . وحكى عن سيدى «محمد الفرغل» نفعا بأمداده ، أنه أمر بحراسة جرن بجوار أبى تيج بلد بالصعيد فأخذ معه شيئاً من الفريك الأخضر وجلس على أعلى الجرن ، ثم أوقد النار فى الفريك فسمع بذلك الناس وذهبوا إليه منزعين لما رأوا لهيب النار فى الجرن وقالوا : أحرقت المجنون الجرن ، وأخذوا يضربونه . فقال لهم : أنا قلت للنار لا تحرقى إلا فريكى بس وأنظروا أنتم ، فنظروا فوجدوا النار لم تحرق إلا الفريك فقط ،

فاعتقدوا صدق ولايته .

وحكى الإمام الشعراني رحمته عن سيدى إبراهيم المتبولى رحمته ونفعنا بأمداده أنه كان يكره الظلمة وكان يقول : من لم يقتل بعدد شعر رأسه منهم فليس بفقير صادق . وحكى لى من هذا النوع أيضا الرجل الصالح الورع الثقة الشيخ محمد غالب الشناوى خليفة السادة الخلوتية آل جودة عبد المتعال بناحية كفر شيين القناطر بإقليم القليوبية أن أستاذه الذى لقنه الطريق المغفور له الشيخ عبد الله البليدى رحمته يقول : أنه كان من العلماء الراسخين وكان من أهل الودع والصلاح وكان من أهل الذل والإنكسار لشدة تواضعه فكان يعترض عليه كثير ممن لم ينكشف له عن مقامه وولايته فتحصل لهم براهين وكرامات عجيبة لا يسعهم بعدها إلا صحة اعتقادهم فى ولايته رحمته ، وقد صدق على ذلك الأستاذ الفاضل الشيخ جودة البليدى نجل الشيخ وغيره ممن شهد أيضا من العلماء الثقات . ولعل فريقاً من المعترضين الذين لم يذوقوا شيئاً من معرفة أحوال الأولياء يخصونها بالحق دون الميت ويقولون أن الحى حياته وقوته الموجودة فيه يوجد ما يوجد من الكرامات وأما الميت فلا لبطلان عمله وانقطاعه ، وهذا وهم وذعم باطل منهم فإن خالق الإكرام لهم وهو الله سبحانه وتعالى المنفرد بالتأثير المطلق والقدرة المطلقة والإرادة المطلقة والتدبير قد حباهم بتلك الكرامات وخوارق العادات فيستوى إكرام الأموات والأحياء . بل نص أجلة العلماء سلفاً وخلفاً من المحققين أن الكرامات تظهر تمام الظهور بعد الموت لخلوص أنفسهم وصفائها من الرعونات التى كانت تطراً عليها فى دار الدنيا ، ولذلك قال بعض المحققين : الولى فى حياته كالسيف فى غمده ، فإذا انتقل لدار البقاء انسل السيف من غمده فافهم تغنم «وما يذكر إلا أولوا الأبواب» .

واعلم أنه كما ثبتت الكرامة للأولياء فإن الشفاعة أيضاً ثابتة لهم ، ولا عبرة بخرافات من يقول من الفرق الضالة : إن الإنسان لا ينفعه إلا عمله الصالح وليس هناك شفاعة فإن الشفاعة محابة فهذا وهم باطل ، فإن الكتاب والسنة مملوءان بالأدلة على ثبوت الشفاعة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثم ورثتهم من الأولياء والعلماء العاملين والصالحين . وأما شفاعة المصطفى عليه الصلاة والسلام فلا مرأى فى ثبوتها فقد استقر رأى جمهرة المفسرين من المحققين على أن المقصود بالمقام المحمود هو الشفاعة العظمى فى قوله تعالى «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» ويدل لذلك من السنة حديث البخارى الذى رواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبى ﷺ حيث قال «أن لكل نبى دعوة مستجابة وأن كل نبى قد تعجل دعوته فى الدنيا وأنا قد اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة» ومن أنكر شفاعته ﷺ حرم منها . والدليل على شفاعة الأولياء والصالحين قوله ﷺ «استكثروا من الأخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة» وشفاعات الأولياء والعلماء والصالحين تتفاوت فمنهم من يشفع فى مثل قبيلتى ربيعة ومضر بنص الحديث الصحيح الذى رواه

الطبراني والإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «ليدخلن الجنة شفاعاة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر» وانظر إلى الآيات التي تفيد ثبوت الشفاعاة فمنها قوله تعالى «فما تفعلهم شفاعاة الشافعين» حكاية عن حال الكفار فإن مفهوم هذه الآية محكوم عليهم بالخلود الأبدى في النار لكفرهم ويفيد هذا المعنى أيضا قوله تعالى «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى» وقوله «من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه» وقوله تعالى «وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع» .

ومن الأدلة الواردة في السنة أيضاً ما رواه الترمذي مرفوعاً عنه ﷺ قال «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» زاد أبو داود «فمن لم يكن من أهل الكبائر ما له وللشفاعة» فإن قلت ما معنى شفاعته ﷺ لأهل الكبائر وهم مستحقون للعقاب ضرورة إظهاراً لعدل الله عز وجل ، وصدق وعده ووعدته سبحانه وتعالى؟ فالجواب أن هؤلاء المرتكبين يعذبون في النار ويدخلونها لاستيفاء ما عليهم من العقاب ثم يشفع لهم النبي ﷺ في خروجهم من النار ذكر في الحديث «فيخرجون وقد امتحشوا فتغمسهم الملائكة في الكوثر فيخرجون وقد أبيضت وجوههم ... الحديث» .

وحاصل الكلام في هذا المقام أن الله جلت قدرته وعلت عزته ، يأذن لأحابيه وقتما تذهل المرضعات وتضع من شدة الفزع الحاملات وتشيب الأطفال وتعظم الحشرات ويشتد الكرب على العصاة وترتفع الأصوات ، أن يشفعوا في قوم سبق في علمه سبحانه وتعالى أنهم يدخلون الجنة بغير سابقة عذاب على يدي هؤلاء الشافعين . فمن أراد أن يشفعوا فيه وفقهم لأن يشفعوا فيه ومن لم يرد أن يشفعوا فيه لم يوفق الشفعاء أن يطلبوا له الشفاعاة ، ولم يدخل الله سبحانه أولئك العباد الجنة من أول وهلة بدون سبق شفاعاة لما يترتب على ذلك من إكرام عباد المخلصين الذين آमतوا حظوظ أنفسهم فيه وفنوا به عما سواه طلباً لرضاه بإظهار فضلهم على رؤوس الأشهاد حتى يوقن كل معاند رغماً عن أنفه أنهم رجال الله المقربون بلا ريب بشهادة هذا الإكرام الباهر ويتمنى كل مقصر أن لو كان اقتفى أثرهم حتى يفوز بهذه المنحة الجليلة . وليعلم المسيء قدر الإحسان الذي وصل إليه من الله سبحانه وتعالى ، فإنه بعد أن استحق دخول النار التي سماع إسمها فقط أذاب قلوب العارفين ومزق أكباد المحيين أو كان قد دخلها بالفعل وأمر بإخراجه منها ، بعد هذا من عليه ربه سبحانه بمعاфاته من ذلك فيكون لذلك موقع لديه وتسجيل للتفضل عليه . فثبت أن لا محاباة ولا تبجيل بعد إذنه سبحانه وتعالى لعبادة المخلصين بذاك الإكرام والتفضيل . فهذه الحقائق مع شدة ظهورها أبت القلوب العمياء والآذان الصماء من الفرق الضالة الذين يحكمون عقولهم الفاسدة ويتعصبون لمذاهبهم الخارجة أن تراها وتسمعها فأنكروا ما أثبتته الله ورسوله وقبحوا لجهلهم وعنادهم ما حسنه الله ورسوله ، فدوهم تجرع مرارة كأس وعيد قوله عليه الصلاة والسلام «شفاعتي يوم القيامة حق ، فمن لم يؤمن بها لم يكن

من أهلها» .

فاحذر يا أخى نجانا الله وإياك والمحبين من مضلات الفتن ، أن تركز إلى قول أحد من أهل تلك الفرق الضالة المضلة وفر بدينك من شبههم ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم وإياك أن تغتر بسفستهم الخلافة التى ينخدع بها السذج من بسطاء العقول الذين لم تتبين له حقيقة هؤلاء المعترضين المنكرين ، وأنى أقول بملء فمى والله على ما أقول وكيل ، أنك إذا أردت أن تتبع أهل السنة والجماعة من ورثة النبى ﷺ الذين تحققوا بأقواله وأفعاله وأحواله ، فإنك وحق جلال الله الذى لا إله غيره لا تجد من ينطبق عليه تلك الأوصاف إلا السادة الصوفية ومن دان لهم واعترف بصدقهم وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار .

فعليك يا أخا الصدق بحب الأولياء والصالحين إن كنت صادقاً فى محبة الله ورسوله . وأعلم أن محبوب المحبوب محبوب كما قال علماء الأصول . فمن أحب هؤلاء الأولياء الكرام سلك نهجهم المستقيم وطريقهم القويم . ولا شك أنهم على السنة والجماعة فمن وافقهم وسار يصدق فى طريقهم فإنه لا شك يصل ببركتهم إلى محبة الله ورسوله ، التى هى المقصود بالذات غافهم تغنم والله يتولى هداك .

### **مبحث فى النقابة والنقباء وما يتعلق بذلك**

الأصل فيها القيام بالحفظ والاحاطة لقوله تعالى «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» ولقوله «خذوا حذركم وأسلحتكم» وفى الخبر «أحرص على ما ينفعك» «وأحب الخلق إلى الله أنفعهم للناس» . ومن المعلوم أن لكل نبى أنصاراً ولكل جماعة أعياناً ولكل بيت رؤساء ولكل ركب أدلاء . ولما كان الأولياء نفعنا الله بهم على نهج الشرع والخلافة عزيزة والقيام بأمرها شاق على السالكين إلا على أهل العناية والخصوصية ، احتاج الأمر إلى إقامة أشخاص يقومون بخدمة الفقراء والمريدين لنظام شملهم معاونين للشيخ وهم النقباء (جمع نقيب) وسمى بذلك لأنه ينقب عما ينتفع به إخوانه ، بمعنى أنه يبحث عن ما تعود عليه منفعتهم وصلاح حالهم حتى ينتفعوا بأمداد مشايخهم ويكفى منهم أربعة أشخاص وبهم يتم النظام فأدناهم منزلة وأعلاهم معنى :

(١) نقيب النعال : وهو أعلاهم معنى وأقربهم فتحاً إذا قام بأدائها ووفى حقوقها وآدابها .  
(٢) ثم ساقى الماء : له بكل قطرة أجراً .

(٣) ثم نقيب السماط الطعام : له بكل لقمة يأكلها إخوانه أجراً .

(٤) ثم نقيب الحضرة : وهو نقيب النقباء وعين الجماعة ، وإليه الإشارة وهو باب الشيخ ومحل سره ، وله وظيفة الدعاء وتقديم المريد للعهد والاستئذان على الشيخ ، وترتيب المجلس وافتتاحه إذا غاب الشيخ .

ولكل واحد من النقباء الأربعة آداب ، أما آداب نقيب النعال فكثيره منها وهو أجلها

الإخلاص في ذلك لوجه الله ، وأن يلزم الخضوع ليستكمل رتبته وينوى بها الوقاية من المكروهات ، وإن قدم عليه أحد من أخوانه بش في وجهه ودعا له بقول : شكر الله سعيكم وتقبل منكم ، وأعاننى على القيام بواجب حقكم ، ثم يأخذ نعله وينفضه ويطويه ، ثم يضعه في كيس كبير أعده لهذا الغرض ، وينبغى أن يكون حاذقاً فطناً مميزاً عارفاً صاحب كل نعل ، وإذا توجه الشيخ والركب لزيارة أو دعوة لوليمة أو مجلس ذكر في موضع غير محل الشيخ ، فينبغى له أن يحمل ذلك الخرج على رقبته إن كان وقت مشى ويضعه بين يديه حال جلوسه ، وينبغى أن يسير خلف القوم ليحفظ ما عساه أن يقع منهم من ثوب ونحوه . ومن آدابه أكل ما فضل من القوم .

وأما آداب ساقى الماء فكثيرة منها تنظيف الأباريق والكيزان وتطيبها بالروائح الطيبة المالوفة ، وتنظيف يديه وثيابه ، ولا يتمخط ولا يبصق بحضورهم ، ولا يتخطى رقابهم ولا يسقيهم بعد انتهاء مجلس الذكر حتى يمضى نحو نصف ساعة على الأقل ، ويبدأ بمن على يمين الشيخ ويختم بمن على يساره ، وأن يرشد الشارب إلى آداب الشرب ، ومن آداب الشرب أن يأخذ الكؤذ بيمينه وأن يشرب قاعداً ويتناول الماء على ثلاث جرعات ، ويتنفس خارج الأثناء عقب كل جرعة ، ويسمى الله تعالى في ابتداء الشرب ويحمده عند انتهائه منه فإذا حمد الشارب الله قال له نقيب الماء : هنيئاً لك يا أخى ويدعو له بما يطيب به خاطره ، ويمر بالماء على المريدين في موضعين قبل افتتاح مجلس الذكر وحال الأكل ، ولا يسقى أحداً أثناء الذكر أو عقبه كما تقدم ، ومن آدابه أيضاً أن يخصص أباريق للاستنجاء والوضوء غير أنية الشرب وإذا أراد أحد من الفقراء أن يتطهر أو يغسل ثوبه أعانه على ذلك لقوله تعالى «وتعاونوا على البر والتقوى ... الآية» .

وأما نقيب السباط فآدابه كثيرة منها أن يكون فطناً حاذقاً نشيطاً نظيفاً ورعاً زاهداً حسن الأخلاق ، ومن آدابه إذا أراد تقديم الطعام لإخوانه قرأ الفاتحة ، وسأل الله تعالى في سره الستر وإنزال البركة في الطعام وأن يجعله صحة وعافية وقوة على الطاعة ، ثم مد السباط قاصداً بذلك تعظيم النعمة ويرص الأواني متوازية على نمط واحد ، ولا بأس أن يكون معه من يساعده في هذه المهمة وكونه ساقى الماء أولى لأن المرتبة قريبة ، وأن يقرأ سورة الإخلاص فإنها مطردة للشياطين وأن يقرأ سورة قريش فعسى بسرهما تحصل البركة في الطعام ، وإذا رأى متأخراً قدمه أو محصوراً فسح له ، وأن يجلس كل إنسان حسب منزلته ، وإذا فرغ الطعام من ناحية أبدل لهم غيره إن كان وينبغى أن ينبه الطاعمين إلى التسمية في أول الطعام ، وأن يبدأوا بالملح ويختموا به ، وأن يكرموا الخبز فلا يلطخوه بوضع أدام عليه ، وأن يتناول الطعام بيمينه بثلاثة أصابع وأن يأكل مما يليه من جوانب القصعة ولا يتعدى إلى وسطها ، وأن يحمدا الله إذا فرغوا من الطعام ، فإذا انتهى من إطعام أخوانه جمع ما فضل منهم لنقيب النعال ويأكل معه بقصد التبرك ، ثم أراد رفع السباط دعا

لصاحب الطعام قائلاً : أخلف الله على باذليه وهناً آكلية وجعل البركة فيه ، ومن آدابه أن لا يأكل من شيئاً من الطعام إذا توقع حضور أحد من أخوانه ، ومن آدابه أن لا يأكل من الطعام قبل وضعه إلا بقصد ذوقه ولا يختص بشيء دونهم ولا يخص أحد بشيء دون إخوانه ، وإذا أعطاه صاحب الوليمة شيئاً برسم الطعام ومن ورائهم فلا يدخره لنفسه بل إذا كان غنياً عن ذلك فليستعفف وإن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ولا يخفى عن الشيخ شيئاً جاءه بل يعرض كل ما فتح الله عليه به على شيخه منتظراً أمره .

وأما نقيب الحضرة فآدابه كثيرة منها أن يكون من أهل العلم والمعرفة حليماً زاهداً ورعاً كاملاً على أحسن الهيئات وأجمل الأحوال ملماً بأداب الطريق عاملاً بما يرشد الإخوان إلى التخلق بأداب الطريق ، ويقدمهم إلى الشيخ ويعلمهم التأداب في حضرة الشيخ ومجالس العلم والذكر ، وأن يكون راسخاً ثابتاً متحملاً جهل كل من يجهل عليه ، وإذا أمر أحد إخوانه أو نهاه فليكن ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يكون حاذقاً وإذا رأى من يعارض الشيخ أو ينكر عليه أرشده بلطف إلى ما ينبغى من الآداب ، ومن وظائفه المشى بالقنديل (المصباح) ليلاً أمام الشيخ وحمل سجادة الشيخ ولا يترك أحداً يجلس عليها ، ومن وظائفه السعى لجميع الفقراء يدعوهم إلى ما أمره به الشيخ وأن يصلح بينهم إذا تنازعوا ويجتهد في أن لا تصل شكاية إلى الشيخ من المريدين وأن ينصف المظلوم من الظالم ولا يعرض على الشيخ إلا ما كان مشكلاً لا يمكنه التصرف فيه وأن يحافظ على أخوانه إذا ناموا ويوقظهم بلطف وقت السحر لتلاوة الورد والاستعداد لصلاة الفجر وإذا رأى غافلاً ذكره أو جاهلاً وعظه وعلمه أو من يسىء الأدب زجره ولا يصبر على منكر ولا يتغافل عن المريدين بل يتفقدهم ويرشدهم إذا حضروا وإذا غاب أحد منهم أرسل في طلبه ليسأل عنه ويعرف ما منعه عن الحضور ، فهو نائب الشيخ وصاحب سره فينبغى احترامه والتأدب معه ، نسال الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا بمكارم الأخلاق المشار إليها بقوله ﷺ «تخلقوا بأخلاق الله» حتى نكمل في مقام الوراثة المحمدية وأن يجعلنا وإخواننا ومحبينا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب .

عليك بما يرضى الإله من التقى	ولا تختلط طول الحياة بذى نكر
وكن تابعا ما دمت قوما صفاتهم	تجل إذا عدت عن الحد والحصر
فتابعهم ياطالب الخير تنتهى	إلى قصدك المأمول من سبل البر
بهم أسال الرحمن فضلاً ومنة	وفى كل أمر أن يتمم لى

### باب ترتيب اوراد السادة البكرية الخلوتية

#### آل جودة عبد المتعال نفعا الله بإمدادهم

أعلم أيها المريد الصادق أن السعادة الحقة هى تقوى الله والعبادة بالإخلاص قال تعالى



«فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» ولا عبادة أفضل من الدعاء قال تعالى عز من قائل «قل ما يعبدكم ربى لولا دعاؤكم» الدعاء مخ العبادة ولأن الداعى يجتمع بالدعاء قلبه على مولاه مظهراً فقره وذل عبوديته إلى غنى السيد المالك وعز ربوبيته ، وأفضل الدعاء ما ورد به القرآن الكريم كقوله تعالى «رب أغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب» والوارد فى الحديث كالدعاء بثبات الإيمان بقوله ﷺ «اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك يا الله» والأدعية المأثورة عن السلف الصالح من الأولياء والصالحين والعلماء العاملين كالدعاء المأثود عن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ وهو «اللهم يا رب كل شىء بقدرتك على كل شىء أغفر لى كل شىء ولا تسلىنى عن شىء» .

وللدعاء أداب هى أداب الذكر فراجعها إن شئت وأكدها أكل الحلال وانتهاز الفرص فى أوقات الإجابة كليلة القدر وليلة المعراج وليلى العيدين وليلة الجمعة وعند كسوف الشمس وخسوف القمر وعند نزول المطر وعند حلول الشدائد وعند زيارة مقابر المسلمين ولا سيما قبور الأولياء والصالحين ، وبالأخص تجاه المقامات كمقام سيدنا الحسين والسيدة زينب وسيدى محمد الحنفى وسيدى وقdotوى الشيخ جودة عبد المتعال الحسينى القمبشاوى رضى الله عنهم أجمعين ونفعنا بأمدادهم ، وعند الأماكن المعلومه فى مكة المكرمة والمدينة المنودة وعند زيارة العلماء والصالحين الأحياء منهم والأموات ، وعند النظر فى المصحف الشريف وعقب الصلوات الخمس وبين الأذان والإقامة ووقت الأسحار فله سبحانه وتعالى نفحات فى أوقات التجلى والقرب منه ، وإلى هذا يشير قوله ﷺ «إن له فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها» وكذلك الدعاء فى السجود لقوله ﷺ فى الحديث «أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد ... الحديث» .

ولما كانت السادة الصوفية مخصوصون بالسعادة ، رزقهم الله الفطنة واليقظة وأذهب عنهم الغفلة ، فالناس غافلون عن ربهم وهم حاضرون معه مقبلون عليه وهو سبحانه مقبل عليهم بفيوضاته وتجلياته وقد وفقهم الله وشغلهم بعبادته وزهدهم فى الدنيا ، ولم يعبدوه بذكر واحد خوفاً على النفوس من الملل فرتبوا أوقاتهم لكل وقت عبادة مخصوصة وقالوا كل وقت له فتح خاص به فكذلك يكون له ذكر خاص ، فالفوا لكل وقت وردا جنوا ثماره من القرآن الكريم وأحاديث النبى عليه الصلاة والسلام وأضافوا لذلك ما فتح الله به عليهم ، فالف العلامة شيخنا الدردير رحمه الله صلواته التى لا يدرك شأوها ولا يلحق فضلها ، وألف شيخ مشايخنا سيدى مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى رحمه الله ورده السحر . فما أحد فى الملة الإسلامية إلا انتفع بأسراره وتلذذ بمناجاته فرتبتها فى الزمان وجعلت ترتيبها على نهج السادة البكرية الخلوتية آل جودة الكرام ، فأقول وبالله التوفيق إذا كان المرید عالماً فورده تعليم علمه للناس بعد قراءة الذكر الذى لقنه شيخه فإن

فيه فتحه ، وإن كان محترفاً بالتجارة أو الصناعة أو نحو ذلك فعليه بالذكر في أوقات فراغه ، وإن كان من المتعلمين (يعنى طلبة العلم) اشتغل بتعليمه وتربية نفسه مع قراءة العدد الذى لقنه له شيخه وأمره بالذكر به ، وإن كان المريد من المتجربين الصادقين العابدين الذين كفاهم الله مؤونة رزقهم من فضله فلم تشغلهم الدنيا فليواظب على تلك الأوراد ما لم يكن مستغرقاً في حب مولاه جل وعلا وإلا فحبه واستغراقه عبادة كاملة ، ألا ترى أن المستغرق في الله لا يحكم عليه الشرع بتجديد الوضوء لأنه في أكمل حالة من الطهارة ولا يدعى هذا المقام من ليس من أهله فيهلك فإنه مقام الأقطاب والعارفين فمن ذاقه عياناً لا من اعتقده فقط .

فالمريد الصادق إن لم يواظب على أوراده فأوقاته بطلالة وزهده كسل وعمله أوهى من بيت العنكبوت لتركه أصول الطريق وقواعده ولفوات الغنائم ومواسم الخيرات ، فمدد الطريق في ورده فمن كسل عن ورده انقطع عنه المدد وهيهات أن يفلح إلا أن يتداركه الله بعنايته ، قال سيدى محمد البكرى الأكبر رحمته الله :

ومن يك يوماً يقطع ورده فلا تأت أمداد النبى عنده  
 فإذا أراد المريد أن يشتغل بأوراده فليقم جزءاً من الليل لقوله ﷺ «لا بد من قيام الليل ولو قدر حلب شاة» فيصلى ما تيسر له قبل الفجر ويختم بالوتر لقوله ﷺ «اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وتراً» ثم يقرأ ورد السحر هو وإخوانه إن كانوا معه وإلا قرأه منفرداً فإذا أتم الورد ختمه ثم يصلى ركعتى الفجر ويقرأ الورد الذى بين سنة الصبح وفريضته المبين في كتاب الأوراد ثم يصلى الصبح ويختم بعده بما ورد عن القوم وبعد الختام يقرأ ورد الستار بالكيفية المعلومة وبعد ورد الستار يقرأ سورة يس والآيات الواردة بعدها ثم يقرعون صلوات أستاذنا الدردير رحمته الله وبعده المنظومة في أسماء الله الحسنى له أيضاً ، ويذكرون بعد ذلك حتى تطلع الشمس لقول رسول الله ﷺ «من صلى الصبح في جماعة ثم جلس في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم قام فصلى ركعتين فله أجر حجه وعمرة تامتين تامتين تامتين» ثم يصلى صلاة الإشراق بسورة الشمس ويقرأ بعدها ورد الإشراق المعلوم ثم يشرع في صلاة الضحى وأقلها ركعتين وأكثرها ثمان ركعات وأوسطها ست وندب أن يقرأ فيها بسورة الضحى وفي الركعة الثانية الانشراح ثم يصلى صلاة الاستخارة يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة قوله تعالى «وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة» الآية «وسورة الكافرون» وفي الركعة الثانية «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً» فإذا سلم دعا بدعائها الذى علمه النبى ﷺ لجابر بن عبد الله الأنصارى رحمته الله فقال له : قل بعد أن تصلى ركعتين «اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك فإنك تقدر ولا أقدر اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ودنياى وعاقبة

أمرى (وفى رواية عاجله وأجله) فاقدرة لى ويسره لى وأقدر لى الخير حيث كان ورضنى به ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى وأصرفنى عنه» ثم بعد صلاة الصبح والضحى والاستخارة رتب أوقاتك على أربعة حالات :

**الحالة الأولى :** أن تصرفه فى طلب العلم النافع والعلم النافع ما يزيد فى خوفك من الله ويزيد فى معرفة عبادة ربك وإليه يشير قوله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء».

**الحالة الثانية :** إن لم تقدر على تحصيل العلم النافع المشار إليه أنفا فتشتغل بوظائف العبادات ومن الذكر والقرآن الكريم والتسبيح ونحو ذلك فتلك درجة العابدين وتكون أيضاً من الفائزين .

**الحالة الثالثة :** أن تشتغل بما يحصل منه نفع المسلمين ويدخل السرور على قلوب المؤمنين أو ما تيسر لك من الأعمال كخدمة الفقراء والصوفية وأهل الدين والعمل فى مصالحهم والسعى فى إطعام الفقراء والمساكين وكعيادة المرضى وتشجيع الجنائز والسعى بين الناس بالصلح فإن هذه عبادة وفيها رفيق بالمسلمين .

**الحالة الرابعة :** إن لم توفق لذلك فاشتغل بحاجتك وحصل قوت نفسك وعيالك وقد سلم المسلمون منك وسلم لك دينك ما لم ترتكب معصية فتنال بهذه الحالة درجة أصحاب اليمين إن لم تكن من أهل الترقى إلى مقامات السابقين فهذه أقل الدرجات فى مقامات الدين وما بعدها فهو من مراتب الشياطين وذلك بأن تشتغل والعياذ بالله بما يهدم دينك من مباشرة المعاصى والموبقات وأذية عباد الله فهذه مرتبة الهالكين فإياك أن تكون من هذه سفة فتكون من المكذبين الضالين أصحاب الجحيم .

واعلم أن العبد فى حق دينه على ثلاث درجات :

(١) إما سالم وهو المقتصر على الفرائض وترك لمعاصى .

(٢) وإما رابح وهو المتطوع بالقربات النوافل .

(٣) وإما خاسر وهو المقصر فى الفرائض فإن لم تقدر أن تكون رابحاً فاجتهد أن تكون سالماً

وإياك ثم إياك أن تكون خاسراً واعلم أن العبد بالنسبة إلى العباد له ثلاث حالات :

**الحالة الأولى :** أن ينزل فى حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة وهو أن يسعى فى منافعهم رفقا بهم ، وإدخال السرور على قلوبهم .

**الحالة الثانية :** أن ينزل فى حقهم منزلة البهائم والجمادات حيث يجتهد فى ملئ بطنه لا يسأل أجاع غيره أم شبع فلا ينال الناس خيره ولكن يكف عنهم شره .

**الحالة الثالثة :** أن ينزل فى حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات لا يرجى خيره ولا يؤمن شره فإن لم تقدر أن تسموا إلى أفق الملائكة فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات إلى مراتب العقارب والحيات فإن رضيت لنفسك النزول منا على عليين فلا ترض لها بالهوى إلى أسفل سافلين فلعلك تنجو كفافاً لا لك ولا عليك .

فيا أيها العاقل اللبيب لا تشغل نفسك في بياض نهارك وسواد ليلك إلا بما تنتفعه في معاشك ومعادك فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس فعليك بالعزلة فإن كانت في العزلة وساوس تجاذبك إلى ما لا يرضى الله ورسوله ولم تقدر على قطعها بوظائف العبادة فعليك بالنوم فهو خير لك إذا عجزت عن الغنيمة ورضيت بالسلامة بالهزيمة فما أوسط حال من رضى بسلامة دينه فقط في تعطيل حياته إذ النوم أخو الموت وهو تعطيل والتحاق بالجمادات ، نسال الله أن يوقظنا من سبات الغفلات ويوقظنا لأن نشغل أوقاتنا بالطاعات التي بها يرضى عنا رب البريات .

### تتمة في أحوال السالك

#### وما يرد عليه من الواردات والرؤيا أثناء سيره

أعلم يا أخا الصدق أن الإنسان من أشرف الموجودات ومجمع عالم الغيب والشهادة وروحانيته على مثال عالم الشهادة ، ولم يخلق شيئاً في الدنيا والآخرة إلا وخلق فيه صفة تناسب ذلك الشيء ، فجميع صفات العالم مودعة في ذلك الإنسان ولذا سمي بالعالم الأصغر وذل أن المريد السيار «يعنى المجتهد لقطع عقبات الطريق لا المريد الخامل» إذا عبر على الصفات الحيوانية فأى صفة يعبر عنها في البهيمة يرى حيوان تلك الصفة غالباً فيرى صفة الفأر والنمل ، فإن كان حرصه كثيراً رأى الفأر وإن كان قليلاً رأى النمل ، فإن رأى الفأر والنمل افترس به أو عضه دل على قوة تلك الصفة فيه ، وإن رآهما ماتا أو قطعاً دل على موت تلك الصفة ، ويرى سنة الشر مثلاً على صورة الدب والخنزير لأن كلا منهما سجيته الشر ، لكن الأولى أشد ضرراً على الأعمال الظاهرة والثاني أشد ضرراً على الأعمال الباطنة فإن رآهما قوين دل على قوة تلك الصفة فيه ، وأن رأى أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً دل على ضعف تلك الصفة تارة وقوتها تارة ، وإن رآهما ضعيفين دل على ضعفهما ، فأن رآهما ميتين أو متقطعتين دل موتها أو انفصالهما عنه ، وأن رآهما أذياه وضراه دل على ضرر في دينه والعياذ بالله تعالى ، ويرى صفة البخل على صورة الكلب والقرد والأول أشد في الأمور المعنوية والثاني أشد في الأمور الحسية فتارة يراها السالك قوين أو ضعيفين أو أحدهما قوى والآخر ضعيف كما تقدم في «الفأر والنمل» وإن رآهما قوين لكن لم يفترساه ولا أحدهما دل على تحريك تلك الصفة لكن لم يضره ذلك لتفكره وتبصره ويرى الكبر المذموم على من شأنه ذلك ، فإن رآه ضعيفاً دل على ضعفها أو قويا دل على أنه قوى فإن رآه قاتله دل على منازعة تلك الصفة الخبيثة لصفة التواضع ، وإن غلبه وقتله دل على منازعة تلك الصفة الخبيثة لصفة التواضع وأن غلبه وقتله دل على خروجه منها بالمجاهدة ، ويرى الحق المذموم على صورة الحية وهو ضد المسامحة ، ويرى الغضب المذموم شرعاً على صورة الحمار الذكر ، فإن رأى واحداً من ذلك مات تحتة دل على موت تلك الصفة منه ، وإن رأى أنه راكباً فرساً فذلك علامة سيره بالقلب ، وإن

كان راكبا جملا دل ذلك على الهمة وذلك بقدر علوه ، وإن رأى أنه في سفينة في فلك البحر فتلك الشريعة والبحر الطريقة وبقدر سير السفينة يكون سيره ، والمسك كسب حلال ، والأوز والدجاج والحمام مثال حرصه على الحلال ، وعسل النحل أخلاق حميدة ، وإن رأى نساء دل على أن العقل لم ينضج بعد ولا يزال في نقص ، ورؤية القمر دليل على ارتكاب المكروه ، وإن رأى إنساناً مقصوص اللحية دل على نقصان الشرع منه ، وإن رأى أعوج دل على أنه ادعى الحق ولم يمش عليه ، ورؤية المقعد عصيان لأمر الله وتقاعد عن فعال الخير ، ورؤية الأعمى تدل على كتمان الشهادة ، ورؤية الأصم دليل على عدم سماع الشريعة والانتفاع بها ، ورؤية الأخرس دليل على أنه لا يتكلم في الحق ، ورؤية الحلوى دليل على شرك العباد ، ورؤية لدلال والدلالة دليل على الكذب ، ورؤية القصاب دليل على قسوة القلب (والقصاب هو الجزار) ، ورؤية المصحف والقراءة دليل على صفاء القلب ، ورؤية المشايخ دليل على الرشاد لنفسه والنصح لها ، ورؤية المدينة المنورة والكعبة المشرفة والقدس دليل على الطهارة من الدنس ، ورؤية السيف والموس والمدفع والفتك تدل على الوسوس الشيطانية ، ورؤية الحور والملائكة والجنة دليل على كمال عقله والقرب إلى الله ، ورؤية الشمس والقمر دليل على حصول معارف عن الله عز وجل بطريق المكاشفة .

**تنبيه :** إذا أكثر السالك من الذكر تظهر له كرامات وعلامات ويكشف له عن طبائعه الأربع الماء والتراب والهواء والنار ، وصفائها وكدوراتها بحسب قوة الاستعداد وعدمه فيرى مياهها كثيرة وتلالاً وطيراً في الهواء ونيراناً مختلفة سوداً وحمراً وزرقاً وصفراً وبيضا ، فإذا صفا ذلك العنصر بالمداومة على الذكر يرى سراجاً ومصابيح وشموعاً وقناديل ونيراناً صافية ، وربما يدخل في النار ويمشى عليها من غير أن تلحقه مضرة ويتلذذ برؤية هذه الأشياء ، فإذا رأى هذه العناصر المكدرية دل على تغيير الباطن والتقصير ، فينفي ذلك الذكر الجهرى بالشدة والقوة (وكما مر في باب الذكر) مع ملاحظة شيخه ثم ينتقل إلى عالم الأنوار فيرى أنواراً مختلفة ، فما يكون على صورة البرق واللوامع فأكثره من ملازمة الذكر والوضوء والصلاة ، وما يكون على صورة السراج والشمس ونحوها فيكون منبعثاً غالبه من ولاية شيخه أو مستمداً من الحضرة النبوية أو من أنوار العلوم الشرعية أو من النظر في علوم التصوف ، أو من تلاوة القرآن الكريم أو نور الإيمان ، وكذا الشمع والسراج يدل على نور قلبه ، وصورة المشكاة والقنديل وما يشاهد على صورة الكواكب يكون من التخلق بالأخلاق المحمدية .

وأعلم أن المقامات التي يشاهدها الأولياء والصالحون أسرار يظهرها الله سبحانه وتعالى في مرآة القلوب الصافية من الأكدار ، والرؤيا الصالحة تعتبر جزءاً من الوحي فتكون جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، ويشهد لذلك قوله ﷺ «لم يبق من النبوات إلا

المبشرات» قيل وما هي يا رسول الله؟ قال «الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له» وفي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ «أصدقكم حديثاً أصدقكم رؤياً» وإذا اقترب الزمان لم يكذب رؤيا المؤمن ، وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه الكرام عند انصرافه من صلاة الصبح «من رأى منكم رؤياً فليخبرني بها أعبرها له» لكونه يرى أثر الوحي الإلهي في أمته ، فهذه المقامات تنبئ عن أحوال السالكين أن جميع ما يراه المؤمن في منامه على اختلاف درجة السائرين كشف عن أحوالهم الظاهرة والباطنة فليثبت الرائي لئلا يزيد في الرؤيا على ما يراه فيدخل في قوله ﷺ «من كذب في حلمه فليتبوأ مقعده من النار» ومن كذب في منامه من السالكين دل على خيانه في أسرار الطريق وعدم صدقه مع الله وكان عقابه وخيانه وبالا عليه ، وإن أخفى عن الشيخ حقيقة الحال ورقاه بتلك المقامات والأسماء التي ادعى أنه قطعها وألبسه شيخه الخرقه بمقتضى ذلك ، فإن ذلك لا يخفى على الله ولا على أهل الطريق والله لا يحب الخائنين ، فإذا علم المريد كذب نفسه فليتنبه وليتب فإن مكر به وطرده فليتدارك نفسه بالرجوع والاستغفار وليخبر شيخه بما صدر منه صراحه ليتوجه الشيخ إلى الله تعالى في انقاذه من هذه الأحوال والعوائق التي تعرض له ، لأن المريد كذب في سر الله الذي هو وحى الله تعالى لعباده على لسان ذلك الإلهام يبشرهم الله به ويعظمهم ليزدادوا بذلك جداً وزهداً قال العلامة السمنودي رحمه الله ونفعنا بأسراره :  
جاء عن بعض المحققين أن الرؤيا أربعة أنواع :

**النوع الأول :** المحمود ظاهراً وباطناً كالذي يرى أنه يكلم الله عز وجل أو أحد الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في صفه حسنة أو كلام طيب أو أنه يجمع جوهراً أو طعاماً طيباً أو يرى أنه في مكان من أماكن العبادة ونحو ذلك .

**النوع الثاني :** المحمود ظاهرها المذموم باطنها كسماع الملاهى أو شم الأزهار فإن ذلك هموم وأفكار وكذا من يرى أنه يتولى منصباً لا يليق به .

**النوع الثالث :** المذموم ظاهراً وباطناً كمن يرى أن حية لدغته أو ناراً أحرقتة أو سيلاً أغرق أو هدمت داره أو كسرت أشجاره فذاك ردىء لدلالته على الهم والنكد .

**النوع الرابع :** المذموم ظاهراً المحمود باطناً كمن يرى أنه ينكح أمه أو يذبح ولده فإنه يدل على الوفاء بالنذر الذي عينه على نفسه في سره أو يدل على الحج أو يدل على أنه يكون باراً بأمه وأنه يزوج ولده ويدل على مواصلة الأهل وعلى رد الأمانات .

ثم أعلم يا أخا الصدق أن أحوال السالك إما رؤيا وإما واقعة ، فالرؤيا ما يراه في النوم والواقعة ما يراه في حال اليقظة وهو مغمض عينيه ويسمى ذلك بعالم المثال وبالعالم الملكوت ، وشرط من هو في عالم المثال أن يعلم المكان الذي هو فيه والوقت ويعلم أنه بين النوم واليقظة ثم يترقى حتى يصير جانب اليقظة أغلب فمن جد وجد ومن جاهد شاهد ومن لم تحرق له بداية لم تشرق له نهاية قال تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله

## خاتمة فى ذكر شىء من كلام سادتنا الصوفية وبعض قصائد من مشربهم وادعية مأثورة شريفة وفوائد منيفة

إعلم يا أخا الصدق أنه لا عز أكرم من التقوى والتقوى كما قال بعضهم هى مخافة الجليل والعمل بما فى التنزيل والاستعداد للرحيل ، قال تعالى عز من قائل «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب» وقال تعالى «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» وقال عز وجل «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ... الآية» وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قرأ رسول الله ﷺ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً قال «من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة» وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» وروى أصحاب السنن أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : أوصنى يا رسول الله ، قال ﷺ «عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله فإنه نور لك فى الأرض وذكر لك فى السماء واخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان» .

وقد روى عن بعض العارفين نفعنا الله بأسرارهم : أن حاتماً الأصم كان تلميذاً لشقيق البلخي رضى الله عنهما فقال له : يا حاتم منذ كم صحبتنى فى الله؟ قال حاتم : منذ ثلاث وثلاثين سنة ، قال : فما تعلمت منى فى هذه المدة؟ قال : ثمان مسائل ، قال شقيق : إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل فما هى ؟ قال : الأولى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب شيئاً فلا يزال محبوبه معه فإذا ذهب إلى قبره فارقه فجعلت الحسنات محبوبى فإذا دخلت قبرى دخل محبوبى معى ، قال : أحسنت فما الثانية ؟ قال : نظرت فى قول الله عز وجل «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى» فعلمت أن قول الله تعالى حق فجاهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى ، والثالثة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شىء له قيمة وله عنده مقدار يحفظه ثم نظرت فى قول الله عز وجل «ما عندكم ينفذ وما عند الله باق» فكلما وقع لى شىء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله تعالى ليبقى لى عنده ، والرابعة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى الحب والمال والنسب والشرف فنظرت فإذا هى لا شىء ثم تدبرت فى قول الله تعالى «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» فعملت على التقوى حتى أكون عند الله كريماً ، والخامسة : نظرت إلى هذا الخلق فوجدت بعضهم يطعن فى بعض ويلعن بعضهم بعضاً فعلمت أن أصل ذلك كله الحسد فنظرت فى قوله تعالى «نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا» فتركت الحسد وعداوة الخلق وعلمت

أن الذى قسم لى كائن لابد منه ، والسادسة : نظرت إلى هذا الخلق ييغى بعضهم على بعض ويعادى بعضهم بعضا فنظرت إلى عدوى فى الحقيقة فإذا هو الشيطان وقد قال الله تعالى «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا» فعاديته وأحببت الناس أجمعين ، والسابعة : نظرت إلى الخلق فوجدتهم يتكالبون على جمع الدنيا ويبدلون أنفسهم فى طلبها ثم نظرت فى قوله تعالى «وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ... الآية» فعلمت أنى ممن تكفل الله له برزقه فاشتغلت بالله عز وجل وترك ما سواه ، والثامنة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم يتوكل بعضهم على بعض ويتكل هذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق يتكل على مخلوق فرجعت إلى قوله عز وجل «ومن يتوكل على الله فهو حسبة ... الآية» فتوكلت على الله تعالى فقال شقيق : وفقك الله يا حاتم ، فلقد حصلت على مفاتيح الخير .

وقال أبو على الدقاق نفعا الله بأسراره : للمتوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض ، فالمتوكل يسكن قلبه وتطمئن نفسه إلى وعد الله وصاحب التسليم يكتفى بعلمه تعالى وصاحب التفويض يرضى بحكمه ، قال العارف السمنودى : فهذه أصول الطريق وليس لك بدون هذه الأصول وصول ولا من غير هذا الباب دخول إلا أن يتكرم عليك مولاك بالقبول ، وجاء فى صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول «اللهم إنى أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك» وروى مسلم أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يقول «اللهم لك وبك أسلمت وبك أمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنى» وعن بعض المحققين سئل ذو النون المصرى الاخيمى رحمه الله عن سبب توبته قال : خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت فى الطريق وانتبهت ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة فانشقت الأرض فخرج منها الجفتين إحداها من ذهب والأخرى من فضة ، فى إحداها سمس وفى الأخرى ماء فأكلت من هذه وشربت من هذه فلما اكتفت انشقت الأرض ثانيا وابتلعت الجفتين فقلت حسبي ولزمت الباب إلى أن من على سيدى جل وعلا بالقبول ، وجاء عن بعض الصالحين أن أميرا مر على باب حاتم الأصم رحمه الله فاستسقى ماء فلما شرب رمى إليهم شيئا من المال ووافقه أصحابه ففرح أهل بيت حاتم سوى بنت صغيرة لحاتم فإنها بكثت فقيل لها : ما ييكيك؟ فقالت : نظر إلينا مخلوق فاستغنينا فكيف لو نظر إلينا الخالق؟ وعن بعض المحققين أن جماعة دخلوا على سيدى أبى القاسم الجنيد رحمه الله ونفعا بأمداده فقالوا له : نطلب أرزاقنا ، قال : إن علمتم أين هى فاطلبوها ، فقالوا : نسأل الله ذلك ، فقال : إن علمتم أنه ينساكم فذكروه ، فقالوا : ندخل بيوتنا ونتوكل على الله ، قال : التجربة مع الله شك خطير ، قالوا : ما الحيلة؟ قال : ترك الحيلة ، فتبصر أيها المريد الصادق فى كلام



ساداتك العارفين من ذوى الحقائق وأقتد بحالهم ومقالمهم وأشرب من كأس صفائهم  
الرائق .

وعن بعض العارفين رضى الله عنهم أن من علامة حب الله تعالى لعبده أن يوفقه لملازمة  
الأولياء والصالحين ويسلك طريقهم بالذل والانكسار ثم أنشد يقول :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا	هم السلاطين والسادات والأمرا
فاصبحهم وتأدب فى مجالسهم	وخل حظك مهما قدموك ورا
واستغنم الوقت واحضر دائما معهم	واعلم بأن الرضا يختص من حضرا
ولا ازم الصمت إلا إن سئلت فقل	لا علم عندى وكن بالجهل مستترا
ولا ترى العيب إلا فيك معتقدا	عيبا بدا ظاهرا لكنه استترا
وحط رأسك واستغفر بلا سبب	وقم على قدم الانصاف معتذرا
وإن بدا منك عيب فاعترف وأقم	وجه اعتذارك عما فيك منك جرى
هم أولوا الفضل حقا وهو شيمتهم	فلا تخف منهم دركا ولا ضررا
وبالعطايا على الإخوان جد أبدا	لا تنس فردا وغض الطرف إن عثرا
وراقب الشيخ فى أحواله فعسى	يرى عليك من استحسانه أثرا
وقدم الخير وانهض عند خدمته	عساه يرضى وحاذر أن تكن ضجرا
ففى رضاه رضا البارى وطاعته	ذخر فكن يا أخى متتركها حذرا
واعلم بأن طريق القوم دارسة	وحال من يدعيها اليوم كيف ترى
متى أراهم وأنى لى برؤيتهم	أو تسمع الأذن منى عنهمو خبرا
أحبهم وأداريهم وأوثرهم	لا أبتغى فى الورى من غيرهم وطرا
قوم كرام السجايا حيثما جلسوا	ترى المكان على آثارهم عطرا
يهدى التصوف من أخلاقهم طرقا	حسن التالف منهم راقنى نظرا
هم أهل ودى وأحابى الذين هم	ممن يجر ذيول العز مفتخرا
لازال شملى بهم فى الله مجتمعا	وذنبنا فيه مغفورا ومغتفرا

فعليك يا أخا الصدق بمجالسة الصالحين واسلك طريقهم بإخلاص يرضى عنك رب  
العالمين ، واحذر من مجالسة علماء السوء من الطبيعيين والملحددين الضالين المنكرين فإن  
شبههم رين يغشى قلوب من لم يحط بأحوالهم من المريدين ، واسلك طريق قوم هم صفوة  
الله من خلقه أولئك هم أولياؤه المقربون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وقد  
أشار إليهم وأشاد بفضلهم النبى ﷺ حيث أوصى أحد أصحابه وهو سيدنا أبوهريرة  
رضي الله عنه بقوله «عليك بطريق قوم إذا فزع الناس لم يفزعوا وإذا طلب الناس الأمان من النار لم  
يخافوا» ثم وصفهم رسول الله ﷺ بأوصاف جليلة إلى أن قال «وددت لو أن الله جمع بينى

وبينهم» ثم بكى شوقاً إليهم وقال في حقهم «هم نجوم إذا أراد الله بأهل الأرض عذاباً فنظر إليهم رفع العذاب عنهم» وما ألطف ما قال بعض الفضلاء في الرد على المنكرين واتباع طريق الأولياء :

ما هام صب محب يرتجى النظرا  
من زخرف القول لا تهدى إلى رشد  
مؤثرات تفوق الحصر فى العدد  
بالذهن شابته المعيان فى الحسد  
إن أسلمت مبصرات القلب للرمد  
فى الخلق والأمر لا تخفى على أحد  
فيحسب الحبل مربوطاً بلا وتد  
والفعل فى كلها للواحد الصمد  
من نوره خصهم بالفيض والمدد  
تتبع سواهم وبادر غير متدد  
ترك الفضول وهذا خير مستندى  
ياسيدى يارسول الله خذ بيدى

ثم الصلاة على الهادى وشيعته  
هل يرشدونا إلى أمر سوى جمل  
تضلل الفكر فى الأكوان حيث يرى  
وهذه أفة التوحيد إن عبث  
فتفقد العقل والإيمان صحته  
أن المؤثر فى الأكوان وحدته  
إلا على من يرى الأنعام رائعة  
عوالم الكون أجناس متنوعة  
فاتبع «هديت» رجالاً أبصروه بما  
هم الرجال وهم خير العباد فلا  
إن السلامة فى هدى الرسول وفى  
فاسلك سبيل الهدى والعن عداك وقل

أسالك اللهم باسمك الأسمى وبجاء من خصصته بالشفاعة العظمى نبيك وحيبيك  
سيدنا محمد ﷺ وبسر أله وأصحابه الكرام ومن تبعهم وورثهم بحق من أوليائك صفوة  
الأنام ، أن تهب لى شوقاً يوصلنى إليك ونورا يدلنى عليك وروحاً قدسيا ينفث فى روحى  
كل أمر انعجم على فهمه أو غريب عنى علمه وأيدنى بروح منك وأمدنى بقبس من نور  
معرفتك أوضح به طريق الرشاد للسالكين وأبين به رتب الوصلة للقاصدين وافتح لى  
باباً من الأفق الأعلى والأفق المبين وارفع رقىمى فى عليين وردنى برداء من عندك حتى  
أحتجب به عن وصول الأعداء إلى يارب العالمين واملنى بعلم اليقين حتى أشهد بعين  
اليقين حق اليقين ، يا مجيب السائلين ويا أمان الخائفين يا أكرم الأكرمين ، وللعارف بالله  
تعالى سيدى أبى مدين الغوث ﷺ يصف مواجيد القوم نحو الحضرة المحمدية :

وتزهق بالأشواق أرواحنا منا  
ولو غبتم عنا ولو نفساً متنا  
وإن جاءنا عنكم بشير اللقا عشنا  
ألا أن تذكرك الأحبة ينعشنا  
إذا نحن أيقاظ وفى النوم إن غبنا  
ولكن فى المعنى معانيكم معنا

تضيّق بنا الدنيا إذا غبتم عنا  
بعادكم موت وقربكم حيا  
ونموت ببعدكم ونحيا بقربكم  
بذكراكم إذا لم نراكم  
ولولا معانيكم تراها قلوبنا  
لمتنا أسى من بعدكم وصبابة

يحركنا ذكر الأحاديث عنكم  
فقل للذي ينهى عن الوجد أهله  
إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقاء  
أما تنظر الطير المقفص يفتى  
ففرج بالتغريد ما بفؤاده  
ويرقص في الأقفاص شوقاً إلى اللقاء  
كذلك أرواح المحبين يا فتى  
أنلزمها بالصبر وهى مشوقة  
وسلم لنا فيما ادعينا فإننا  
ونهم من طرب لذكر حبيبنا  
وفى السر أسرار دقاق لطيفة  
فيا حادى العشاق قم واحد قائما  
وصن سرنا فى سكرنا عن حسودنا  
فإننا إذا طبنا وطابت نفوسنا  
فلا تلم الولهان فى حال سكره

ولولا هواكم فى الحشا ما تحركنا  
إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا  
نعم ترقص الأشباح يا جاهل المعنى  
إذا ذكر الأوطان حن إلى المعنى  
فيطرب أرباب القلوب إذا غنى  
فتضطرب الأعضاء فى الحسن والمعنى  
تحركها الأشواق للعالم الأسنى  
وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى  
إذا غلبت أشواقنا ربما صحننا  
وإذا لم نجد كتم المواجه صرحنا  
تراق دمانا جهرة لوبها بحننا  
ودندن لنا باسم الحبيب وروحنا  
وإن أنكرت عينك شيئاً فسامحننا  
وخالطنا خمر الغرام تهتكنا  
فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا

## الفهرس

١	النفحات الربانية لمن أراد سلوك طريق السادة الصوفية
٣	فصل في بيان حال القلب بالنسبة للعلوم والفرق بين التعلم وحال الصوفية
٤	فصل في الدلالة على صحة طريق الصوفية
٥	فصل في رياضة النفس تمهيدا لدخولها في ميدان التصوف
٨	مبحث في وراثة المتصوفين عن سيد الأنبياء والمرسلين صلي الله عليه وسلم
١٣	فصل في أصول الطريق
١٦	فصل في كيفية العهد والتلقين ووصية الشيخ المريبي بعد العهد
٢٠	مبحث في الذكر وأدابه والحث علي استعماله
٣٣	باب في أصول الطريق وأدائها وبيان أحوال النفس وعلاجها
٤١	باب في آداب المريد مع شيخه
٤٨	فصل في بيان النفس وأحوالها وتطوراتها وكيفية علاجها وأقسامها
٥١	مبحث في حكم التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين
٥٨	مبحث في تعريف البدعة وأقسامها وأقوال العلماء فيها
٦٥	مبحث في كرامات الأولياء وأقوال العلماء والمحققين فيها
٦٧	مبحث في الأدب في حضرة الأولياء والصالحين
٧٠	مبحث في فضل آل بيت النبي صلي الله عليه وسلم وعترته
٨٨	فصل في بيان أقسام المريدين ومراتبهم عند السادة الصوفية
٩٨	باب مناقب أستاذنا الكبير العارف بالله قطب الرجال سيدنا الشيخ جودة عبد المتعال
١٠١	مبحث في مراتب الأولياء نفعنا الله بأمدادهم
١٠٩	مبحث في النقابة والنقباء وما يتعلق بذلك
١١١	باب ترتيب أوزاد السادة الخلوتية البكرية آل جودة عبد المتعال نفعنا الله بأمدادهم
١١٥	تتمة في أحوال السالك وما يرد عليه من الواردات والرؤيا أثناء سيره
١١٨	خاتمة في ذكر شيء من كلام ساداتنا الصوفية وبعض قصائد من مشربهم وأدعية مأثورة شريفة وفوائد منيفة